قصيدة:

على ضفاف الغدير*

الأستاذ صالح الظالمي •
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

قف حيث أعطاك القريض زماما ... كيما تصوغ الدر منه يتامى
وانشط بآفاق الخيال مفكراً ... فستلف للشعر الجميل زحاما
ومر الطيور بأن تبث على الربى ... لحن الهوى فسترسل الأنغاما
ومر النخيل بأن يميد ترنحا ... فوق الثرى فسينحني إعظاما
وإذا صعدت الى السماء ونلتها ... وأخذت زهر النيرات مقاما
لا تعجبن ـ وإن تراقصت السما ـ ... أوَ لست تتخذ ـ الوصي ـ إماما
يا سيدي أنا من بحبك يحتسي ... جام الهوى شغفاً ويردف جاما
ويبيت مطوي الضلوع على الهوى ... فيروح يقطر صبوة وغراما

* * * * *

قف بالغدير تجد حواليك الربى ... ملأ البسيط تحدث الأكاما
وتر الرمال تبث من أمواجها ... همّاً فيصعد للسما آلاما
وهناك في الأفق الرحيب رسالة ... غراء أبدعها الزمان نظاما
فستقرأ التاريخ سطراً نيراً ... لم يتخذ فوق الحروف لثاما
وستلفظ الحصيات قولاً واضحاً ... لم يحتمل كذباً ولا إبهاما
خذ للغدير رواية ولطالما ... حدثت صادقة بها الأياما
فكأنني والصحب حولي لمة ... سمعوا النداء فأطرقوا إحجاما
وكأنني أرنو الوصي مكللاً ... تاجاً له الدنيا تطأطئ هاما
قتل العمى ما للرجال تغافلوا ... حتى رأوا ضوء النهار ظلاما

---

* مجلة البيان س٤ ع٨ ١٩٥٠م ـ ١٣٧٠هـ.

قصيدة:

ذكرى الغدير*

الشيخ أحمد الدجيلي •

على غديرك حامت هـذه الفكرُ ... ظمأى ومن أصغريك الوِرْدُ والصَدَرُ
فـروّهـا منك إشـعـاعـاً لعل به ... ينجاب ليل العمى عنها وينحسرُ
جاءتك تستلهم الذكرى أبا حسن ... فجد عليها بما يوحى فتنفجرُ
فـمـدهـا بـظـلال مـنـك وارفـة ... وصيّب من سحاب الفن ينهمرُ
بحيث إن خطرت للشعر قافية ... غنّى لها العود في ذكـراك والوترُ
واهتزت الأرض بالبشرى وكاد لها ... أن يطرب الصخر لولا أنه حجرُ
تشع ذكـراك في التاريخ خالدة ... كما تشع علينا الأنـجـم الزهرُ
كـأن آيـاتـهـا الـقـرآن مـا تليت ... إلا وجنت بها الأجيال والعصرُ
لأن باسمك دين الله قد كملت ... آيـاتـه وبـك الإسـلام يـزدهـر
وإن حقك مثل الصبح منبلج ... ضـاح فكيف عليه تسدل الستر
لكنما الحقد ما استشرى بصاحبه ... وسـار بـالـدرب إلا خانه النظرُ

* * * * *

خمس وعشرون قد قضيتها سهراً ... للدين مـا انفك تعليه فيزدهرُ
تذود عنه فضول الناس إن سدروا ... فـي الغي أو رام إيقاعا بـه نفرُ
وأنـت وحـدك لا جند ولا شرط ... خلا العقيدة وهـي النار تستعرُ
ولم يهن عزمك الجبار ما عبثت ... بالدين كف وراحـت فيه تتّجرُ
فرحت يحدو بك الإيمان تغرسها ... عقائداً في ربـوع الناس تنتشرُ

* منتقاة من ديوان الشاعر (أزهار وأشواك).

حتى ترى الناس في الدنيا سواسية ... في شرعها يتساوى البدو والحضرُ
جـاءت إليك يـد الدنيا مسلمة ... لك الخلافة معقوداً بها الظفرُ
فكنت أنـت لها أهـلا أبـا حسن ... وهـل سـواك لهذا الأمـر ينتظرُ
لكن زووها عناداً عنك حين دعوا ... وأنـت خير لهم لو أنهم شعروا
من كان يؤوي اليتامى وهي مسغبة ... تأتي إليه يغطي وجهها الكدرُ
ما ذاق طعم الكرى في الليل ناظره ... مـا دام أعين قـوم ملؤها سهرُ
لـلـه درك مـن فـذ يـحـار به ... سمع الدنى ويتيه العقل والبصرُ
نشرتها مثلاً غنّى الـزمـان بها ... وراح فيها فـم التاريخ يفتخرُ

* * * * *

إليك يا أمـل المكروب أبعثها ... شكوى تقادح من أبياتها الشررُ
إن الـذي غرست كفاك من نظم ... هي الحياة هي النعمى هي العمرُ
قد خلقتها أنـاس وارتمت سفها ... على الضلال وراحـت فيه تنتشرُ
حتى إذا السحب الدكناء قد كشفت ... عنا وأفـرجـت الأحـداث والغيرُ
رأى الذي حاد عن شرع الهدى سفهاً ... بـأن دربـا مشى فـي ظله وعـرُ
فثاب للرشد واقتيدت سفينته ... لشاطئ فيه وجـه الحق مبتشرُ
إيهاً شباب الحمى يا نبتة ضحكت ... لها الحياة وروّاهـا الـدم العطرُ
أنتم إذا الـدهـر وافـانـا بمحزنة ... سواعد في دروب الجيل تنتشرُ
أزجيكم النصح أن لا تركنوا أبدا ... إلـى أقـاويـل ما في غيمها مطرُ
الـى دعـايـات أقـوام مضللة ... لا الوحي جاء بها يوما ولا السيرُ
فاستمسكوا بعرى الإسلام وانتظموا ... كالعقد يجمع فيه الماس والدررُ
فهو المنار لكم في كل داجية ... وهو السفين إذا ما داهـم الخطرُ
وكـل مـا فـيـه آيـات وأنظمة ... على جبين الليالي كلها غـررُ
وأقبل بها يا أمير المؤمنين فقد ... وافتك ببنت خيالي صانها الخفرُ
ترجو القبول في أعماقها سمة ... من الـولاء وجـاءت وهـي تعتذر

ينابيع

مُحتَوياتُ العَدَد

كلمة العدد

الإعلام المعاصر والواقع الديني

المشرف العام ٨

قرآنيات

المستوى الصوتي في سورة مريم

د. عامر عمران الخفاجي ١٠

إضاءات السيرة

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في ضمير الإنسانية

د. حيدر نزار السيد سلمان ٢٢

الإمام الحسن عليه السلام.. دراسة في أخبار الصلح

الشيخ حسن كريم الربيعي ٢٨

استطلاع المجلة

مرقد مسلم بن عقيل عليه السلام

حيدر الجد ٣٦

في رحاب الفقه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مد ظله) ٥٤

واحة الأدب

قصيدة: أبا السبطين

محمود محمد حسين الموصلي ٥٨

قصة قصيرة: أخي

بنت العراق ٦٠

للفضيلة نجومها

السيد محمد حسين المرعشي الشهرستاني

سلمان هادي آل طعمة ٦٢

ص ٧٣

ص ١٠٤

ص ٢٢

الشيخ علي بن حسن البلادي البحراني

د. عبد الإله العرداوي ٧٠

الخطيب السيد عبد الرزاق القاموسي

أحمد الكعبي الطويرجاوي ٧٣

في النفس والمجتمع

الأمل في خط المسؤولية

الشيخ عبد الرزاق فرج الله ٧٨

صفات الشخصية التبليغية

د. علي خضير حجي ٨١

طروحات عامّة

التلوث البيئي يسبب تلوث الهواء

د. يسار محمد حسين الشماع ٨٦

الانحصار الديني موقفنا

السيد أحمد الأشكوري ٩٨

النقد الإلكتروني

م. م. علـي الفضـل ١٠٤

التراث الفلكي الإسلامي

عبد الأمير المؤمـن ١٠٨

لقاء العدد

العتبة العلوية المقدسة.. نهضة في الإعمار

أحمد رضا المؤمـن ١١٨

أجوبة مسابقة العدد (١٩) وأسماء الفائزين ١٢٨

مسـابقة العدد (٢١) ١٢٩

ص ٦٢

ص ٦٠

ص ١٠٨

الإعلام المعاصر والواقع الديني

بسم الله الرحمن الرحيم

انتهينا معاً في العدد الأسبق إلى ضرورة إيجاد برامج إعلامية خاصة بالمؤسسة الشيعية، تتيح إيصال الثقافة إلى أوساط المجتمع الإسلامي لتحصنه من الإيقاع فريسة لثقافات الاتجاه المعاكس، مع الحفاظ عليه من الانحراف الفكري والعقيدي، لما ينذره الإعلام المضاد من الفتنة الكبرى، بسبب التغلغل عبر الوسائل المختلفة، داخل أروقة البيوت المغلقة، بشكل يثير الدهشة، ويبعث على التأمل في إعادة صياغة آلية التبليغ الإسلامي، بنحو يتيح الفرصة للمؤسسة الشيعية أن تأخذ موقعها من واقع الإعلام المعاصر، ولا نعني من إعادة صياغة آلية التبليغ إلا إيجاد آلية جديدة تضاف للآليات السابقة التي عليها المعنيون لتدفع بالرسالي إلى ترك التمحور حول السبل التي كانت كفيلة بإيصال الثقافة إلى الأمة، كما تدفع بالمتلقي إلى الفضول في تحري معرفة المزيد من الفكر الأصيل، والثقافة الصحيحة، عبر الطرح الجديد الذي نشير إليه.

كما لا نعني بذلك ترك الآليات التقليدية، بعد الجدوى التي حصلنا عليها، وكانت السبب في خوض المجتمع الشيعي أعنف وأقسى حملة فكرية عرفتها الأمم، مع الخروج منها بسلامة الفكر، وثبات العقيدة. بل شمولية الدعوة بين أوساط أخرى غير وسطه الخاص حتى اتسعت بشكل يبعث على الأمل، ولازالت تتسع أكثر فأكثر.

وترجع هذه الآليات الجديدة التي نشير إليها إلى حلول قد تكون غير مألوفة لكثير من المعنيين، الأمر الذي قد يوجب التحفظ عليها لأول وهلة، لكن النظرة الموضوعية، والاستسلام للتطور الذي نعيشه، والقفزة التكنولوجية الكبرى التي تشهدها الكرة الأرضية ـ مع شدة قساوة الإعلام المضاد، بحدّ لا يوصف، مستغلين في ذلك أبشع السبل اللا أخلاقية من أجل حطّ المجتمعات العامة، وطمس المعالم الدينية التي جاء بها نبي الإسلام ﷺ، الباقي ما بقي الدهر ـ كل ذلك كفيل بمراجعة الحسابات،

وتغيير وجهة النظر، والعمل وفق ما يتطلبه الواقع المعاصر، مع ما هو معروف عن المعنيين من الاستعداد التام لخوض جميع التجارب من أجل إيصال الفكر الأصيل لأبنائهم وإخوانهم، وعدم الترفع عن ذلك، شعوراً منهم بالمسؤولية الكبرى، واضعين أمام أعينهم قول النبي الأكرم ﷺ: (كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته)، الأمر الذي يبعث على الثقة التامة في فهم مغزى ما أرمي إليه من الطلبات، وإعادة الحسابات من جديد.

وهذه الثقة نابعة من الواقع الشيعي المتمثل بمرجعيته العليا ذات النظر الثاقب وحساب عواقب الأمور، حيث دعت وتدعوا على طول الخط الرسالي ـ الذي وطده أئمة الهدى عليهم السلام ـ إلى نشر الفكر والتبشير برسالة نبينا الأكرم ﷺ ـ التي تضمن للإنسان السعادة في الدارين، كما تعزز أواصر الأخوة بين أفراد المجتمع، لتصبح الأمة كتلة عظمى تصمد أمام المجتمعات المتحللة والفاسدة ـ باستغلال كل ما هو متاح وممكن، شريطة أن لا يتعارض ذلك مع الثوابت الدينية.

وما كانت هذه الرسالة ـ أيها القارئ الكريم ـ إلا تجسيداً لتلك الدعوة ووضع النقاط على الحروف كما يقولون. لذا فالتجربة التي أشير إليها ليست جديدة في واقعنا ـ كمبلغين ـ من حيث المضمون، وإن كانت جديدة من حيث الأسلوب والطرح، وذلك أنها تتمثل بقولبة النص الفكري والثقافي الديني بقالب الإعلام المعاصر، مستخدمين في ذلك كل الآليات الحديثة من دون استثناء، لتظهر النصوص الدينية الفكرية والثقافية بشكل جديد، مع المحافظة على حرفيتها وحرفيتها، حتى كأنها تطبع من جديد بطريقة مألوفة لدى العامة، لانسجامها بشكل كامل مع الواقع الإعلامي المعاصر.

وبما أن هذه النصوص الفكرية المشار إليها قد أغنت المكتبات العامة والخاصة، طباعة وانتشاراً، في الأوساط العامة والخاصة، لذا فلا نحتاج إلى صياغات جديدة وكتابات لكتاب مرموقين تكون أساساً لهذه الانطلاقة، بل يكفي اختيار جملة كبيرة من الكتب الحديثة والقديمة، لكتاب إسلاميين معروفين بانسجامهم مع الخط الرسالي الشيعي، تكون هي الأساس للحملة الإعلامية الحديثة التي أدعوا إليها.

وهناك إستراتيجية هامة لابد من التنويه لها، ووضع خطط كفيلة لإنجاح المشروع، ورفع الصدامات الفكرية التي قد تنجم من بعثرة الخطة الإعلامية من دون وضع إستراتيجية واضحة تلتقي في نهاية المطاف لتصب في الوعي الديني والثقافي في الفرد والمجتمع ■

المشرف العام

المستوى الصوتي في سورة مريم

أ. م. د. عامر عمران الخفاجي •
كلية التربية/ جامعة بابل

إن البيان الإعجازي للقرآن الكريم المستولي على النفوس في سماعه وقراءته نرى التعبير يضيق عن الإفصاح عن إدراك كنهه، ولا غرو في ذلك فهو المعجز الخالد الذي تحدى البشر أن يأتوا بمثله فكل ما قيل فيه من ألفاظ فإنها معانٍ نفسية يريد الإنسان إظهارها بهذه العبارات بعد ضيق التعبير عنها بالألفاظ الحقيقية. فالقافية، والموسيقى، والتناغم، وغير ذلك من الألفاظ إنما هي ألفاظ مجازية تعبر عما في نفس الكاتب وليست ألفاظ يقصد منها المعنى الحقيقي.

ينابيع

لقد فطن القدماء إلى أهمية مجال السجع وموسيقاه، وكذلك فطنوا إلى دور القافية، حيث قال ابن رشيق: (القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية)[1].

أما (الفاصلة) فقد بكر النقد إلى تفضيلها على (القافية) وفي هذا قال الرماني: (وإنما حسن في الفواصل الحروف المتقاربة (كالميم والنون) لأنه

يكتنف الكلام من البيان ما يدل على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع لما فيه من البلاغة وحسن العبارة، وأما القوافي فلا تحتمل ذلك لأنها ليست في الطبقة العليا من البلاغة، وإنما حسن الكلام فيها إقامة الوزن ومجانسة القوافي... والفائدة في الفواصل دلالتها على المقاطع)[٢].

ولقد عرفها الرماني بقوله: (الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني)[٣].

ويرى ابن منظور بأن (أواخر الآيات في كتاب الله فواصل بمنزلة قوافي الشعر)[٤].

وقال الزركشي: (الفاصلة هي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع)[٥].

وتقع (عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام)[٦]. وغالباً ما نجد العلماء والباحثين يذهبون إلى القول بأن (موسيقى الفواصل القرآنية أشبه بموسيقى القوافي في الشعر. وبناء القرآن الكريم على الفواصل تأكيد لقيمتها الموسيقية في الكلام. إذ تتوقع الأذن ـ مع توالي الآيات ـ تكرير صوت أو عدة أصوات متشابهة)[٧].

ومن هنا يمكننا أن نقول بأن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل ـ حيث تطرد ـ متأكد جداً، ومؤثر في اعتدال

نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيراً عظيماً[٨]. وهي - إذا صح التعبير - صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها أجمل الموسيقى، فهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقاً عجيباً يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه. بما ليس وراءه في العجب مذهب.

وهذه هي طريقة الاستهواء الصوتي في اللغة، وأثرها طبيعي في كل نفس، فهي تشبه في القرآن الكريم أن تكون صوت إعجازه الذي يخاطب به كل نفس تفهمه وكل نفس لا تفهمه[٩].

وتأتي الفاصلة في القرآن الكريم (مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها غير نافرة ولا قلقة يتعلق معناها بمعنى الآية كلها تعلقاً تاماً، بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم، فهي تؤدي في مكانها جزءاً من معنى الآية، ينقص ويختل بنقصانها)[١٠].

انحراف الفاصلة في سورة مريم

إن الناظر في سورة مريم يجد زخماً موسيقياً كبيراً، تمثل في تلك النغمة اللطيفة التي انسابت مع صوت حرفي المد (الياء والألف) اللذين لازما رؤوس الآيات الكريمة، ومعلوم لنا أن لا المد في حقيقته نوع من الإشباع الموسيقي الذي تطرب له الأذن وينشط به العقل)[١١].

فأما صوت المد (الياء) فقد كانت له دلالات واسعة وعميقة في هذه السورة ونجد الأهمية قد انصبت عليه من أول وهلة وذلك في جعله أوسط الحروف التي ابتدأت بها السورة في قوله تعالى: (كهيعص)[١٢].

ويأتي جعل (الياء) هنا في مفتتح السورة من كون المفتتحات (أول ما يقرع السمع)[١٣].

نستطيع القول إن هناك تمهيداً موسيقياً ناشئاً من العلاقة الموسيقية بين أحد حروف الافتتاح وبين فواصل الآيات التي تليه، ومن هنا فإن صوت الياء كانت له دلالات ذات إيحاءات واسعة قريبة وبعيدة شاركت في التمهيد الموسيقي المنسق مع ما بعدها.

هذا ويمثل صوت (الياء) مع صوت (الألف) محوراً مشتركاً في أسماء الشخصيات الإحدى عشرة (زكريا، يحيى، مريم، عيسى، إبراهيم، إسحق، يعقوب، موسى، هارون، إسماعيل، إدريس) التي اعتمدت السورة محل الاعتماد على تجسيد صور من واقعهم خصوصاً ما عبرت به عن معجزتي الله سبحانه المتمثلتين بولادة (يحيى وعيسى) عليهما السلام.

فضلاً عن أن هذا الصوت كان يشكل مع صوت (الألف) طقساً إيحائياً ينأى بنا إلى أجواء الدعاء والمناجاة والنداء، إذ إن الترنم فيها يفضي إلى استحضار حرف النداء (يا) الذي شكل مرتكزاً صوتياً أفعم الصورة بسحره المتولد من

خروج الصوت طليقاً لا يعيقه أي احتباس شفوي أو حلقي، ومحلقاً في فضاء النفس بشكل تنغيمي يشير الانتباه ويشد السامع إليه بكل حواسه، قال سيبويه: (إن العرب إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون، لأنهم أرادوا مد الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا)[١٤].

وتشرع السورة الكريمة بتوضيح معجزة الله الأولى الخاصة بولادة يحيى عليه السلام مبتدئة بقوله تعالى: (ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا)[١٥].

الملاحظ في هذه الآيات أن الفاصلة الأولى كانت من الأهمية بمكان بحيث دلت بموقعها هذا على خصوصية العبد الذي تأخر ذكر اسمه عما هو مألوف في الواقع اللغوي لإعطائه المزيد من الأهمية والتكريم ولتشويق النفس إليه[١٦]، زيادة على ذلك فإن موقعه في الفاصلة زاد من أهميته، كون الفاصلة ـ كما أسلفنا ـ هي مواقف للاستراحة ولتحسين الكلام يتوقف عندها للتأمل والاستيحاء، ومن ثم تتفتح القريحة للاستزادة من الخير، فالفاصلة هنا وفرت (نظاماً موسيقياً فريداً وامتد تأثيرها إلى بناء الجملة القرآنية بناءً نحوياً خاصاً قد يفترق عن البناء الأصولي للجملة العربية في نحو النحاة)[١٧].

ونلحظ التطرف واضحاً بين الفواصل (زكريا وخفيا) والتطرف هو اتفاق في حرفي الروي لا في الوزن، إلا أن الأمر سرعان ما يؤول إلى فواصل متوازية تستند إلى وزن وقافية واحدة (خفيا، شقيا، وليا، رضيا، سميا).

والتفسير الصوتي لهذه المسألة ـ فيما يبدو ـ هو أن الله سبحانه أراد أن يفصل آية زكريا صوتياً عما يليها من الآيات فتبدو في استقلاليتها عن الأخريات بمثابة العنوان البارز للقصة التي ذكرها في الآيات التاليات اللاتي امتزن ببنية إيقاعية واحدة (فعيلا)، حتى نصل إلى قوله (عتيا) فتبدأ الفاصلة بالانحراف عن مسارها المألوف (فتح أولها) إلى الارتكاز على صوت الكسر الواضح إيذاناً بتوضيح المعتاد عليه من الأمر وعرض ما يخالفه من الأمر المعجز الذي قضى به الله عز وجل.

والمتتبع (لمباحث الأسلوبية يدرك أن من أهم هذه المباحث ما يتمثل في رصد انحراف الكلام عن نسقه المثالي المألوف، أو كما يقول (ج كوهين): (الانتهاك الذي يحدث في الصياغة، والذي يمكن بواسطته التعرف على طبيعة الأسلوب بل ربما كان هذا الانتهاك هو الأسلوب ذاته)[١٨]. فهذا الانحراف شكل يقظة نسبية في الذهن أدت إلى تهيأته لاستقبال الحجة التي ساقها الجليل في إثبات قدرته سبحانه والتي هيأ لها انحرافاً موسيقياً أكبر من خلال تغيير أكبر في إيقاعية الفاصلة وذلك في كلمة (شيئاً)، فالملاحظ أن التنبيه في هذه الكلمة واقع لا محالة كيفما قرئت، فإذا أريد الانسجام مع الفواصل الأخرى كان السبيل إلى ذلك هو تسهيل الهمزة أي نطق الكلمة هكذا (شيّاً) ومعلوم أن للانحراف الصرفي في (شيّاً) عن (شيئاً) أثراً في التنبيه وإيقاظ المسامع والأذهان، وهذا هو مذهب أهل الحجاز الذين يميلون إلى التخفيف[١٩] وهو

ما يؤيده الدكتور إبراهيم أنيس[٢٠].

أما إذا أريد قراءتها وفق أصحاب القراءات أي بتحقيق الهمزة فستكون (شيئاً) بحد ذاتها منبهاً صوتياً بخروجها عن الانسجام الصوتي المعتاد في الفواصل السابقة واللاحقة.

وتستمر بعد ذلك الفواصل بالتتابع على نسق واحد (سويا، عشيا، صبيا، تقيا، عصيا)، حتى تعود إلى الانحراف ثانية عن مسارها المعتاد منتقلة من (فَعيلا) إلى (فُعَيلا) في قوله: (يُبْعَثُ حَيًّا)[٢١]، إيذاناً منه سبحانه بانتهاء قصة ولادة يحيى عليه السلام وتنبيهاً منه على الدخول في أجواء قصة أخرى، وهو ما حصل بالفعل عندما انتقلت الفواصل من توازيها إلى تطرفها ثانية في قوله تعالى: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا)[٢٢]. فكلمة (شرقيا) كانت هي الانحراف الموسيقي المتطرف الذي شق صفوف الفواصل المتوازية لتشير بموسيقاها الجديدة إلى وجود عنوان حكاية جديدة مغايرة في أحداثها إلا أنها تلتقي مع سابقتها في تضمنها لأمر معجز، ومن هنا أبقى الله سبحانه حبل الوصل ممدوداً بين القصتين بإبقاء القافية موحدة تؤذن بذلك الاتصال.

وتبدأ القصة الثانية بنفس الإيقاعية الأولى (فَعيلا) لتعلن عن الترابط الموضوعي المتضمن ذكر المعجزة الثانية وهي ولادة عيسى عليه السلام وبالطريقة نفسها مع (شيئا) يتشكل الانحراف الموسيقي بعد أن استمعنا إلى (سويا، تقيا، زكيا، بغيا)، فنلاحظ (مقضيا) التي تثير الانتباه وتحدث هزة النفس للإعلان عن إثبات قدرة الله سبحانه على تحقيق معجزته.

ثم تعود الآيات إلى مسارها الإيقاعي بقوله تعالى (فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا)[٢٣] للدخول ثانية في أجواء القصة وترنيمها المألوف تهيئة من الله سبحانه لصدمة موسيقية جديدة أحدثتها الفاصلة في كلمة (منسيا) التي انحرفت عن مسار (فَعيلا) بتطرفها، متوازية مع الفاصلة (مقضيا) لتشترك معها في الوظيفة نفسها وهي إثارة الانتباه وإحداث الهزة في النفس للإعلان عن معجزة جديدة لله عز وجل حين أنطق عيسى عليه السلام (فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا)[٢٤].

ونعود إلى الفاصلة (فعيلا) في قوله (سريا، جنيا) لنفترق عنها في الانحراف الموسيقي الواضح في تغير البنية الإيقاعية بقوله تعالى (فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا)[٢٥] وهو إعلام صوتي من الله سبحانه بأن المعجزة قد تمت فهذا التغير الملحوظ في الموسيقى هيأ الأذهان إلى الانتقال من مشهد الولادة إلى مشهد المواجهة مع القوم، فكان ذلك الانحراف جرساً موسيقياً نبه إلى حصول ذلك الانتقال، ثم يدخل النص القرآني في تصوير أحداث المواجهة التي استمرت الفاصلة فيها

تحمل نفس الدفق الموسيقي المستفاد من إيقاعية (فعيلا) بقولـه (فريا، بغيا، صبيا، نبيا)، ثم تنحرف هذه الموسيقى مرتين إلى كلمة (حيا) كان الأول للتنبيه على ما في هذه الآية من عبر فما أوصي به عيسى عليه السلام هو نفسـه ما أوصي بـه محمد ﷺ، والآخر كان إيذانـاً بانتهـاء القصـة الثانيـة التي تضمنت معجزة الولادة.

ومن هنـا نرى (أن النسـق القرآني قد جمع بين مزايا النثر والشـعر جميعاً، فقد أعفـى التعبير عـن قيود القافيـة الموحدة والتفعيلات التامة فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة. وتضمن فـي الوقـت ذاتـه مـن خصائص الشـعر، الموسـيقى الداخلية والفواصـل المتقاربة في الوزن التي تغني عن التفاعيل والتقفية التي تغني عن القوافي)[٢٦].

وتبـدو الحكمة هنا في (قدرة التوازن الإيقاعي القرآني في كل حال على تلوين الخطـاب وحكاية حالـه ومقاماتـه قدرة تفتقر إليها لغة البشـر كثيراً، وأكثر ما يلاحظ هذا التوازن في مقامات الضراعة والنجـوى، أو مقامات ذكـر فضائل الله تعالى على عبـاده وهي مقامات تتميز فيها العبارة اللغوية بالتدفق والانسيابية)[٢٧].

لقـد رأينـا فيما مضـى من القـول أن العامـل الأساسـي الـذي يقوم عليـه نظام الفاصلة في هذه السـورة هـو إثارة التوقع وإشباع هذا التوقع، أما قانون التغيير فهو يقوم على أسـاس إحـداث الصدمة للتوقع عن طريق المفاجئة، (فإن كان ما يحدث هذه الصدمة هو ظهور شـيء جديد يشير الاهتمـام على نحو مؤكد فإن الأثر الذي يتولد في نفوسـنا هو أثر الشـيء الطريف Picturesque)[٢٨].

والمفاجئة في سورة مريم (تلعب دوراً لا يقل أهمية عن دور الإشباع)[٢٩]، والتأثير الـذي تولـده المفاجئة (يعتمد على ما إذا كان العنصـر الجديـد يمكن اسـتيعابه في الاسـتجابة الكلية أو إذا كان الذهن مضطـراً إلى أن يبـدأ بداية جديـدة كلية عند وصول هذا العنصر الجديد)[٣٠].

والملاحظ في انتقال سـورة مريم من الفاصلة المنتهية بحرفي المد (الياء والألف) إلى حرف (النون) أن الصدمة هنا ضرورية لإيقاظ السامع كون الأسلوب القصصي انتقل إلى أسـلوب آخر أكثـر أهمية مما اسـتدعي تغييـر الفاصلـة لإحـداث هـزة تناسـب المقام، فقال سبحانه (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ)[٣١].

ويعلق سـيد قطـب على هذه المسـألة بقولـه: (وهكـذا يتغيـر نظـام الفاصلـة فتطـول، ويتغيـر نظـام القافيـة فتصبـح بحـرف النـون أو بحرف الميـم وقبلها مد طويل. وكأنما هو في هذه الآيات الأخيرة يصـدر حكماً بعـد نهاية القصة مسـتمداً منهـا. ولهجـة الحكـم تقتضـي أسـلوباً موسيقياً غير أسلوب الاستعراض وتقضي إيقاعاً قوياً رصيناً بدل إيقاع القصة الرخي

المسترسل، وكأنما لهذا السبب كان التغيير)[٣٢].

ولربما كانت النون (أنسب الحبيسات العربية وقوعاً في الفاصلة، لطول مدتها الزمنية السمعية، ولكونها أشد أصوات الغنّة في العربية غنّةً)[٣٣]. ومن هنا كان اختيارها ملائماً جداً للموقف الذي تطلب تأملاً ووقفة.

وبعد الانتهاء من إصدار الحكم وبيان أن عيسى عليه السلام هو عبد من عباد الله ونفي أن يكون لله ولد سبحانه نرى (أنه بمجرد الانتهاء من إصدار هذا الحكم وإلقاء ذلك القرار، عاد إلى النظام الأول في القافية والفاصلة، لأنه عاد إلى قصص جديد)[٣٤].

لقد تبين مما مر (أن القرآن الكريم لا يعنى بالفاصلة على حساب المعنى ولا على حساب مقتضى الحال والسياق، بل هو يحسب لكل ذلك حسابه، فهو يختار الفاصلة مراعياً فيها المعنى والسياق والجرس ومراعياً فيها خواتم الآي وجو السورة ومراعياً فيها كل الأمور التعبيرية والفنية الأخرى، بل مراعياً فيها إلى جانب ذلك كله عموم التعبير القرآني وفواصله بحيث تدرك أنه اختار هذه الفاصلة في هذه السورة لسبب ما واختار غيرها أو شبيهاً بها في سورة أخرى بسبب دعا إليه وجمع بين كل ذلك ونسقه بطريقة فنية في غاية الروعة والجمال حتى كأنك تحس أنها جاءت بصورة طبيعية غير مقصودة مع أنها في أعلى درجات الفن والصياغة والجمال)[٣٥].

لقد كان الإيقاع - ولا يزال - خصيصة الشعرية الأولى. ولاشك أن هذا الإيقاع يعتمد بالدرجة الأولى على الظواهر الصوتية وهي ظواهر يمكن أن يكون لها حضور واضح في الخطاب على نحو من الإنحاء، وهو ما يدفعنا إلى القول بأن الفرق الإيقاعي بين الشعرية والنثرية هو فرق بالدرجة حيث يجمع بين الخطاب الشعري والنثري كثير من ظواهر التغيير والثبات والتخالف والتوافق، وكثير من ظواهر التساوي والتوازي، ومن الممكن توظيف هذه الظواهر في إنتاج نوع من الإيقاعية التكرارية التي اهتم لها وبها البلاغيون، وبذلوا جهداً وفيراً في اكتشاف قوانينها، وتحديد نظامها، سواء أكان ذلك في منطقة السطح الصياغي أم في منطقة العمق الدلالي، وربما كان هذا الجهد الوفير هو أساس (التكرارية) التي تكاد تسيطر على مجموع البنى البديعية[٣٦].

فالبديع (أصبح أداة تعبيرية يعتمد المفارقة الحسية والمعنوية لغة بذاتها كما يجعل من الإيقاع التكراري خاصية بذاتها)[٣٧].

وقد تطالعنا في مسيرتنا الإيقاعية هذه مسافات عدة من التوافق أو التخالف بين الدوال ضمن النظام الداخلي المتنوع، ولرصد العلاقات التكرارية بين هذه الدوال فإننا سنتتبع فاعلية كل منها ابتداء

من الحرف المفرد وصولاً إلى الدال ثم من الدال إلى الدوال مع ملاحظة أن هذا التوافق أو التخالف قد يأخذ شكلاً صورياً مفرغاً من الدلالة، خالصاً للإيقاعية.

ولو التفتنا قليلاً إلى بعض التكرارات الحرفية التي وردت في السورة المباركة لوجدنا فيها قوة إيقاعية شغلت حيزاً كبيراً، إذ يقال إن (على قدر الأصوات المكررة تتم موسيقى الشعر، وتكتمل)[٣٨]. ومن ذلك تكرار حرف الراء في مفتتح السورة بقوله تعالى: (ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا)[٣٩]، فالراء هنا كانت عنصر الجمال الذي يدور على الانسجام بين التذكر وتلك الحركة الذهنية الغيبية التي تطرق أبواب الفكر الإنساني ليعود بذاكرته إلى استيحاء الموقف وترديده في عمق خياله بالصورة التي يرسمها هو، فللإيقاع اللغوي هنا (قيمة أسلوبية كبرى، تتجلى في تلوين الأسلوب وتعديله والتصرف في تصوير المعاني المتغايرة وانتقالاتها. إنه يؤدي إلى تصعيد معايشتنا للكلام وزيادة إحساسنا به)[٤٠].

والأمر نفسه نكاد نلحظه في آيات عدة من السورة[٤١].

إن مثل هذه التكرارات أعطت للسورة كثافة موسيقية عالية جعلتها تتفوق على النظام الدقيق في الشعر بهذه الإلفة الموسيقية الواضحة في الحروف والأصوات. ونلفت الانتباه هنا إلى أن هذا المحور لا يكتفي بهذا التوافق المزدوج الذي يجعلنا في مواجهة تكرارية مباشرة، بل إنه يضيف إليها ملاحظة البعد المكاني للدوال وتنسيقها على نحو معين يساعد على توافق حركة السطح مع حركة العمق. (فتشابه الأطراف) مثلاً يقدم بنية تكرارية تعتمد على إعادة لفظة القافية في أول البيت التالي لها[٤٢]. على أننا نرصد ههنا نوعاً أعمق من هذا في سورة مريم إذ تعتمد البنية التكرارية فيها على إعادة الأحرف (في نهاية الفاصلة) في أول الآية التالية لها، كما في قوله تعالى: (وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا)[٤٣] وهذا مما لاشك فيه يمنح النص إيقاعاً تكرارياً عالياً يفوق إيقاعية اللفظة المتكررة[٤٤].

فالتغاير المكاني هنا تتلاشى فاعليته في النطق إذ إن هذا النطق قد أتاح للدوال نوعاً من التجاوز الذي يزيد فاعليتها التكرارية على المستوى الصوتي. ولا يخلو مع ذلك من حسن موقع في السمع والطبع حتى كأن معنى الكلمتين واحد[٤٥] كون هناك نوع من التلاحم الصياغي.

ومن الإيقاع اللفظي نجد للالتفات شأناً كبيراً في هذه السورة في انتقال الكلام من أسلوب إلى آخر، والانتقال هذا كان معتمداً على المخالفة السطحية بين المنتقل عنه والمنتقل إليه مع الحفاظ على التوافق والانسجام بين طرفي الالتفات، من ذلك ما ابتدأت به آيات السورة بالحديث عن زكريا وهو حديث تم بضمائر الغيبة (ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيًّا قَالَ...)[٤٦]، ثم انتقل الحديث إلى صيغة جديدة تمت بضمير المخاطب (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ...)[٤٧] وكذلك نلحظ الالتفات واضحاً في قوله تعالى: (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا)[٤٨] فقد انتقل من الخطاب إلى الغيبة، وقوله: (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا...)[٤٩]، فالقياس اللغوي في غير

القرآن يوجب أن تكون العبارة (إذا تتلى عليهم آياتنا بينات يقول...) ولكن الأسلوب القرآني البليغ حقق مستوى رفيعاً من الإيقاعية المتناسقة بين الفعل المضارع والفعل الماضي في هذه الآية.

ومن (الإيغال) نطالع قوله تعالى: (وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا)[٥٠]، والإيغال- كما هو معروف- أن يستوفي معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه، ثم يأتي بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحاً وشرحاً وتوكيداً وحسناً)[٥١]. فالملاحظ هنا أن الكلام قد تم بقوله (يبعث) كون البعث هو انتقال من الموت إلى الحياة، ومن يقع عليه البعث يحيا لا محالة قال تعالى: (قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا)[٥٢]، فهم لم يقولوا ذلك إلا بعد أن بعثوا.

غير أن الله سبحانه زاد على قوله (يبعث) كلمة (حيا) لتضفي على الآية دلالة معنوية. أكدت معنى البعث، ثم لقد تم التوصل بها إلى الفاصلة. لتحقيق التناسق الصوتي العام. وكذلك قوله تعالى: (قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا)[٥٣]، ففي قوله (في المهد) يكتمل المعنى، فجاءت كلمة صبياً تكرار للمعنى وتوكيد له وتوصلاً بها إلى الفاصلة، والأمر نفسه يلاحظ في قوله تعالى: (وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا)[٥٤].

ففي (الدوام) ينتهي المعنى لأن الدوام لا يتحقق بدون حياة، فكلمة (حيا) جاءت على التكرار المعنوي، فأعطت دفقاً إيقاعياً حين توصل بها إلى الفاصلة وفي (الارصاد) جاء قوله تعالى: (كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا)[٥٥]، وقوله: (إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا)[٥٦]، فالارصاد واضح في (نمد، ونعد) اللتين أرهصتا بالعجز (مدا وعدا) فهناك توحد بين الدالتين أدى إلى تهيؤ المتلقي لتوقع الدال الثاني، فالسياق هنا يتركنا لنمارس فاعليتنا في إنتاج (الارصاد) نتيجة لعملية (التداعي) التي تنشأ التوقع الذي يشترك مع التوقع الإيقاعي لإدراك الفاصلة. فالتكرار هنا (مما يقوي الوحدة والتمركز في العمل الفني، ومجاله قائم على لذة التوقع لما نستبق حدوثه[٥٧]. شأنه في ذلك شأن معظم قوانين الإيقاع)[٥٨].

ومن غرض (التقسيم) الذي يهدف إلى تقسيم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنواعه ولا يخرج منها جنس من أجناسه، كما يقول أبو هلال العسكري[٥٩]. نرى قوله تعالى: (يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا)[٦٠]. الذي جاء مقسماً إلى طرفين لا ثالث لهما وهما الأب والأم، هذا التقسيم منح الآية توازناً إيقاعياً ودلالياً في الوقت نفسه عن طريق جمع الطرفين ويكاد ينسحب الأمر نفسه على قوله تعالى: (يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا)[٦١]، فهذا التقسيم شامل لكل الأطراف، وهو في

الوقت نفسه حامل إيقاعية مناسبة عن طريق تعدد الفعل المضارع مع الأداة (لا)، وكذلك قوله تعالى: (لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ)[٦٢].

أما (المطابقة) فهي واضحة جلية في أكثر من موضع مثل قوله تعالى (سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا)[٦٣]، وقوله: (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا)[٦٤]، وقوله: (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)[٦٥].

إن هذه البنية (من أكثر البنى انتشاراً في الخطاب اللغوي عموماً والأدبي خصوصاً، وبرغم اعتمادها على التخالف، إلا أن البلاغيين قد درسوها داخل منطقة (التناسب)، المهم الذي يشغلنا هنا مرجع هذا التناسب وصلته بالمستوى العميق، حيث يمكن ـ على أساسه ـ إضافة هذه البنية البديعية إلى دائرة (التكرار) في كيفية إنتاجها للمعنى، لأن رأينا الذي يوافق ما قاله البلاغيون، أن التناقض يمثل تناسباً على نحو من الأنحاء)[٦٦]، فالجمع هنا بين المتضادين يمنح النص جواً إيحائياً يصل بالمتلقي إلى حدود التخيل اللفظي والاندماج النفسي المؤديين إلى خلق جو إيقاعي فطري يرصده المتلقي بسليقته حال النطق باللفظ المضاد.

ومن الصور البديعية الأخرى نلمح قوله تعالى: (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ)[٦٧]، الذي ينسجم وما أسماه البلاغيون (بمراءات النظير) لإحساسهم بما فيه من طبيعة تكرارية، أطلق عليه بعضهم (التناسب والتوفيق) و(الائتلاف) حيث يعتمد بناء هذا الشكل على (الجمع بين المتناسب) وهو ما يسمى في البلاغة الجديدة بـ(الحقل الصياغي)، وأساس هذا الحقل التداعي الإدراكي أو التناسب الشكلي، أو لتوقف بعض مفردات الحقل على بعض، فالدالان هنا يجمع بينهما واد واحد وهو وادي الحواس، ويلاحظ أن البنية العميقة تنقل الدالين إلى منطقة التقابل.

إن التكرارية في هذا الشكل تتجلى من تراكم المتناسبات في سياق واحد فالتكرارية ليست عملية توازن بين الدال

فضل قراءة القرآن

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

تعلموا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة صاحبه في صورة شاب جميل شاحب اللون فيقول له القرآن: أنا الذي كنت أسهرتَ ليلك وأظمأتَ هواجرك وأجففت ريقك وأسلت دمعتك أؤول معك حيثما ألت، وكل تاجر من وراء تجارته، وأنا اليوم لك من وراء تجارة كل تاجر وسيأتيك كرامة من الله عز وجل فأبشر، فيؤتى بتاج فيوضع على رأسه ويعطى الأمان بيمينه والخلد في الجنان بيساره ويكسى حلتين، ثم يقال له: اقرأ وارقه فكلما قرأ آية صعد درجة، ويكسى أبواه حلتين إن كانا مؤمنين، ثم يقال لهما: هذا لما علمتماه القرآن».

الكافي ٢/ ٦٠٣

والمدلـول، وإنمـا عمليـة تناسـب دلالي خالـص يجعـل انتقـال الذهن من الشـيء إلى ما يجاوره انتقـالاً ترابطياً[٦٨]. من هذا نخرج إلى أن (لجـرس اللفظة ووقع تأليف أصـوات حروفهـا وحركاتهـا على الأذن دوراً هامـاً في إثـارة الانفعال المناسـب، فالإيقاع الداخلي للألفاظ والجو الموسيقي الـذي يحدثه عند النطق بهـا يعتبر من أهم المنبهـات المثيـرة للانفعـالات الخاصـة المناسـبة، كما أن له إيحاءً نفسـياً خاصاً لدى مخيلة المتلقي)[٦٩].

أمـا الإيقاع الجملي فيظهر في ما درس تحـت عنـوان (القفـل والتقسـيم) فالقفل (يختص بختام السـور، والتقسـيم يختص بخواتـم المقاطـع وأولهـا وهـو تكـرار كلمـة أو عبارة في ختـام كل مقطوعة... والغـرض الأساسـي من هـذا الصنف من التكـرار إجمالاً أن يقوم بعمل النقطة في ختام المقطوعة)[٧٠].

مـن ذلك قولـه تعالـى: (وَاذْكُـرْ فِي الْكِتَـابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّـهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا۞ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا۞ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّـيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّـا۞ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّـكَ عَـذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّـيْطَانِ وَلِيًّا۞ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا۞ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَـكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِـي حَفِيًّا۞ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا۞ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَـا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْـحَقَ وَيَعْقُـوبَ وَكُـلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّـا۞ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَـانَ صِدْقٍ عَلِيًّا۞ وَاذْكُـرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَـى إِنَّـهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُـولًا نَّبِيًّـا۞ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا۞ وَوَهَبْنَا لَـهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَـارُونَ نَبِيًّا۞ وَاذْكُرْ فِـي الْكِتَابِ إِسْـمَاعِيلَ إِنَّـهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُـولًا نَّبِيًّـا۞ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَـهُ بِالصَّـلَاةِ وَالـزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا۞ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًـا نَّبِيًّـا)[٧١] فتكرار التقسـيم هـذا في نهايـة الآيات ينقـذه - فيما يبدو - مـن الرتابة حين يدخـل تغيير طفيف على العبـارة المكررة في كل مرة تسـتعمل فيها[٧٢].

وأكثر ما يلاحظ مثل هذا الاستخدام فـي القصائـد ذات الموضوعـات التـي تقدم فكرة أساسـية يمكن تقسيمها إلى فقرات يتناول كل منها حلقة صغيرة جداً من المعنى[٧٣].

مـن هـذا نصـل إلـى أن الإيقاعيـة التكرارية كان لها الحضور المتميز في هذه السـورة من خلال التوافق الموسيقي الناشـئ بين الأصـوات والحـروف داخل اللفظـة ومـن خـلال تكـرار الألفـاظ وانسجامها الموسيقي والدلالي، فضلاً عن

التكرار الجملي الذي أضفى على السورة إيقاعاً ملموساً سـما بها إلى عوالم جمالية رحبة ميزتها بمستوى صوتي متفرد ■

(١) العمدة، ١٥١/١.
(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص٩٠-٩١.
(٣) المصدر نفسه، ص٨٩.
(٤) لسان العرب، مادة (فصل).
(٥) البرهان في علوم القرآن، ٥٣/١.
(٦) البرهان، ٥٤/١، وينظر: إعجاز القرآن، ٢٠٦/٢-٢٠٧.
(٧) الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ص٨٢.
(٨) ينظر: البرهان، ٦٠/١.
(٩) تاريخ آداب العرب، ص٢١٦-٢١٧.
(١٠) من بلاغة القرآن، ص٧٥-٧٦.
(١١) الإعجاز الصوتي في القرآن، ص٩٣.
(١٢) سورة مريم، الآية: ١.
(١٣) الإتقان، ٣١٧/٣.
(١٤) الكتاب، ١٠٩/١.
(١٥) سورة مريم، الآية: ٢، ٣، ٤.
(١٦) ينظر أيضاً الآيات: ٥، ٦، ٢٦ من السورة نفسها.
(١٧) الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ص٩٣.
(١٨) البلاغة والأسلوبية، ص١٩٩.
(١٩) ينظر: سر صناعة الإعراب، ص٤٦.
(٢٠) ينظر: الأصوات اللغوية، ص١١٦.
(٢١) سورة مريم، الآية: ١٥.
(٢٢) سورة مريم، الآية: ١٦.
(٢٣) سورة مريم، الآية: ٢٢.
(٢٤) سورة مريم، الآية: ٢٤.
(٢٥) سورة مريم، الآية: ٢٦.
(٢٦) التصوير الفني في القرآن، ص٨٧.
(٢٧) الإعجاز الصوتي في القرآن، ص٨٢.
(٢٨) الإحساس بالجمال، ص١١٦.
(٢٩) مبادئ النقد الأدبي، ص١٩٣.
(٣٠) المصدر السابق.
(٣١) سورة مريم، الآية: ٣٤.
(٣٢) التصوير الفني في القرآن، ص٩٢.
(٣٣) الإعجاز الصوتي في القرآن، ص٩٢.
(٣٤) التصوير الفني في القرآن، ص٩٢.
(٣٥) التعبير القرآني، ص٢١١.
(٣٦) ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى، ص٣٥٤.
(٣٧) المصدر نفسه، ص٣٤٨.
(٣٨) موسيقى الشعر، ص٢٤٦.
(٣٩) سورة مريم، الآية: ٢.
(٤٠) الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ص٨٢.
(٤١) سورة مريم، الآية: ١٠ (تكرار اللام، مريم/ تكرار الحاء والجيم).
(٤٢) ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى، ص٣٦٣.
(٤٣) سورة مريم، الآية: ٦-٧.
(٤٤) ينظر: سورة مريم، الآية: ٢٦-٢٧.
(٤٥) ينظر: أنوار الربيع، ٥٠/٣.
(٤٦) سورة مريم، الآية: ٢، ٣، ٤.
(٤٧) سورة مريم، الآية: ٧.
(٤٨) سورة مريم، الآية: ١٢.
(٤٩) سورة مريم، الآية: ٧٣.
(٥٠) سورة مريم، الآية: ١٥.
(٥١) الصناعتين، ص٣٨٠، وينظر: علم البديع ص١٠٤.
(٥٢) سورة يس، الآية: ٥٢.
(٥٣) سورة مريم، الآية: ٢٩.
(٥٤) سورة مريم، الآية: ٣١.
(٥٥) سورة مريم، الآية: ٧٩.
(٥٦) سورة مريم، الآية: ٨٤.
(٥٧) ينظر: النقد الجمالي، ص٢٨.
(٥٨) الفاصلة في القرآن الكريم، ص٢٦٨.
(٥٩) ينظر: الصناعتين، ص٢٤١.
(٦٠) سورة مريم، الآية: ٢٨.
(٦١) سورة مريم، الآية: ٤٢.
(٦٢) سورة مريم، الآية: ٦٤.
(٦٣) سورة مريم، الآية: ١١.
(٦٤) سورة مريم، الآية: ٤٤.
(٦٥) سورة مريم، الآية: ٦٥.
(٦٦) البلاغة العربية قراءة أخرى، ص٣٥٤-٣٥٥.
(٦٧) سورة مريم، الآية: ٣٨.
(٦٨) ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى، ص٣٨٢-٣٨٣.
(٦٩) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ص٤١.
(٧٠) قضايا الشعر المعاصر، ص٢٥٠.
(٧١) سورة مريم، الآية: ٤١-٥٦.
(٧٢) ينظر: قضايا الشعر المعاصر، ص٢٥١.
(٧٣) ينظر: المصدر السابق، ص٢٥٠.

الإمام علي بن أبي طالب(ع) في ضمير الإنسانية

د. حيدر نزار السيد سلمان •
الكلية الإسلامية الجامعة

بدايةً عندما ينظر الشخص غير المسلم إلى علي بن أبي طالب عليه السلام كعظيم لا يقارن ورجلاً يتمتع بكل الصفات والقيم والمبادئ الكبيرة وكواحد من الخالدين الذين أرسو قيم الخير والجمال والتسامح فأن هذا الآخر قد وجد فعلاً في علي بن أبي طالب هذه المزايا الفريدة وتلك الروح السامية والنزعة الإنسانية التي شملت العنصر الإنساني دون استثناء ومن هنا كان جورج جرداق الكاتب والشاعر المسيحي قد كتب عن علي بن أبي طالب عليه السلام مجموعته الكاملة بما قد لا يستطيع كاتب مسلم كتابته لأن جرداق قد أحب علياً إلى حد العشق وأنسلت أفكار علي عليه السلام وحكمه إلى روحه وعقله وتمثلت لديه أفعال إمام المتقين وسلوكه عندما عاش مع هذه الأفعال بعقله وفكره فوازن وحقق ليصل إلى الحق الذي معه علي على طول الخط ولن يفترقا وهذا الحال هو الذي ينطبق على أعداد من المفكرين والكتاب من غير المسلمين فتوماس كاريل نظر إلى علي كصانع للتاريخ البشري ومؤسس لمسير هذا التاريخ فهو بطل له الأثر في حركة التاريخ وتشكيل أحداثه ووقائعه وحتى جبران خليل جبران

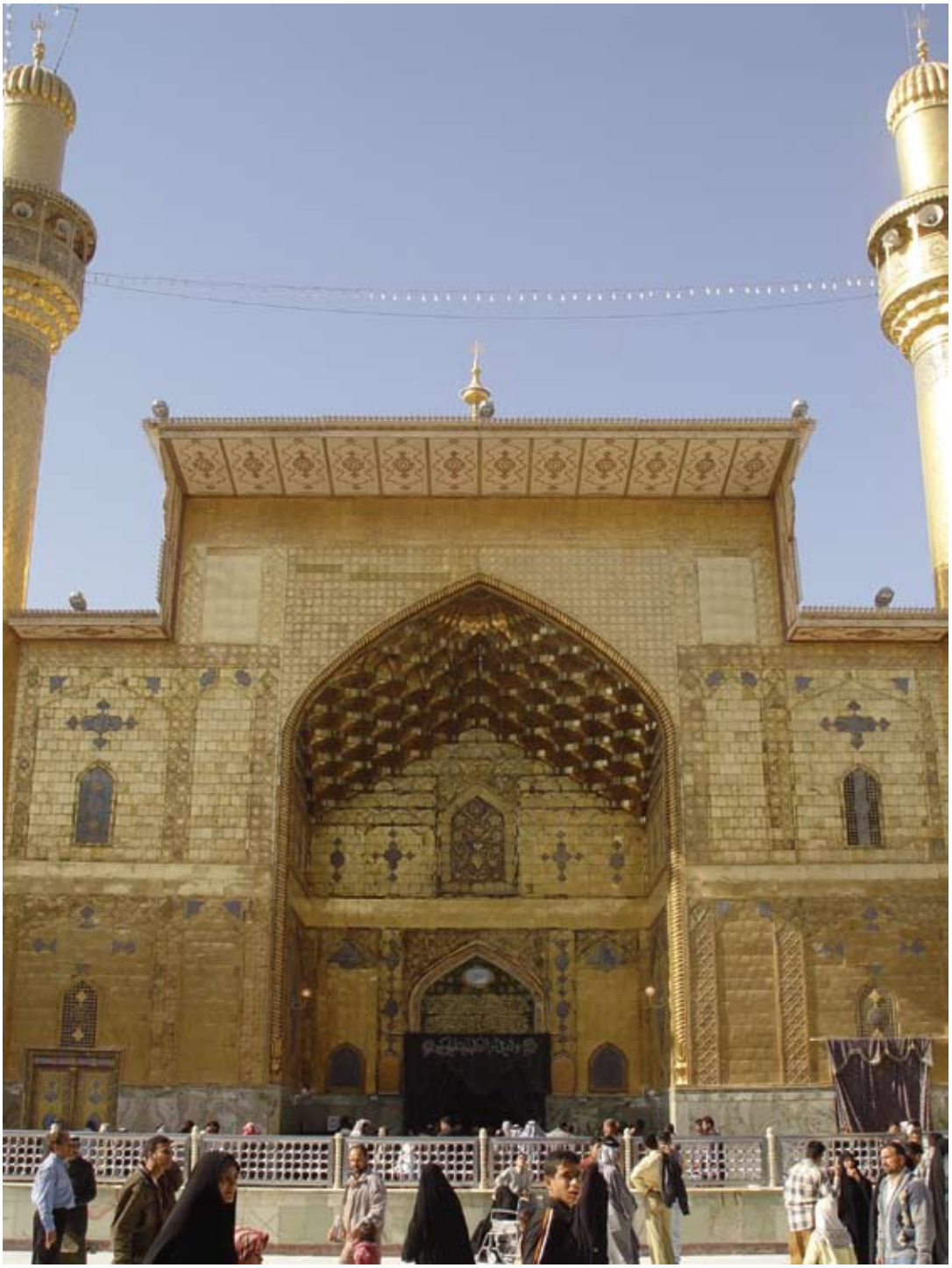

فهو يتذكر علي بن أبي طالب حين يعيش بمهجره فعلي عنده ولد لزمان غير زمانه إذ تقدم على زمانه وعصره.

كان مجموعة من الكتاب والمفكرين ومنهم الشيخ الدكتور أحمد الوائلي﵀ قد طرحوا مسألة في غاية الأهمية تدعو إلى قراءة علي بن أبي طالب قراءة عصرية جديدة تأخذ في تجسيد العلاقة بين ما جاد به الإمام العظيم من فكر وممارسات مع روح العصر بما يساهم في حل القضايا الإشكالية القائمة والجدال المحتدم بين المعاصرة. والحقيقة إن المشروع العلوي الإصلاحي الإنساني يمكن له أن يقدم حلولاً ومعالجات لمشاكل يحاول البعض أثارتها وربما بعضها مصدر لصراع فكري طال أمده ولم يتوصل المشاركون فيه إلى المبتغى من خلال إيجاد حل له.

قدم لنا الإمام العظيم ما يمكن أن نطلق عليه برامج عملية لحياة حرة كريمة وإنسانية سواء كان ذلك سلوكياً يومياً أو فكراً خالصاً نقياً وعميقاً ولعل الباحث يجد نفسه أمام فيض من هذه البرامج الحيوية المستقاة من علم إلهي ومعرفة إنسانية متراكمة ومعايشة دقيقة لوقائع اجتماعية وهكذا نجد إمام المتقين هو يغدق من ينبوعه الفكري الثر نظرية متقدمة في أصول الحكم وعلاقة الحاكم بالمحكوم والمواطن بالسلطة ففي عهده أو خطابه السياسي إلى مالك الأشتر حين أسند له حكم مصر متوسماً فيه وهو صديقه ورفيقه في السراء والضراء التطبيق والالتزام بهذا البرنامج السياسي نجد الإمام قد أزاح التراب واللبس عندما تحدث عن العلاقة بين الحاكم والمحكومين بكل أطيافهم وأديانهم وعرقياتهم وبالفعل فأن الإمام قد أثار مسألة الإنسانية بأبعادها وارتباطاتها وقدسيتها فالمقدس عند أمامنا العظيم هو الإنسان المجرد المخلوق الإلهي لأن علي بن أبي طالب قد جعل روحه متعلقة بالله تعالى عارفة ومدركه ومفكرة بما يريده الخالق من عباده الصالحين بل إن الإمام عرف ما معنى عبادة الله وطاعته معرفة حقيقية وهذا هو سر عصمته وعظمته فكان ذلك أن جعل نظرة الإمام إلى عباد الله وخلقه متميزة وواعية لأن الإنسان مقدس وعزيز ومنظور من الله تعالى الذي يراقب مخلوقاته ومن ناحية أخرى فالإمام يشرح في هذا البرنامج السياسي حقيقة موقف الدين الإسلامي العظيم من البشر كبشر لا على أساس عقائدي.

ولأن إمام المتقين قد أغترف وراكم معارفه من ابن عمه محمدﷺ نبي الإسلام وناقل الرسالة الجديدة إلى البشرية وهي الرسالة القائمة على النظرة الرحومة لكل الإنسانية لذلك فقد كان لعلي بن أبي طالب أصدقاء ومعارف من كل الديانات فكان هناك الصابئي والنصراني واليهودي وكان هؤلاء يتمارون مع إمام المتقين وكان يناقشهم بالموعظة الحسنة والحكمة بعقائدهم والحقيقة التي يمكن الوصول إليها إن قراءة لحكم وأقوال وأعمال الإمام لا تشير أو تظهر أي نزعة للتكفير أو الإقصاء أو الاحتقار لأية عقيدة دينية أو فكرية بل إن هناك ما يشير إلى مواقف تدعو إلى التأمل والتوقف عندها إذا ما قورنت بما يحدث الآن من أعمال وفتاوى تكفير وتحقير فالإمام كان يصرف المعاشات

من بيت المال إلى الجميع وقد أولى فقراء أهل الكتاب رعايته واهتمامه البالغة وهو الإمام الذي يعرف معنى الإنسانية والتعامل مع البشر لأنهم مخلوقات الله بغض النظر عما تحمله عقائدهم.

ولما كان إمام المتقين يرى وهو العالم العارف المعصوم وخليفة رسول الله إن الشعوب لا يمكن لها أن تحيا وتعيش وتزدهر وتتقدم ويزول عنها الخلاف والأمراض والفقر وتحل عليها رحمة رب العالمين فقد كان للقانون والنظام وما يحدد العلاقة وينظمها بين البشر أنفسهم مكاناً في فكره وممارساته ولعلنا نجد الكثير من التوكيدات الداعمة لفرض القانون والنظام ورفض لشريعة القوي والضعيف فالجميع متساوون عند الإمام أمام حكم القانون فلا فوارق ولا امتيازات ولا طبقات والقوي المغتصب لحقوق الفقراء والمساكين لابد أن يأخذ حق الفقراء هؤلاء من عنده مهما كلف الأمر والباغي المستهتر عليه أن يخضع لحكم القانون ولو كان حاكما على مقاطعة كبلاد الشام وهو ما فعله علي بن أبي طالب مع معاوية بن أبي سفيان حين رفض بقاءه واليا على الشام لأن الرجل تجاوز الحدود وتحول إلى مالك للبلاد والعباد فالقانون هو الحاكم ومنظم العلاقة بين الناس هو ما أراده علي بن أبي طالب عليه السلام وهو الواقف مع النصراني على دكة القضاء وأمام قاضي ليحكم بين الخليفة والإمام وبين النصراني على درع مختلف عليه فهل هناك حكمة أروع من هذه ورأيا أبلغ من هذا مع ملاحظة السياق التاريخي للحدث وحداثة الدولة الإسلامية والسؤال هو ماذا لو سار أتباع علي وشيعته على نهجه؟ فقد وضع لهم قواعد دولة القانون لأن الإمام العظيم كان عارفاً إن الأمم والدول لا يمكن أن تبنى وتزدهر إلا في ظل قانون ولنا في التاريخ الإنساني القديم والحديث مثالاً على ذلك بل إن تجربة الإمام مع النصراني لم تكن ذات معانٍ ظاهرية بل لها أبعاداً فلسفية من خلال محاولة الربط بين الإيمان بالقانون وقضائه وتطبيق هذا القانون فأمام المتقين يؤكد على مسألة الإيمان بأن القانون مهم لنشر السلم والعدل والمساواة فانعدام الإيمان بالقانون هو الذي يقود إلى عصيانه والالتفاف عليه وتجاوزه ولذا فقد تقدم الإمام العظيم الصفوف لإشاعة فلسفة القانون والإيمان به والمراد إنه كان يبغي نشر قيم ومفاهيم عند المسلمين تقودهم بالتأكيد إلى الرقي والتطور وبها يحصلون على قوتهم وينظمون حياتهم وهو ما أخذت به أمم وشعوب أخرى فساد فيها التنظيم والإدارة الناجحة وأصبحت حياتهم أكثر سلاسة وكل يعرف ما عليه وماله.

والحقيقة إن كل ما جاء به علي بن أبي طالب عليه السلام من فكر وأعمال وممارسات حياتية تعبر عن حقيقة الإسلام الأصيل بوصفه رسالة عالمية إنسانية تقف على تناقض كامل مع ما يقدمه البعض من صور وممارسات جاهلية أعطت المبرر لأعداء الإسلام برميه بنعوت وصفات ليس للإسلام علاقة بها إن المدرسة العلوية التي هي امتداد أصيل وطبيعي للمدرسة المحمدية قدمت رؤية فلسفية وفكرية وأنموذج عملي لدولة حقيقية وضع الإمام العظيم أساسها ونظمها فإمام المتقين وكتطبيق لفكره الإنساني وخلال المدة

القصيرة التي حكم فيها أوقف ما يعرف بالتاريخ الإسلامي بالفتوحات العسكرية وفضل البناء الداخلي للأمة الفتية لأن الإمام ومن منطلق قرآني يرفض سياسة الإكراه والإجبار والتوسيع بقوة السيف.

وخلال أية قراءة للتاريخ لن يجد الباحث أن علي بن أبي طالب وهو البطل الذي ليس له مثيل قد شارك في حروب الفتوحات مع شدته على الخارجين على القانون ومن الممكن القول إن الحوار والدعوة القائمة على الحجة والخطاب العقلي كان الأسلوب الذي اختاره الإمام وهذا ما جرى حتى مع معارضيه ومناوئيه فهو قد أعطى الحق للكل أن يعبروا عن أرائهم بصراحة ولا خوف وعلي بن أبي طالب لا يقتل إنساناً خلقه الله على كلمات أو شبهة ولنا في موقفه من عبد الله بن عمر بن الخطاب الذي رفض بيعة الإمام ومحاولة البعض إكراهه على ذلك فحينها وقف إمام المتقين مانعاً وكافلاً لعبد الله بن عمر وفي هذا الحدث تتجلى الحرية في الاختيار التي منحها أعدائه ومعارضيه وفي ذلك كلمة في السياسة إذ لكل شخص حريته في الاختيار والتعبير عن رأيه مادام لا ينتهك الأعراف والقيم وهذا ما لاحظه معاوية بن سفيان من جرأة أهل العراق بالتحدث الصريح أمام الحكام عند استقباله وفداً منهم أسمع معاوية من الكلمات الجريئة الكثيرة فقد قال معاوية إن هذا ما علمكم به علي بن أبي طالب وهذا بالفعل ما أراده الإمام من زرع للقوة والإيمان في النفوس وعدم الخشية من الحكام بل إن فلسفة الإمام تجعل من المواطن البسيط على نسق واحد مع الحاكم فعند علي الجميع متساوون لأن خالقهم واحد ومن مادة واحدة ومن هنا تنطلق الفلسفة العلوية فمادامو تابعين لإله واحد فلا فرق بين أحد وأحد بل الجميع متساوون وعلى نفس الدرجة.

وقد عبر الإمام عن هذه الفلسفة عندما وصف الإسلام على أنه سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي وعمار بن ياسر وهذا الوصف يشير إلى عالمية الفكر العلوي ورفضه التمييز بكل أنواعه وحتى مع قاتله المجرم بن ملجم فقد أوصى أمامنا العظيم قبل استشهاده وعندما تم إلقاء القبض على المجرم بن ملجم أن يكون التعامل معه وفق قانون الإسلام ولا تميز فضربه بضربه ولا أذى أو عذاب وقد يكون هناك أمراً آخر لو كانت الإرادة الإلهية لم تنتخب الإمام إلى جوار خالقه وهناك افتراض لمن يعرف حقيقة إمام المتقين أن يطلق سراحه فهو من يطبق العفو عند المقدرة وهذه صفات أهل البيت النبوة عليهم السلام وما موقفه من الخوارج إلا لنشر روح التسامح ورفض فكرة التكفير والإقصاء فقد رفض أن يكفرهم بل هم كما قال أخوة لنا ولم يقاتلهم عندما كانوا يعارضون سلماً وفكراً وقاتلهم عندما بغوا وقتلوا النساء وبقروا بطونهن وعندما قتلوا أكثر المسلمين إيماناً.

هذه نماذج من الفلسفة السياسية لعلي بن أبي طالب عليه السلام كان يريدها منهاجاً للأمة وطريقاً صحيحاً لها لتشكل دولة يسودها القانون وترفرف عليها العدالة والمساواة والتسامح ولكن لك يعرف الإفادة منها إلا القليل وربما أفاد منها غير المسلمون فكيف ينتفع فيها المسلمون

وفيهم من يسأل علي بن أبي طالب كم شعرة في لحيتي عندما وقف مخاطباً الجمهور أسألوني قبل أن تفقدوني فقد أراد الإمام أن يسألوه عن حالهم ومستقبلهم عن السياسة والاقتصاد والحياة وطرق بناء الدولة وكيفية التعامل لأن الإمام كان عارفاً وعالماً بما لا يعلمون من أمور الدنيا والآخرة فهو أراد أن يعرفوا كيف يعيشون ويتقدمون وأراد اختبار وعيهم حتى سأل السائل بجهل وحمق ولكن الإمام قد وضع الأساس للدولة الكريمة وقانونها وتنظيمها دولة الحرية واحترام العقيدة والحفاظ على كرامة الإنسان وحقوقه دولة القانون والعدل والتآخي ■

الخطبة الغراء

قال أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام):

«أم هذا الذي أنشأه في ظلمات الأرحام، وشغف الأستار نطفة دهاقاً وعلقة محاقاً. وجنيناً وراضعاً، ووليداً ويافعاً. ثم منحه قلباً حافظاً ولساناً لافظاً وبصراً لاحظاً، ليفهم معتبراً، ويقصر مزدجراً.

حتى إذا قام اعتداله واستوى مثاله نفر مستكبراً وخبط سادراً، ماتحاً في غرب هواه، كادحاً سعياً لدنياه. في لذات طربه، وبدوات أربه لا يحتسب رزية ولا يخشع تقية. فمات في فتنته غريراً، وعاش في هفوته يسيراً. لم يفد عوضاً ولم يقض مفترضاً. دهمته فجعات المنية في غبر جماحه، وسنن مراحه، فظل سادراً وبات ساهراً. في غمرات الآلام، وطوارق الأوجاع والأسقام. بين أخ شقيق ووالد شفيق. وداعية بالويل جزعاً. والأدمة للصدر قلقاً. والمرء في سكرة ملهية. وغمرة كارثة وأنة موجعة. وجذبة مكربة. وسوقة متعبة.

ثم أدرج في أكفانه مبلساً وجذب منقاداً سلساً. ثم ألقي على الأعواد. رجيع وصب ونضو سقم تحمله حفدة الولدان وحشدة الإخوان، إلى دار غربته، ومنقطع زورته حتى إذا انصرف المشيع. ورجع المتفجع أقعد في حفرته نجياً لبهتة السؤال وعثرة الامتحان. وأعظم ما هنالك بلية نزول الحميم وتصلية الجحيم وفورات السعير وسورات الزفير. لا فترة مريحة. ولا دعة مزيحة. ولا قوة حاجزة. ولا موتة ناجزة . ولا سنة مسلية بين أطوار الموتات وعذاب الساعات. إنا بالله عائذون...».

وفي الخبر أنه (عليه السلام) لما خطب بهذه الخطبة اقشعرت لها الجلود. وبكت العيون ورجفت القلوب. ومن الناس من يسمي هذه (الخطبة الغراء).

نهج البلاغة ١/ ١٤٣

الإمام الحسن(ع)

دراسة موضوعية تاريخية
في أخبار الصلح.. وفرية التزويج والتطليق

الشيخ حسن كريم الربيعي •
الكلية الإسلامية الجامعة

تمهيد

تخلو المناهج الدراسية من النظرة الموضوعية والبحث العلمي الجاد عن سيرة الأئمة عليهم السلام، والحق أن سيرتهم المكتوبة كمناهج تحتاج إلى إعادة نظر من قبل لجان متخصصة في التاريخ الإسلامي لتكون مناراً للأجيال ثم تدخل هذه المناهج لكافة المراحل من الابتدائية إلى مرحلة الدراسات العليا في الجامعات العراقية.

لقد درسنا في التاريخ الإسلامي على سبيل المثال الإمام الحسن عليه السلام، ولم نعرف إلا عام الجماعة، وبكل بساطة ويسر تبدأ الدولة الأموية بانعقاد الصلح مع العلم أن المرحلة التي تلته كانت من أخطر المراحل في حياة الأمة الإسلامية.

نحن هنا ندعو لدراسة موضوعية لسيرة الإمام الحسن عليه السلام، وبالأخص ملابسات الصلح وظروفه، لأنه لا يمكن تصور الإمام عليه السلام وهو يتنازل عن الخلافة بهذه السهولة ويعطيها لمعاوية.

لقد عاش أمير المؤمنين عليه السلام الظروف الصعبة والحروب الداخلية التي لم تمهله للإصلاح وإلغاء بعض البدع فقد أشغلته هذه الصراعات عن الكثير من

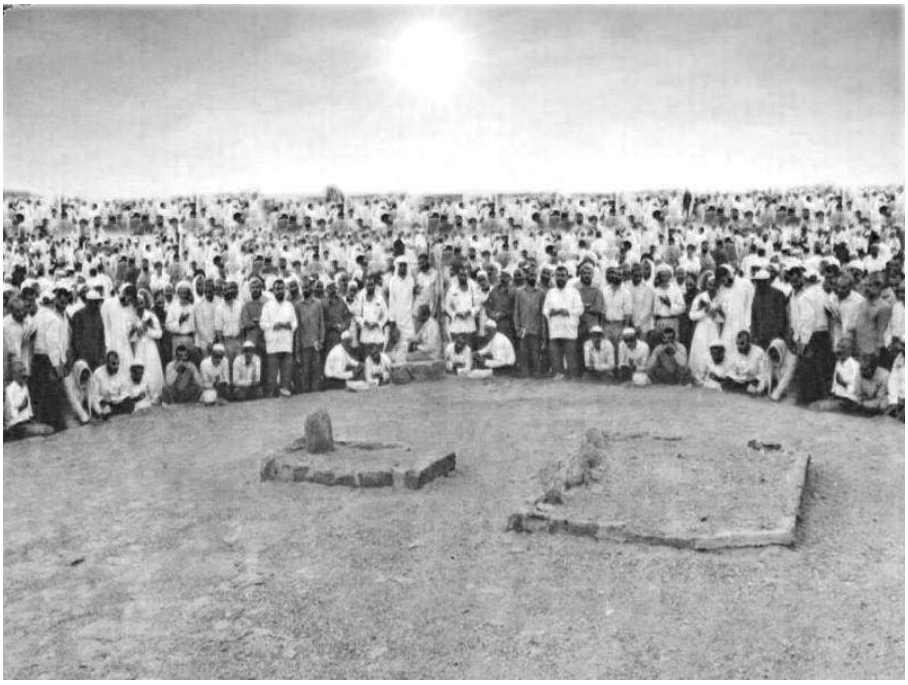

أمـور الدولة وأكثر المشـاكل خطورة مـع معاويـة وأتباعه في الداخـل والخارج فقد سـبب هذا الصراع انقسام الأمة إلى قسمين متناحرين على طول التاريخ ومن آثـاره ظهـور فرقـة الخوارج التـي تولت الصـراع الداخلي بين أهل الكوفة ونجح معاويـة فـي زرع الفرقة والتناحـر بينهم ثـم تبلور الصـراع بشـكله العملـي بعد حـرب النهروان ووقوع الـدم بين القبائل الكوفية بل أكثر من ذلك انقسم البيت الكوفـي إلى عدة انقسـامات قد تكون علوية وأموية وخارجية في البيت الواحد.

هـذا ما كان يحلم به معاوية وأتباعه، وهـو مـا أدى إلى ضعـف القبائل بسـبب ظهـور التيـارات الفكريـة المتطرفـة فتغيرت عقائـد الناس وأعطوا ولائهم لما يعتقدون.

ومـع ظهـور هـذه الانقسـامات فـي المجتمـع الكوفي نجـح معاوية وصديقه الحميـم عمـرو بـن العـاص فـي اقتطاع مصـر من جسـم الدولة وقتـل والي أمير المؤمنيـنَ عليه السلام محمد بـن أبي بكر ومن ثـم اغتيال الوالـي الجديد مالك الاشـتر قبل وصولـه مصراً، مما يدل على وصول الأخبـار بدقـة من جواسـيس فـي داخل الكوفة.

وبعد هـذا تعرضت الدولـة وأطرافها لهجمـات متتاليـة ووصلـت الهجمات إلى منطقة عين التمر وهيـت والأنبار ومكة والمدينة المنورة، وسـار معاوية بجيشـه حتـى وصـل دجلـة، ووصلـت جيوشـه اليمن سـميت هذه الهجمـات في التاريخ بالغـارات، وألـف العلمـاء الكتـب بهذا الموضـوع، ولكـن لـم يصلنـا منهـا إلا

كتاب الغارات للشيخ الجليل إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي(ت ٢٨٣هـ)، ويعد هذا المصدر من أهم المصادر القديمة التي تناولت هذه الهجمات بنوع من التفصيل، والمصدر أقدم من تاريخ اليعقوبي(ت٢٩٢هـ) وتاريخ الطبري(ت ٣١٠هـ)، ولا يمكن للباحث الاستغناء عنه في دراسة هذه الحقبة الخطيرة من حياة الأمة.

إن لفظة الغارات أخذها العلماء من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام من أحدى خطبه لأهل الكوفة حيث قال لهم وهو يلومهم على تقاعسهم عن الحرب ورد المعتدي (حتى شنت عليكم الغارات).

كانت هذه الغارات تشيع الخوف والرعب في نفوس الناس، وتوسعت بعد معركة النهروان فأصبحت أكثر من ذي قبل وكان الأمر يتفاقم أكثر فأكثر حتى سنة ٤٠هـ من الهجرة.

كل هذه الأحداث لها الدور الفعال في صنع أحداث الهدنة أو الصلح بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام وهي أحدى العوامل المؤثرة، والعامل الأخر خلو الساحة من العناصر المخلصة فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في أحدى خطبه: (أيها الناس أن أول نقصكم ذهاب أولي النهى والرأي منكم الذين يحدثون فيصدقون ويقولون فيفعلون...)[١].

وظلت العناصر المتلونة في الولاء، وهم بعض زعماء القبائل الطامعين في الزعامة القبلية وهم ينعقون مع كل ناعق.

وصرح مالك الأشتر مخاطباً أهل التحكيم قائلا: (قتل أماثلكم وبقي أراذلكم)[٢]، فان كل هذه الأمور انعكست تماماً على الأحداث وماتلاها من تصدع الدولة وظهور دولة بني أمية.

أجمعت المصادر التاريخية على بيعة الإمام الحسن عليه السلام وانه اقر الولاة على أعمالهم وزاد أعطية الجيش وأوصاهم بالعدل والإحسان ومحاربة أهل البغي وكان يقول: (إنكم سامعون مطيعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت)[٣].

بويع بالخلافة في شهر رمضان من سنة ٤٠هـ ووجه عماله إلى السواد والجبل[٤]، وينقل الطبري (ت٣١٠هـ) في تاريخه خطبة للإمام الحسن عليه السلام ثم ينقل رد من سمع الخطبة ويبدو أنهم كثرة بالشكل الآتي كان قولهم: (ما هذا لكم بصاحب وما يريد هذا القتال)[٥].

بينما نرى أن ابن الأثير(ت٦٣٠هـ) الذي نقل تاريخ الطبري وأودعه في كتابه الكامل في التاريخ - ولكن ليس بحاطب ليل كما صرح هو - ينقل نفس النص بوجود أداة الاستثناء فيه فيتغير أصل المعنى برمته فيكون النص بالشكل الآتي: (ما هذا لكم بصاحب وما يريد هذا إلا القتال)[٦]، انتبه إلى هذا التفاوت محمد جواد فضل الله في كتابه صلح الإمام الحسن عليه السلام ولكن لم يشرح ذلك الأمر الخطير بل أشار إليه في الهامش، ومن المعلوم من هذا خطورة الباحث في التاريخ فعليه البحث والفحص والتنقيب والمقارنة للوصول إلى الحكم على النص أو له، ويمكن أن يقال: إنه لابد للنص من النقد الداخلي والنقد الخارجي، كما يحدث عند الفقيه لأنه لا يعمل بالعموم إلا بعد الفحص واليأس من المخصص وهو عين ما يبحث عنه

الـدارس للتاريـخ دراسـة موضوعية فان المؤرخين قد اختلفـوا في نقل الروايات فقـد تجد رواية عند مـؤرخ غير موجودة عنـد غيـره ولا تعلـم الصحيحـة منها إلا بعد عقـد المقارنة بين جميـع المرويات والعوامـل المؤثرة في إيـراد الرواية عند هذا المؤرخ دون سواه.

وبعـد المقارنة بين الروايتين ونقدهما والظروف المحيطة بالحدث رجحنا تنقيح الروايـة مـن قبـل ابـن الأثير علـى رواية الطبـري وذلـك للمرجحـات الكثيـرة، ويظهـر ذلـك جليـا لمـن تتبـع الأحداث فإنـه يـرى عزم الإمـام الحسـن عليه السلام من زيـادة أعطية الجيش والتحـرك الفعلي له نحو ملاقـاة جيش الشـام وإنهـاء التمرد على الدولة الشـرعية، وفعـلا قد وصلت طلائعـه منطقة مسـكن ومـن ثم تحرك الجيش الأساس إلى منطقة المدائن ويبدو أنهـا محطـة انتظار للجيـوش الملتحقة به من بقيـة الأمصار لكـي يتكامل العدد ثـم الانطلاق نحو مسـكن وهي سـاحة المعركة كما تذكر الروايات.

لو نسـأل لمـاذا غير ابـن الأثير نص الطبري؟ بعـد أن رجحنا رواية ابن الأثير المتأخـر كثيرا عن الطبـري، نقول: إن أبـن الأثير لم ينقـل الروايات على علاتها بـل غير مـا يجده ملائما كمـا رأيناه هنا قد أضاف أداة الاستثناء، وربما قارن بين مصـادر كانـت موجودة فـي عصره لم تصل إلينا.

ومن المؤيدات لرواية ابن الأثير خطبة الإمام الحسن عليه السلام التي قال فيها:(إنه بلغني أن معاوية بلغه أنا كنا أزمعنا المسير إليه فتحرك لذلك فاخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة فسكتوا)[٧]، وفيها دلالة واضحة على إصرار الإمام عليه السلام على القتال، وعدم رغبـة الناس بالقتال أو هم على اختلاف على أقل تقدير.

وبعـد انتهاء الخطبة قام عدي بن حاتم وقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ومعقل بـن قيس الرياحـي وزياد التيمـي ولاموا الناس وحرضوهم على القتال[٨].

تكـوّن الجيش الذي تجمـع بصعوبة بالغـة من خليـط غير متجانـس ومن عدة فئات هي:

١ـ الفئة المخلصـة وهي قليلة بالقياس إلى الفئات الأخرى.

٢ـ فئـة الخـوارج وهـم فئـة مكفرة لمعاويـة ولأمير المؤمنيـن عليه السلام ولكنهم خرجوا مع الإمام الحسـن عليه السلام لمعرفتهم بعزم الإمام وإصـراره على القتال، وهذا ما يؤكد عزم الإمام على قتال أهل الشام وإلا لـم يخرجوا معـه أبداً لـو عرفوا أنه مصالـح لمعاوية من بداية الأمر، وبالتالي هـم الذيـن أثـاروا فتنة الجيـش وكادوا يقتلـون الإمـام لمـا شـعروا بالهدنـة قد اقتربت واتهموا الإمام بالشرك.

٣ـ فئـة المواليـن والطامعيـن بهدايـا معاويـة، وهم بعض زعماء القبائل العربية السـاكنة في الكوفة ولها تأثير مباشـر على أفرادها.

تحرك الجيـش المثقـل بالاختلافات الجوهرية بين أفراده، وتحركت طلائع منه صوب منطقة مسـكن التي تقع الآن شـمال بغـداد، واسـتقر الإمـام عليه السلام في منطقـة المدائن، ويبدو أنها من المراكز المهمـة لتجمـع الجيـوش مـن الولايـات الجنوبية والشرقية.

كانـت الطلائع بقيـادة عبيد الله بن العبـاس ومعـه قيس بن سـعد، ولكن لم

يصمد عبيد الله أمام إغراء معاوية له بمبلغ ألف ألف درهم[٩].

وكان لهذا الحدث الخطير آثاره إذ ظهرت العديد من المواقف الانهزامية مما أثر على نفسية الجيش في مسكن[١٠].

استطاع معاوية من تفتيت الطلائع قبل وصول الجيش ثم بث جملة من الأخبار الكاذبة والدعايات المضللة عن طريق عيونه في جيش الكوفة والتي لعبت دورها بذاك الجيش المتعب بهموم الماضي والمحمل بالعصبية والأحقاد والانقسامات الفكرية والآراء المتعددة[١١].

ربما تطرح الأسئلة الآتية: من الذي طلب الصلح؟ هل هو الإمام عليه السلام أم معاوية؟ وإذا كان معاوية لماذا لم يسمه الناس صلح معاوية؟.

ويمكن الإجابة بأن الروايات التاريخية صريحة بأن معاوية هو الطالب للصلح فقد أرسل وفوده ومنهم: المغيرة بن شعبة وعبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن الحكم إلى الإمام عليه السلام وهو في المدائن (ليفاوضوه في أمر الصلح)[١٢].

وروى البخاري (ت٢٥٦هـ) في كتاب الصلح أن معاوية أرسل جماعته وقال: (اذهبا إلى هذا الرجل أي الحسن بن علي فاعرضا)[١٣]، ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيه الصلح فقال: (ألا إن معاوية دعانا لأمر ليس فيه عز ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددنا عنه وحاكمناه إلى الله عز وجل بظبا السيوف، وإن أردتم الحياة قبلنا وأخذنا لكم الرضا... فناداه الناس من كل جانب البقية البقية وأمضى الصلح...)[١٤].

أما الصلح فهل هو هدنة بالمعنى الاصطلاحي الفقهي، أم هو صلح بالمعنى الأعم؟ فالمهادنة قد عرفها الفقهاء بأنها: (المعاقدة على ترك الحرب مدة معينة، وهي جائزة إذا تضمنت مصلحة للمسلمين)[١٥]، وما دامت الحرب بين الطرفين قائمة فما حصل أشبه بالهدنة وليس صلحاً، وإذا سلمنا بالصلح - وقد اشتهر بين المؤرخين والباحثين بذلك - فهو يحتاج إلى وقفة وتأمل وبحث في الأسباب الحقيقة لهذا الموقف من الإمام عليه السلام وهل وقع بالاختيار أم بالإكراه أم هي رؤية معصومية للأحداث وعدم استطاعته إجبار الناس على ما لا يرغبون.

ومع كل الذي جرى فقد أعلن الإمام عليه السلام شروطه العديدة ووافق عليها معاوية بدون أي تردد وكانت البنود التاريخية كالآتي:

١- تسليم الأمر لمعاوية على أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله.

٢- أن يكون الأمر للإمام عليه السلام من بعده فان حدث به حدث فلأخيه الإمام الحسين عليه السلام وليس لمعاوية أن يعهد لأحد.

٣- أن يترك سب أمير المؤمنين عليه السلام.

٤- على أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وان يؤمن الأسود والأحمر، وأن يحتمل معاوية من هفواتهم، وأن لا يتبع أحداً بما مضى ولا يأخذ أهل العراق بأحنة وعلى أمان أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام حيث كانوا...)[١٦].

لم يف معاوية بهذه الشروط وأشاع بين الناس أن الإمام عليه السلام وجده أهلاً للخلافة، ولما وصلت هذه الأقاويل للإمام قال: (كذب معاوية)[١٧]، ونقل عنه عليه السلام قوله: (والله ما سلمت الأمر إليه إلا أني لم أجد أنصاراً، ولو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلي

ونهاري...)[18].

إن روايات الإمام الحسن عليه السلام ومحاولات الأمويين والعباسيين لتشويه سمعته قائمة إلى اليوم فقد ادعوا أن له مائة ألف سيف كناية عن كثرة الجيش وهو لم يقاتل ونقلوها عن أصحابه ودست في كتب الشيعة الإمامية ونقلت على الألسن وعلى المنابر، ويبدو أنه تعرض لهجمة إعلامية مستمرة إلى اليوم، وبعد أن تمت فصول هذه الفرية جئ بتهمة أخطر من الأولى فاتهم بكثرة الأزواج ولم يتوقفوا عند هذه الكثرة حتى راحوا ينسجون من محض خيالاتهم أن هذه الكثرة ملازمة للفرقة فكانت حياته مقتصرة على هذا العمل، وتسربت الروايات الموضوعة إلى كتب الحديث المعتبرة عند الشيعة الإمامية بإسناد صحيح ولكنها تخالف أصل الإمامة، فقد جاء على لسان أمير المؤمنين عليه السلام قوله: (لا تزوجوا الحسن...)، إن هذا الحديث قد كتبه محدثو الشيعة في كتبهم وعلى لسان الثقات من الرجال ونسبوه إلى الإمام الصادق عليه السلام وورد في كتاب الكافي ووسائل الشيعة ومستدركه ودعائم الإسلام للقاضي المصري (ت ٣٦٣هـ)، ونقرأ سنده وكلهم ثقات من أمثال: عبد الله بن سنان ومحمد بن إسماعيل بن بزيع وجعفر بن بشير هذا من جهة سند الرواية، ولكن الكلام في متنها فهي مخالفة لأصول الإمامة ووظيفتها، فإن للإمامة صفات خاصة.

ومن المعلوم أن فرية التزويج والتطليق قد ألصقت بالإمام بدوافع سياسية من قبل الأمويين ثم العباسيين ومن أبي جعفر المنصور بالذات وذلك لما كثرت ثورات الحسنيين عليه وعلى الدولة فأشاع بين الناس أن الإمام الحسن يتزوج اليوم ويطلق غدا أخرى إلى أن مات على فراشه[19].

ولو ألقينا نظرة على مسألة الطلاق فهل يحل للإمام فعل المكروه والمبغوض مع جوازه؟!.

ذكر الفقهاء في كتبهم أن طلاق الزوجة بغير سبب مكروه، قال ابن البراج (ت٤٨١هـ) في كتابه المهذب في باب الطلاق: (فإذا اختار الرجل طلاق زوجته كان له ذلك بسبب وبغير سبب لأنه مباح له إلا أن طلاق الزوجة بغير سبب مكروه فإن فعل ذلك كان تاركاً للأفضل ولم يكن عليه شيء)[20].

وجاء في كتاب الكافي: (عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعت أبي عليه السلام يقول: إن الله عز وجل يبغض كل مطلاق ذواق)[21]، وليس بين هذه الرواية ورواية لا تزوجوا الحسن أو لا تنكحوا إلا صفحة واحدة فكيف يمكن الجمع بينهما وكيف نفسرهما إن صح سندهما؟!.

وذكر الحر العاملي (ت١١٠٤هـ) في كتابه الفصول المهمة في أصول الأئمة روايتين أحداهما عن الإمام الباقر عليه السلام، وهي بعينها المروية في كتاب الكافي وليس في الرواية ما يقيدها فهي مطلقة تشمل الجميع، والأخرى عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (ما من شيء مما أحله الله أبغض من الطلاق وإن الله يبغض المطلاق الذواق)[22]، وروي في غير هذا الكتاب أيضا: (لعن الله كل ذواق مطلاق)[23].

والطلاق وإن كان مباحاً وجائزاً إلا

انه مكروه ولا يمكن تصور فعل الإمام المعصوم للمكروه، وترتفع الكراهة في حالات المرض والعقم والنشوز والفسق وغيرها من الأمور المبيحة لذلك.

وقد رد بعض المحققين على ما أخرجه ابن سعد في طبقاته وهي عين الرواية المروية عند الإمامية لا تزوجوا الحسن، وغفل إنها مروية في كتب الإمامية ثم علل كثرة الأزواج أن هناك جملة حوادث استدعت ظروف شرعية محضة من شأنها أن يكثر فيها الزواج والطلاق معا[٢٤].

ولم يبين ما هي هذه الظروف التي دعت الإمام المعصوم أن يتفرغ للزواج والطلاق لما يترك واجبه الشرعي؟، وكان الأحرى به أن يسقط هذه الموضوعات من الأساس مع أنه التزم بعنوان الأكاذيب والمفتريات الصريحة في بعض أبحاثه[٢٥].

والعجب من بعض المعاصرين إذ ذكر أن كثرة زيجاته وأنه رجل مطلاق وغير ذلك انتشر في كتب المخالفين لأهل البيت عليهم السلام[٢٦]، وغفل هو الآخر عن مصادر الشيعة الإمامية المعتبرة وقد مر ذكرها.

وعلى كل حال فإن هذه الصفات التي ألصقت بالإمام عليه السلام تنافي عصمته وإمامته وتصوره يتزوج ويطلق من غير سبب ثم ذكروا أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يكره هذا العمل[٢٧]، ويصف ابنه بالمطلاق وينهى الناس عن تزويجه[٢٨] ألا يستطيع هو نهره عن هذا الفعل أم خرج عن طاعته، لا يمكن تصور ذلك بحقهم فهو محض كذب وافتراء.

إن الأمويين والعباسيين هم الذين اختلقوا هذه المفتريات وبثوها بين الناس وكتبها الوعاظ في كل زمان لتصويره منشغلا عن الخلافة بملذاته الخاصة وتلقفها المستشرقون وبنوا عليها أحكامهم على الإمام الحسن عليه السلام.

جاء في ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من طبقات ابن سعد بتحقيق السيد العلامة عبد العزيز الطباطبائي، قال ابن سعد: (أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني حاتم بن إسماعيل عن جعفر بن محمد عن أبيه، قال: قال علي عليه السلام: يا أهل الكوفة لا تزوجوا الحسن بن علي فأنه رجل مطلاق، فقال رجل من همدان: والله لنزوجنه فما رضي امسك وما كره طلق)[٢٩]، وعلق السيد الطباطبائي فقال: (محمد بن عمر الواقدي وعلي بن عمر في هذه الطبقة نكرة هو وأبوه مجهولان، قال الذهبي في ميزان الاعتدال: علي بن عمر الدمشقي عن أبيه وعنه بقية لا يدرى من هو)[٣٠].

والحديث مشهور في كتب الجمهور ومروي بعدة طرق، وذكره الطبراني (ت٣٦٠هـ) عن محمد بن سيرين وذكر حادثة الخطوبة من منظور بن سيار الفزاري وقوله للإمام عليه السلام: (والله إني لأنكحك واني لأعلم أنك غلق طلق ملق غير أنك أكرم العرب بيتا وأكرمه نسبا)[٣١]، والغلق: كثير الغضب، والملق: مبذر المال، والطلق: مطلاق[٣٢]، انظر إلى هذه الصفات وتأمل.

والعجب من تسرب مثل هذه الروايات إلى كتبنا المعتبرة، ولا ينقضي عتبي عن البعض بإيجاد عدة تخريجات لأمثال هذه الروايات المناقضة للعصمة والمخالفة لأصل الإمامة، فان الأئمة عليهم السلام كما

وصفهم الله تبارك وتعالى فان خلقهم القرآن وسجيتهم الزهد والعبادة وإصلاح الناس والاهتمام بأمور المسلمين.

أما ذريته فهي على عدة أقوال نذكرها تتميما للبحث:

١ـ اثنا عشر، ثمانية ذكور وأربع إناث.

٢ـ خمسة عشر، الذكور أحد عشر والإناث أربع.

٣ـ ستة عشر، الذكور أحد عشر والإناث خمس.

٤ـ تسعة عشر، الذكور ثلاثة عشر والإناث ست.

٥ـ عشرون، ستة عشر ذكراً وأربع بنات.

٦ـ اثنان وعشرون، الذكور أربعة عشر والإناث ثمان.

وقد اتفق المؤرخون أنه لم يعقب أحد من أولاده سوى الحسن وزيد[٣٢]، وبذلك ترتفع شبهة كثرة الزوجات بالنظر إلى هذه الأقوال في ذريته■

---

(١) اليعقوبي، احمد بن أسحاق، تاريخ اليعقوبي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م)، ج٢، ص١٣٧.

(٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٠م)، ج٥، ص٥٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٥، ص٥٠.

(٤) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجواهر، (بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤م)، ج٣، ص٥٠.

(٥) الطبري، التاريخ، ج:٥، ص١٦٢.

(٦) أبن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، (بيروت، ١٩٦٥م)، ج٣، ص٤٠٢.

(٧) فضل الله، محمد جواد، صلح الإمام الحسن عليه السلام، (بيروت: دار الزهراء، ١٩٧٩م)، ص٨١.

(٨) الربيعي، حسن، نظرات في فكر أهل البيت عليهم السلام (الحسن المجتبى)، ص٨١.

(٩) المصدر نفسه، ص٩٢.

(١٠) المصدر نفسه، ص ٩٣.

(١١) المصدر نفسه، ص٩٨.

(١٢) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسن بن علي عليه السلام، ج٢، ص١٠٥.

(١٣) أبن العربي، القاضي أبي بكر، العواصم من القواصم، ص١٩٩.

(١٤) فضل الله، صلح، ص١٠٨.

(١٥) المحقق الحلي، جعفر بن الحسن، شرائع الإسلام ن ج١، ص ٣٢٢.

(١٦) الربيعي، نظرات، ص١٠٧.

(١٧) المصدر نفسه، ص١٠٩.

(١٨) الطبرسي، أبو علي، الاحتجاج، (النجف الأشرف: المطبعة المرتضوية، ١٣٥٠هـ)، ص١٠٦.

(١٩) القرشي، حياة، ج٢، ص٤٦٠.

(٢٠) ابن البراج، عبد العزيز الطرابلسي، المهذب، ج٢، ص٢٧٥.

(٢١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٦، ص٥٥.

(٢٢) المصدر نفسه، ج٦، ص٣٦٥.

(٢٣) النقوي، حامد، خلاصة عبقات الأنوار، ج٤، ص٢٣١.

(٢٤) الحسون، فارس، الروض النضير، ص٢٤٨.

(٢٥) المصدر نفسه، ص٢٤٨.

(٢٦) الطائي، نجاح، أزواج النبي وبناته، ص١٢٦.

(٢٧) النوري، المستدرك، ج١٥، ص٢٨٠.

(٢٨) المصدر نفسه، ج١٥، ص٢٨٠.

(٢٩) ابن سعد، الطبقات، تحق: عبد العزيز الطباطبائي بخصوص ترجمة الإمام الحسن عليه السلام الترجمة غير منشورة في أصل الكتاب بل عثر عليها مؤخرا، ص٦٩.

(٣٠) المصدر نفسه، هامش التحقيق، ص٦٩.

(٣١) الطبراني، أخبار الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب، ص٤١.

(٣٢) المصدر نفسه، هامش ص٤١.

(٣٣) القرشي، حياة، ج٢، ص٤٦٨.

مرقد مسلم بن عقيل..

رمز التضحية الأولى في ملحمة كربلاء الخالدة

استطلاع: حيدر المجد •
تصوير: وسام المظفر •

ينابيع

اجتمعت للبيت الهاشمي مميزات وصفات قلما تجتمع في بيت من بيوتات العرب، حيث التقت الأصول الشريفة والموروثات النقية عند هاشم بن عبد مناف، جد الأسرة وباني مجدها التليد، تلك الشخصية التي طالما دارت حولها أحاديث منتديات مكة وأسواقها، حيث كانت تعج بالحركة التجارية مع ما يتبعها من نواد يتبارى فيها الشعراء كما يتبارى الشجعان في ساحات الحرب.

ولما كانت مكة ملتقى للقوافل ومنزلاً للوفود، فمن الطبيعي أن يأخذ هاشم حيزاً من اهتماماتهم، أليس هو من سن الرحلتين؟!، رحلة الشتاء والصيف، وهو من قبل قد اجتمعت له الوفادة والرفادة دون قريش وهو بعد الذي هشم الثريد للحاج مرة وأخرى عندما ضرب مكة القحط وفيه قال شاعرهم:

(عمرو العلى) هشم الثريد لقومه
وأهل مكة مسنتون عجاف

ولما مات هاشم بغزة من أرض فلسطين في رحلته تلك قام أبناؤه مقامه، جارين على عادته ولطف سجيته، فكانوا بحق آل هاشم الذين وصفهم الجاحظ بقوله: (هم ملح الأرض، وزينة الدنيا، وحلى العالم والسنام الأضخم، والكاهل الأعظم، ولباب كل جوهر كريم، وسر كل عنصر شريف، والطينة البيضاء، والمغرس المبارك والنصاب الوثيق، ومعدن الفهم، وينبوع العلم...)[1].

وقد زاد الله في شرف هذا البيت مذ اختار منه سيد أنبيائه وخيرة خلقه محمد بن عبد الله ﷺ، وهكذا بسقت الشجرة الهاشمية وأصبحت فروعها تمتد وتمتد حتى اكتسبت مما في الجذور من صفات نبيلة وأخلاق حميدة، ولما بدى بينها ذلك

الفرع الندي، قدر له أن يكون مغرساً جديداً في أرض التضحيات التي لا تنبت إلا فسائل الشهادة، ولا ترتوي إلا بدماء الشهداء فكان دمه أول الدماء التي خطت ملامح واقعة كربلاء وإن بعد عنها، إنه مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام، العلم الخفاق في سماء الكوفة الذي لازال معلمه شاخصاً يحكي لزائريه والمتنسمين شذى مزاره، بسالته وشدة تنمره في ذات الله، تسليمه لقضائه وولائه المطلق لإمامه الحسين بن علي عليه السلام.

من ذلك الصرح الطاهر سجلنا استطلاع هذا العدد من مجلتنا (ينابيع)، تزامناً مع ذكرى استشهاده (صلوات الله وسلامه عليه).

أضواء على سيرة مسلم بن عقيل

لعل سيرة مسلم بن عقيل عليه السلام أخذت من مسامع الناس ما يكفي لفهم حركته واستيعاب فكرته، فقد أصبح حديث سفير الحسين عليه السلام جزءاً لا يتجزأ عن حديث كربلاء وها هي كتب المقاتل والسير تفرد صفحات لتبيان ما جرى عليه، وهذا يجعلنا لا نطيل السرد في حديث ألفته الأسماع واستوعبته العقول إلا أننا نأخذ لمحات هنا وهناك أينما نجد ما يثير سؤالاً عنه عليه السلام.

ولادته

اختلف المؤرخون في السنة التي ولد فيها مسلم عليه السلام فقائل: (استشهد وسنّه (٢٨) سنة، وآخر يقول (٣٤) سنة، لدة العباس الأكبر بن أمير المؤمنين عليه السلام، وآخر يرى أن سنّه يوم استشهد (٣٨) سنة)[٢].

وقد رجح الشيخ عبد الواحد المظفر الرأي الأخير وعليه تكون ولادته سنة (٢٢هـ)، (وقد ولد في دارهم المعروفة بدار عقيل والتي صارت أخيراً مقبرة لآل أبي طالب وهي في أول البقيع)[٣].

أما والده عقيل بن أبي طالب فقد كان أحب ولد أبي طالب له وقد أشار النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلى ذلك حينما سئل هل تحب عقيلاً؟ فقال صلى الله عليه وآله: (إني أحب عقيلاً حبين، حباً له وحباً لحب أبي طالب له)[٤] وقد كان عقيل نسابة عالماً بأنساب العرب وقريش، وقد تميز على علماء الأنساب بإحاطته بالمحاسن والمساوئ وعلم بالمناقب والمثالب، وقد أبغضته قريش لنشره فضائح أسلافها فمقتوه لذلك ورموه بالعظائم وبهتوه بأعظم الأشياء حتى نسبوا إليه أنه فارق أخاه أمير المؤمنين عليه السلام ولحق بأعدائه من بني أمية، هذا ولعقيل يداً في الحديث والفقه والتفسير، كما شهد من شاهد رسول الله صلى الله عليه وآله حنيناً وما بعدها، وقيل شهد خيبر ومؤتة).

أما والدته فهي كما حدث ابن قتيبة بقوله: (كانت أم مسلم بن عقيل نبطية من آل فرزندا)[٥]، (وعلى هذا فليس مبتعداً عن الواقع من يرتئي أن عقيلاً خطب لنفسه بعض من عشائر النبطيين الذين يجمعهم وإياه الوقوف بتلك المشاعر المعظمة التي حث الله تعالى العباد إليها ذللاً)[٦]، في حين توجد رواية أخرى تقول إن أم مسلم (يقال لها: علية) اشتراها عقيل من الشام)[٧].

ويكفي أم مسلم من المجد والرفعة أنها ولدت أول فدائي من الشهداء الذين أعادوا للإسلام نضارته وجددوا بدمائهم حيويته.

نشأ مسلم بن عقيل عليه السلام وهو يتنقل بين تلك البيوت الطاهرة وقد عاصر مسلم ثلاثة

أئمة كان أولهم عمه أمير المؤمنين عليه السلام الذي غذاه بلباب علومه وسقاه من نمير كوثره، ما أهله كي يكون طليعة الحسين عليه السلام وسفيره، وعن هيئته ينقل البخاري عن أبي هريرة قوله: (ما رأيت من ولد عبد المطلب أشبه بالنبي صلى الله عليه وآله من مسلم بن عقيل)[٨].

وقد تزوج مسلم عليه السلام (رقية بنت أمير المؤمنين عليه السلام، فولدت له عبد الله بن مسلم الذي كان له يوم الطف موقفاً متميزاً إضافة لعلي، وأما محمد فأمه أم ولد، أما مسلم وعبد العزيز لم يعين ابن قتيبة أو غيره أمهما وله بنت واحدة أمها أم كلثوم بنت أمير المؤمنين)[٩].

مع مسلم بن عقيل في رحلته

ما أن تناقلت الأخبار هلاك معاوية بن أبي سفيان حتى تنفس الكوفيون المخلصون، الموالون لآل البيت عليهم السلام الصعداء وبدأت مبادراتهم الواحدة تلو الأخرى، تحث سيد الشهداء أبا عبد الله الحسين عليه السلام على القدوم إلى الكوفة، فهي الحاضرة التي خصها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام دون باقي المدن كي تكون عاصمة لدولته، وهل ينسى الكوفيون عدالة علي عليه السلام وشرفه وعفته وما جبلت عليه نفسه الزكية من طيب خصال؟!.

وكان تذمر الكوفيون من الوضع القائم حيث ولاة السوء الذين تتبعوا أتباع علي عليه السلام وحاربوهم بشتى أنواع المحاربة وما حادثة حجر بن عدي الكندي (رضوان الله عليه) إلا دليل ناصع على ما تعرض له المخلصون.

واليوم وقد ولى عهد معاوية فقد رأى الكوفيون أن الفرصة مؤاتية لهم كي يصلحوا أخطاءهم التي اقترفوها مع الإمام الحسن عليه السلام عندما كان بين ظهرانيهم، فكان محور رسائلهم للحسين عليه السلام يدور في جملة واحدة (أنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الحق...).

وعندما رأى الإمام الحسين عليه السلام هذا التجاوب الذي تحمله كتب أهل الكوفة، بما فيها من عبارات ذات البعد الجماهيري الواسع، حتى أولئك الذين حسبوا أنفسهم على بني أمية، فقد وجه مسلم بن عقيل عليه السلام مع كتابه الذي وضع فيه الخطوط العامة لما يطلبه منه أهل الكوفة بمعنى أن كتاب الإمام الحسين عليه السلام كان جواباً لكل الكتب التي استلمها عليه السلام والتي بينت جميعها تعبئة أهل الكوفة واستعدادهم الحقيقي لمساندة الحسين عليه السلام ونصرته فكان مضمون كتابه:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من

الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين، أما بعد، فإن هانئاً وسعيداً قد قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلكم إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الهدى والحق، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، مسلم بن عقيل، وقد أمرته أن يكتب لي بحالكم ورأيكم ورأي ذوي الحجى والفضل منكم وهو متوجه إلى ما قبلكم إن شاء الله تعالى والسلام، فإن كنتم على ما قدمت به رسلكم، وقرأت في كتبكم فقوموا مع ابن عمي وبايعوه وانصروه ولا تخذلوه، فلعمري ليس الإمام العامل بالكتاب، والعادل بالقسط كالذي يحكم بغير الحق ولا يهدي ولا يهتدي، جمعنا الله وإياكم على الهدى وألزمنا وإياكم كلمة التقوى، إنه لطيف لما يشاء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)[10]، (ثم طوى الكتاب وختمه ودعا بمسلم بن عقيل فدفع إليه الكتاب وقال إني موجهك إلى أهل الكوفة، وسيقضي الله أمرك ما يحب ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء، فامض ببركة الله وعونه حتى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها، وادع الناس إلى طاعتي فإن رأيتهم مجتمعين على بيعتي، فعجل عليّ بالخبر حتى أعمل على حسب ذلك إن شاء الله تعالى)[11].

وهذا الكتاب هو وثيقة السفارة التي منحها الإمام الحسين عليه السلام لمسلم بن عقيل كي يمثله في الكوفة، إحدى المصرين التي تنوعت فيها الولاءات والتوجهات السياسية المختلفة، فما الذي حدا بالإمام الحسين عليه السلام لاختيار مسلم بن عقيل عليه السلام دون غيره من الناس من آل هاشم؟

من النصين المتقدمين، نجد أن الإمام الحسين عليه السلام قدم مسوغات اختياره مسلماً دون غيره وهذا لا يعني أن الموجودين من بني هاشم غير مؤهلين لسفارته عليه السلام، بل أنها مسألة توزيع أدوار ومهمات، فالعباس عليه السلام مثلاً كان قد ادخره الحسين عليه السلام ليحضر واقعة كربلاء، لأن دوره هناك سيترتب عليه أثر أعظم مما لو لم يحضر الواقعة.

وفي نظري القاصر أرى أن اختيار الإمام الحسين عليه السلام لمسلم كان مبنياً على معرفة مسلم بأحوال أهل الكوفة، فقد كان مع عمه أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة ولما غادرها الإمام الحسن عليه السلام قفل مسلم راجعاً معه إلى المدينة المنورة، وكان عمره آنذاك في منتصف عقده الثالث، فهو يعرف الموالين الذين كانوا يلتفون حول عمه ويعرف أضدادهم، أضف لذلك الخبرة التي اكتسبها من والده عقيل بن أبي طالب في الأنساب أهلته كي يميز الشخصيات الكوفية.

أما النص الأول الذي أوردناه أعلاه فقد بين عناصره الباحث الأستاذ محمد الأسدي قائلا: (لقد حدد عليه السلام في كتابه إلى أهل الكوفة عناصر الحركة الناجحة على الصعيد الشعبي، وهذه العناصر هي:

١ـ الملأ، وهم جمهور الناس.

٢ـ أهل الفضل والحجى، وهم النخب والصفوة الواعية.

٣ـ الإجماع والوحدة والاتفاق.

أما أهل الحجى والفضل فلا نعتقد أن الإمام الحسين عليه السلام كان يساوره الشك في

صدق ولائهم ووعودهم، وهم أصحاب أبيه في صفين والجمل والنهروان وأصحاب أخيه الحسن عليه السلام فضلاً عن أنهم كانوا قبل هذا التاريخ يراسلونه أو يلتقون به في وفود تأتيه من العراق.

ولكن إذا كان عنده شك فهو من جمهور الناس الذين كتبوا إليه الكتب ولاسيما وأن هؤلاء من كان يعرفهم الإمام الحسين عليه السلام بالولاء للجهاز الحاكم والعمل معه طيلة السنوات العشرين الماضية)[١٢].

وعلى كل حال، فقد غادر مسلم بن عقيل المدينة في النصف من شهر رمضان المبارك سنة (٦٠) للهجرة ودخل الكوفة في الخامس أو السادس من شوال، (فنزل دار المختار بن أبي عبيدة (الثقفي)، وأقبلت الشيعة تختلف إليه)[١٣]، ولم يبين لنا التاريخ كيفية اختيار مسلم دار المختار للنزول فيه، هل كانت هناك معرفة سابقة بين المختار ومسلم؟ وإذا ما علمنا أن الإمام الحسين عليه السلام أوصى مسلماً (فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها)، وهذا يدل على وثاقة المختار الذي قدر له فيما بعد أن يقتص من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، ثم ليكون جاراً لمسلم في قبره كما نزل مسلم بداره في أول قدومه، ويرى الأستاذ الدكتور محمد حسين الصغير في قدوم مسلم إلى الكوفة رأيا خاصاً حيث يقول (وكان انبعاث مسلم بن عقيل بهذه المهمة الخطيرة يعني أنه كان أثيرا بثقة الإمام، معتمداً في تبليغ رسالته، ورائداً مبكراً من رواد ثورته، ومع هذا التقييم لسفارته ونذارته وريادته، فقد أمره بالتقوى والعمل السري والرفق بالناس واللطف بهم وهذه سمات القادة العظماء، دخل مسلم الكوفة، ونزل دار المختار الثقفي وهو اختيار دقيق لأن المختار يمثل زعامة شعبية في الكوفة، فاقبل عليه الناس)[١٤].

بين الخامس من شوال والثامن من ذي الحجة مدة بقاء مسلم في الكوفة، التي بلغت ثلاثة وستين يوماً، شهدت الكوفة تغيرات سياسية نوجزها فيما يأتي.

١- استقبال مسلم المبايعين الذين تزايدت أعدادهم يوماً بعد آخر حتى تواردت الأخبار إلى النعمان بن بشير الأنصاري، عامل يزيد على الكوفة، الأمر الذي حدى بأتباع الأمويين أن يكتبوا الكتاب تلو الأخر ويبعثوا بالكتب إلى يزيد يبينون خطورة الموقف ومدى الاستجابة الواسعة والتأييد المطلق لمسلم بن عقيل وبنفس الخطورة موقف النعمان المتراخي واللامسؤول.

٢- دخول عبيد الله بن زياد الكوفة والياً عليها، وكان قد دخل الكوفة (ملثما معتماً بعمامة سوداء حسبه الناس أنه الإمام الحسين عليه السلام فأخذوا يسلمون عليه ويتباشرون بقدومه حتى الحرس المكلفون بحراسة أبواب المدينة)[١٥].

٣- إرسال مسلم كتاباً للحسين عليه السلام يقول فيه: (أما بعد فإن الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجل حين يأتيك كتابي فإن الناس كلهم معك ليس لهم في آل معاوية رأي ولا كتاب)[١٦] (وقد كتبه عليه السلام قبل شهادته ببضع وعشرين ليلة)[١٧].

٤- انتقال مسلم من دار المختار بن أبي عبيدة إلى دار هانئ بن عروة الثقفي، والظاهر أن مسلماً أحس بأن دار المختار أصبحت غير ملائمة لأقامته فقد دخلها الكوفيون، المبغض والمحب وبالتالي أصبحت مكشوفة أمام الأعداء وقد وجد

في دار هانئ الملاذ الأمن بالرغم من تخوف هانئ من استقباله مسلم باعتباره عليه السلام مطلوباً من السلطات ولقد سجل التاريخ لهانئ دوراً مشرفاً فقد بذل دمه وحياته حفاظاً على حياة مسلم، حينما أبى أن يسلمه مما جعل عبيد الله يضربه بسوطه أولاً ثم يسجنه ثم يقتله بين قومه وهو مستضعف مغلوب على أمره.

٥- إعلان مسلم الثورة على عجل، فقد أثرت التطورات المتسارعة على قرار الشروع بالحركة، (وتقدم مسلم بن عقيل فوزع الرايات على أربعة من الرجال هم عبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندي، ومسلم بن عوسجة الأسدي، وأبو ثمامة الصائدي، وعباس بن جعدة الجدلي)[١٨] وقد استشهد من هؤلاء القادة اثنان عبيد الله بن عمرو، فقد أسره الحصين بن نمير مدير شرطة ابن زياد، وقتل يوم ٩ذي الحجة، أما الأخر فهو العباس بن جعدة، وقد قتل أيضاً على يد أبن زياد أما مسلم بن عوسجة وأبو ثمامة الصائدي فقد ادخرا نفسيهما لنصرة الحسين في كربلاء، بمعنى أنهما تواريا عن الأنظار ومن ثم التحقا بمعسكر الحسين.

٦- فشل ثورة مسلم حيث تداخلت الأحداث وقد نجح دهاء المقربين للسلطة في بث التفرقة بين الكوفيين خصوصاً تلك الدعاية الموجهة التي شكلت حرباً نفسية عند الكوفيين وهي (قدوم جيش الشام المزود بالعدة والعدد).

٧- مباشرة مسلم عليه السلام القتال بنفسه، وغياب كامل لتلك الحشود التي بايعت قبل أيام.

٨- اقتياد مسلم عليه السلام أسيراً إلى ابن زياد بعد أن أثخن بالجراح وقد أمنوه ثم غدروا به، ولما علم عليه السلام بأنه مقتول أوصى وصيته والوصية من الأمور المؤكدة للإنسان إذا حضرته الوفاة، تقول الرواية (فنظر ابن عقيل إلى القوم، وهم جلساء ابن زياد وفيهم عمر بن سعد فقال: يا عمر إن بيني وبينك قرابة دون هؤلاء ولي إليك حاجة، وقد يجب عليك لقرابتي نجح حاجتي وهي سر فأبى أن يمكنه من ذكرها، فقال له عبيد الله لا تمتنع من أن تنظر حاجة ابن عمك، فقام معه وجلس حيث ينظر إليهما ابن زياد (لعنه الله) فقال له ابن عقيل: إن عليّ بالكوفة دَيناً استدنته مذ قدمتها سبع مائة درهم، فبع سيفي ودرعي فأقضها عني وإذا قتلت فاستوهب جثتي من ابن زياد فوارها وابعث إلى الحسين عليه السلام من يرده فإني قد كتبت إليه أعلمه أن الناس معه ولا أراه إلا مقبلا)[١٩].

نجد في الوصية مسألتين هما:

١- إن القرابة التي تربط مسلم بن عقيل بعمر بن سعد هي: (أنهما من بني لؤي بن غالب، فمسلم بن عقيل بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب، أما عمر فهو ابن سعد بن أبي وقاص بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، فقصي جد مسلم الأعلى هو شقيق زهرة جد عمر ابن سعد).

٢- أما الوصية فتنقسم إلى عدة نقاط:

أ- إيفاء دين مسلم في الكوفة، وهل من المعقول لو سلمنا بان عمر سوف ينفذ البند الأول من وصية مسلم ويخرج في سوق الكوفة ويعرض سيف مسلم ودرعه ويبيعه ثم ينادي من كان له على مسلم دين فليأت ويأخذ دينه، أفهل يقدم أحد ويقول أنا صاحب الدين؟ بالطبع لا، فالذي يقول

هـو لي يقتل في سـاعته باعتبـاره متواطئاً مـع عدو الدولـة، إذن فلماذا صرح مسـلم بمثـل هـذا القـول؟ صرح عليه السلام ذلـك حتى يبين للناس أن قدومه إلى الكوفة لم يكن بدافـع الدنيا بل لإنقاذ النـاس، فقد كان مسلم يستدين من الموالين لقضاء حاجته، بالرغـم من وجـود الأموال مكدسـة بين يديه.

ب ـ استيهاب جثته الزكية من ابن زياد.

ج ـ إرسال من يخبر الحسين العودة إلى وطنه، لأن أهـل الكوفة انقلبوا من الولاء إلى الغدر.

وعلى كل حال فقد انتهى ذلك الحوار بين ممثل الحسين مسلم بن عقيل والطاغية عبيد الله بـن زياد بإيعـاز الثاني لجلاوزته قتل مسـلم، وبالفعل ما هي إلا سـاعة وقد حلقـت روح مسـلم فـي رياض الشـهداء، آمنة مطمئنة أدت رسـالتها وختمت حياتها بالسعادة الأبدية.

وقـد أمعن ابـن زياد في شـدة تنكيله بمسـلم حيث مـارس أبشـع صـور العنف الدموي فلم يكتف بقتل مسـلم ورميه من أعلى القصر وقطع رأسه الشريف بل صلبه وهانئ بالكناسـة وسـير رأسـه للشام ثم أراد أنـذال أهـل الكوفة التقـرب من أبن زياد فوضعوا برجلي مسـلم وهانئ الحبال ثم سحبوهما في الأسواق).

ضريح أول الشهداء على مر العصور:

توالـت عمـارات متعددة علـى مرقدي مسـلم بن عقيـل عليه السلام وهانئ بن عروة رضي الله عنه ولعل هذه العمارات أخـذت صورة متوالية باعتبار تلاصق المرقدين لمسجد الكوفة المعظم والذي كان موضع عناية المسلمين حيث يخضـع بين آونة وأخـرى لتحديثات وإصلاحـات الأمر الـذي جعـل المرقدين يقعان ضمن خطة التطوير والتعمير.

تنقل الرواية (... لما دفن مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة مـن قبل قبيلة مذحج بأمر ابن زياد بالقرب من دار الإمارة حتى يتسنى اسـتمرار رقابـة الشـرطة عليهمـا، وذلك ليمتنع القاصدون والزائرون من زيارتهما، ولا يحضـر هنـاك مؤبن ولا تقـام مجالس الندبـة والرثـاء ولا تقرأ الفاتحـة عليهما، ومع ذلك فلم تنقطع زيارة الشيعة وقراءتهم للفاتحة عليهما بالسر والكتمان في الليل، وذلـك خوفاً من الحرس والشـرطة وكان عدم انقطاع الشيعة من الزيارة وتسلم كل جيـل منهـم المرقد الشـريف للجيل الآخر دليل مهم من الدلائل التي تبرهن على صحة موضع القبرين)[٣٠].

والظاهـر أن أول عمـارة أقيمـت على مرقـدي مسـلم وهانـئ كانـت فـي عهد المختار بن أبي عبيـدة الثقفي ٦٧هـ حيث ينقـل المصدر السـابق (... وبقـى القبران الظاهـران على حالة عادية إلى أن جاء دور المختـار بن أبي عبيدة الثقفي، وشـيد قبر مسـلم وهانـئ وبنـى عليهما قبـاً صغيرة، ووضـع عليهما صخوراً مـن المرمر كتب علـى كل قبـر أسـم صاحبـه، وقـد عثر عليهـا أعـوام ـ غير بعيدة ـ وشـيد المختار هذين القبرين بعدما شيد قبر الحسين عليه السلام والشهداء).

وقد شيد المختار عمارته على الشكل الـذي وصفه ابن جبير سـنة ٥٨٠هـ، حيث قـال (وفي الجهة الشـرقية من الجامع بيت صغير يصعـد إليه فيه قبر مسـلم بن عقيل بن أبـي طالب)[٣١] وهذا ما أكده الأسـتاذ كامـل الجبـوري بقولـه (وبنـى المختـار المرقدين (مسـلم وهانـئ) أعلى من أرض مسجد الكوفة)[٣٢].

وفي عصر البويهيين (٣٣٤هـ- ٤٤٨هـ)، (... أضافوا بعض التعميرات بضريح مسلم بن عقيل وحثوا على السكن بجوارها، ولا يزال أكثر المجاورين لمسجد الكوفة وقبري مسلم وهاني يرجع نسبهم إلى آل بويه)[٢٣].

وفي عام ٦٨١هـ تبرع الأخوان (الصاحب عطاء الملك بن الجويني وشمس الدين بن الجويني) بضريح لمسلم بن عقيل، حيث وجدت آثارهما مكتوبة على أحد جدرانه الداخلية[٢٤].

أما الرحالة ابن بطوطة، فقد زار الكوفة في رحلته عام ٧٢٥هـ، إلا أنه لم يشر إلى ضريح الجويني، بل وصف قبر مسلم بنفس الوصف الذي وصفه به أبن جبير، ولكن الرحالة كارستن نيبور الذي زار العراق خلال الفترة (١٧٦٥م وحتى ٣ آذار ١٧٦٦م) ،ووضع خارطة لعدد من المشاهد والآثار من بينها مشهد مسلم بن عقيل الملاصق للمسجد الجامع، ذكر الضريح الذي صنعه عطاء الملك وأخوه قائلاً (هذه العمارة مشهد مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام في أيام الصاحبين المخدومين على الحق والدين(علاء الدين) وشمس الدين ولدي محمود بن محمد الجويني اعز الله أنصار دولتهما بتولي أرقاب عبيدهما محمد بن محمود الرازي وأبي المحاسن بن أحمد التبريزي عفى الله عنهما في شهور إحدى وثمانين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد وآله) وعليه كتابة تقول أن محمد الرازي وأبو المحاسن التبريزي قد شيدا هذا الأثر في عام ٦٨١هـ)[٢٥].

في عام ٧٦٧هـ بنى الملك أوس بن الشيخ حسن الجلائري (مؤسس الدولة الجلائرية)، بذل جهوداً وأموالاً كثيرة في بناء الحرم الحسيني وبنفس الوقت أجريت تعميرات للمرقدين المطهرين (مرقد مسلم وهانئ)[٢٦].

أما الشيخ محمد حرز الدين[٢٧] فيصف المرقد قائلاً: (...مرقده الشريف بالكوفة، جنب المسجد الأعظم متصل بركنه الشرقي الجنوبي عامر مشيد له حرم قديم البناء في وسطه شباك فضي صغير ومن قبل كان على قبره شباكاً خشبياً مكسياً ومزداناً بالصفر الأصفر فوق حرمه قبة عالية البناء زرقاء فرشت بالحجر الكاشاني ومرقده عامر بالزوار والوفود من كل قطر إسلامي جاء إلى زيارة المشاهد المشرفة بالعراق). أما السيد حسين البراقي فيقول (وعليه اليوم شباك فضي أوله رواق مبلط بالقاشاني، وعليه قبة كبيرة من القاشاني أيضاً[٢٨].

وقد اطلع الشيخ محمد حرز الدين على جملة من آثار مرقد مسلم نذكر منها:

١- صفحات شباك قديم كان على قبر مسلم بن عقيل كتب عليها أبيات عبد الله بن الزبير الأسدي بحروف عربية بارزة

إذا كنت لا تدرين ما الموت فانظري
إلى هانئ في السوق وأبن عقيل
إلى بطل قد هشّم السوط وجهه
وآخر يهوي من طمار قتيل

٢- أنقاض شباك آخر لقبره عليه السلام يعود تاريخ صنعه إلى سنة ١٠٥٥ وكانت المتبرعة به (أم آغا خان).

٣- صخرة بيضاء من حجر النورة - الظاهر أنها كانت مبنية على باب حرم مسلم بن عقيل وقد ذكر فيها أسم مجدد بناء الحرم، إضافة لنص شعري ينتهي بتاريخ (هي باب حطة فادخلوها سجدا)

سنة ١٢٣٢ والمجدد هو نواب حافظ محمد عبد الحسين خان) ثم يضيف (الظاهر من هدف الألقاب أن المجدد كان رجلاً من عظماء الهنود وأمرائهم)[٢٩].

والظاهر أن هناك تجديداً آخراً تلا بناء محمد عبد الحسين خان وهو بناء الشيخ محمد حسن النجفي صاحب (جواهر الكلام) فقد ورد في مقدمة كتاب جواهر الكلام ما نصه (ومن آثار الشيخ بناء مئذنة مسجد الكوفة وروضة مسلم بن عقيل وصحنها وسورها الذي لا يزال ماثلاً وكان ذلك ببذل ملك الهند أمجد علي شاه، وقد أرخ الشيخ إبراهيم آل صادق العاملي ذلك من قصيدة مدح بها الشيخ والملك هذا، فقال مؤرخاً للمئذنة في آخرها:

واستنار الأفق من مئذنة
أذن الله بان ترقى زحلْ
لهج الذاكر في تاريخها
علناً حيّ على خير العملْ
١٢٦٠هـ[٣٠]

(بعد نهاية الحكم العثماني ومجيء الحكم الوطني، أخذت وزارة الأوقاف العراقية تجري ميزانية للتعمير، وأزالت القاشاني الذي فوق القبة وكان متلفاً واستبدلوه بقاشاني جديد، وكان البناء آنذاك تحت أشراف الأسطة سعيد المعمار فبقيت القبة والضريح القديم إلى أن تبرع في عام ١٣٧٤هـ جماعة من إيران بمرقد من العاج المزخرف الثمين وقد تحدث عنه المهندس المشرف (الحاج محمد صنيع خاتم) فقال: إن

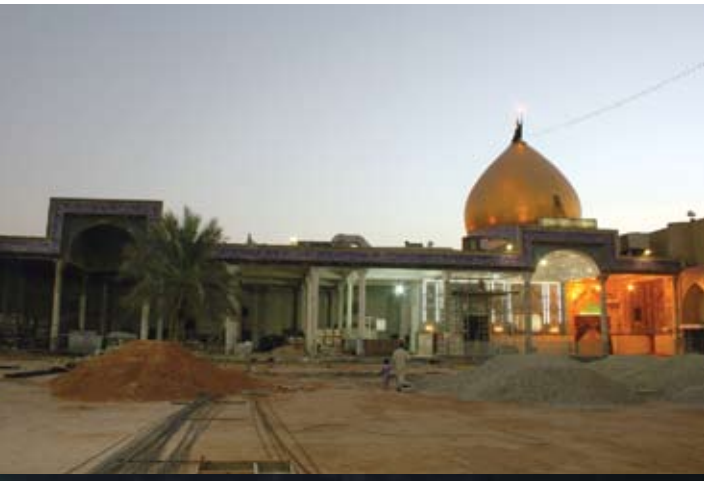

الصور أعلاه
من مراحل الإعمار التي تجري حالياً في مرقد مسلم بن عقيل

مرقد مسلم بن عقيل يعد فريداً من نوعه، يبلغ طوله (١٧٠سم وعرضه ٨٠سم)، ... ثم تبرع بعض شيعة الهند بضريح فضي جديد على شكل دائرة طول محيطه (٦٨٥سم) وطول قطره (٢٠٠سم) ووضع على المرقد الشريف وحملوا ضريح الصاحب عطاء الملك وأخيه إلى هانئ بن عروة، وحملوا ضريح هاني السابق إلى الهند، ولما وضع ظهر أنه غير لائق وصغير جداً فأعيد الضريح القديم نصب على قبر هانئ)[٣١].

في عام ١٣٨٥هـ وبإشراف المرجع الأعلى السيد محسن الحكيم قدس سره، تبرع المحسن الوجيه الحاج محمد رشاد مرزه النجفي بتوسيع الحرم وتعليه قبة أول الشهداء حيث جعل القبة الخارجية داخلية ثم غلفها بقبة أخرى حيث ستعلو عن الأولى بـ(٣ أمتار تقريباً)، أما الحرم فسيكون ذو ساحة مربعة محاطة بأربعة أواوين، طول ضلعها (١٠ وربع) ومساحتها (١٠٦م٢) عدا مساحة الأواوين حين كانت المساحة (٩٥ ونصف م٢) أي بزيادة قدرها (١١ متراً مربعاً تقريباً))، (كما تبرع بتذهيب القبة الخارجية الحاج محمد حسين رفيعي بهبهاني، من أهالي الكويت بعد أن تقدم بطلب إلى السيد الحكيم قدس سره فأجابه لذلك وكان الشروع بالعمل يوم ٢٨ ربيع الأول سنة ١٣٧٨هـ/٥ تموز سنة ١٩٦٧م، وقد طلب من المؤرخ الجليل الحجة السيد موسى بحر العلوم نظم قصيدة تكتب بالذهب على الكتيبة التي تطوق القبة المطهرة، وقد ذكر فيها السيد الحكيم والباذل محمد رفيعي وختمها بالتاريخ وهذا مطلعها:

لاحت كعين الشمس قبة مسلم
طوداً أشم من النضار القيم
شمخت بمارنها فلم تكد السما
تسمو لها ألا بنصب السلم

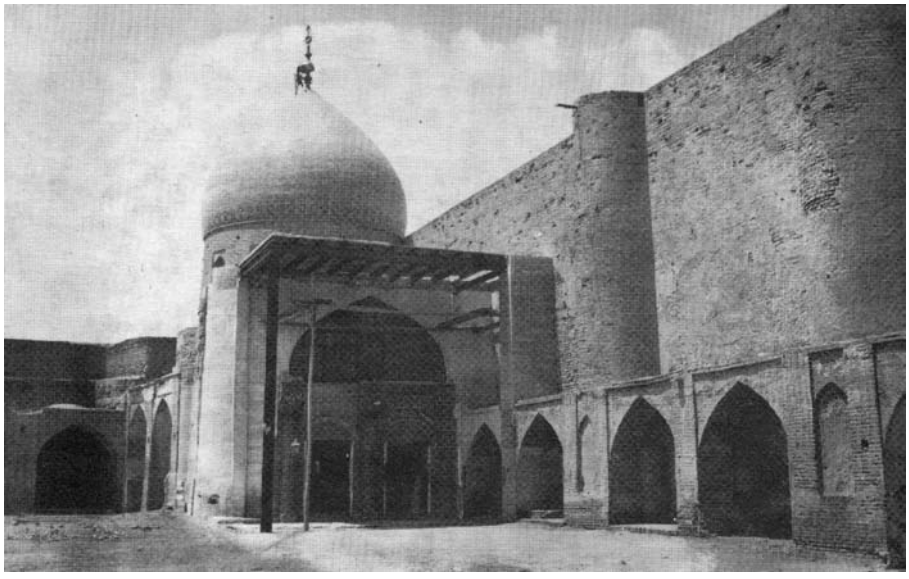

صورة قديمة لمرقد مسلم بن عقيل

تبدو على قسماتها سمة الهدى
آيا من الرحمن للمتوسم

ثم يقول:

أمر (الحكيم) بها ومحكمة القضا
بخلاف ما يقضي به لم تحكم
فتسابق الفتيان في إخراجها
من مهدها والفضل للمتقدم
وجرى (محمد الرفيع) لغاية
تنحط عنها ساميات الأنجم
وأتى بها للناس قرة أعين
عن نورها بصر العدى عمداً عمي
من شمس أنوار الولاية أرخوا
(كالبدر أشرق نور قبة مسلم)
١٣٩١هـ [٣٢]

وفي نفس العام شيد صحن يحيط بالحرم بمساعي وزارة الأوقاف، ولما كانت فكرة إنشاء ساعة خاصة بمرقد مسلم تراود الأفكار، فقد سعى السيد تقي الموسوي الخلخالي سنة ١٣٨٨هـ بتنفيذ هذه الفكرة وقد تصدى لها الموفق الحاج توفيق الحاج حسين علاوي فقام بتشييدها إلا أنهالم تصنع من الذهب بل صنع جزؤها الأعلى من الذهب والباقي من القاشاني وقد أرخ عام التشييد السيد موسى بحر العلوم بقصيدة منها:

وتبرع (التوفيق) في تشييدها
فرداً بما لا تستطيع جماعه
وأشدت ذكراها فقلت مؤرخاً:
(يجلو القلوب جميل ذكر السّاعه)[٣٣]

مرقد هانئ بن عروة

بما أن مرقد هانئ يقع في الصحن الخاص بمرقد مسلم بن عقيل فقد كان يُعَمر كلما جرت عملية التعمير أو التطوير لمرقد مسلم عليه السلام، رصدنا ونحن نبحث عما يتعلّق بمرقد هانئ ما نصه (وجد أخيراً في مصر جزء من ضريح خشبي، نقل إلى مصر وقد كتب عليه بأنه (صنع خصيصاً لقبر هانئ (الكوفة)، يعود تاريخه إلى الفترة الفاطمية)[٣٤]، وهذا يدل على أن للفاطميين آثاراً في الكوفة ومنها هذا الصندوق، وقد نقل الأستاذ محمد سعيد الطريحي ما نصه: (إن الشاه صفي الأول زار النجف سنة ١٠٤٢هـ، وأمر بشق نهر عميق عريض من حوالي

الحلة إلى مسجد الكوفة وكمنه إلى الخورنق وكان هذا النهر يمر بمرقد هاني كما ظهرت عند عمارة هذا المرقد)[٣٥]، أي أن هناك نهراً كان يمر بمسجد الكوفة، وإن مرقد هاني يطل عليه.

وقد وصف القبر السيد علي الهاشمي بقوله: (ولهانئ بن عروة روضة مشيدة وعليها قبة شاهقة من القاشاني الأخضر، وقبره يقع خلف الجدار الشرقي لمسجد الكوفة، وقبلة قبره روضة مسلم بن عقيل بن أبي طالب رائد الحسين عليه السلام، وعليه قبّة من أجود القاشاني الأخضر ولا تقل حجماً قبة هاني عن قبة مسلم بن عقيل كما أنها لا تختلف عنها باللون ولا بالهندسة، وعلى قبر هانئ ضريح من الفضة، وكان قبلاً ضريحه من البرنج الأصفر)[٣٦].

مرقد المختار

الظاهر أن دار المختار كانت ملاصقة لمسجد الكوفة حيث تنقل الرواية (ولما سقط جدار المسجد المتاخم لدار المختار بن أبي عبيد الثقفي على عهد يوسف بن عمر الثقفي بعد سنة ١٢٠ أعاد هذا الوالي بناء ذلك الجدار من جديد)[٣٧] بمعنى أن المختار دُفن في داره بعد قتله، وقد قتل لأربع عشرة خلت من رمضان سنة ٦٧هـ، فقد كان قبره معفى، ثم أكتشفه أخيراً آية الله السيد محمد مهدي بحر العلوم وذلك عام ١١٨١هـ فقد وجد صخرة مكتوب عليها بالكتابة الكوفية (هذا قبر المختار بن أبي عبيد الثقفي الآخذ بثارات الحسين)، وجرى عليه عدة تعميرات،

(ويروى أن شيخ العراقين الشيخ عبد الحسين الطهراني لما يمم الأعتاب المقدسة في العراق ونهض بعمارتها في حدود ١٢٨٥هـ فحص عن مرقد المختار في مناحي الكوفة ليجدد عمارته وكانت علامة قبره في صحن مسلم بن عقيل الملاصق بالجامع وفوقه دكه كبيرة فحفروها فظهرت علامات حمّام وبان بأنه ليس بقبره، فمحي الأثر ثم لم يزل الشيخ يفحص عنه فأنهي إليه عن العلامة الكبير السيد رضا بن السيد محمد مهدي بحر العلوم أن أباه كان اذا أجتاز على الزاوية الشرقية بجنب الحائط القبلي من مسجد الكوفة ـ حيث مثواه الآن ـ يقول لنقرأ سورة الفاتحة للمختار فيقرأها، فأمر الشيخ الطهراني بحفر الموضع، فظهرت صخرة منقوش عليها (هذا قبر المختار بن أبي عبيدة الثقفي) فعلم المكان قبراً له)[٣٨]، (وكان مدخل قبره في أوائل عصرنا من حجرة في زاوية المسجد الجنوبية الشرقية ، وفي أواخر عصرنا تصدى لإظهاره وتشييده الحاج محسن بن الحاج عبود شلاش الخفاجي النجفي، بإرشاد ودلالة من بعض المؤرخين والمنقبين من علماء النجف الأشرف، فانشأ له حرماً جديداً وألحقه برواق وحرم مسلم بن عقيل جنوباً، وجعل لقبره شباكاً حديداً، وسد باب الدهليز القديم من حجرة الزاوية في مسجد الكوفة)[٣٩].

زيارتنا لمرقد مسلم

في السابع عشر من شهر شوال لعام ١٤٢٨هـ قمنا بزيارة مرقد مسلم وهانئ، كان العمل لا زال جارياً في تهيئة وصب مساحات خرسانية في الصحن وكانت بوابة مسلم الرئيسية ومدخل مزار هانئ بن عروة مغلقتين بفعل الأعمار، دخلنا إلى مزار مسلم من خلال الباب الذهبية

الجديدة التي تم فتحها مؤخراً من جهة مسجد الكوفة، والظاهر أن مرقد مسلم كان يطل ببوابته على المسجد، من خلال ثلاث مراقي يمكن الدّخول للحضرة الشريفة، يطل الصحن بمدخله على شارع متفرع من الشارع الرئيسي نجف ـ كوفة، تبلغ مساحة الصحن (٥٣٤٤م٢)، يشكل مرقد مسلم ابن عقيل (٦٢٠م٢) من مساحة الصحن والمرقد عبارة عن باحة داخلية يتوسطها الضريح، وتحيط بجهاتها الثلاث، ثلاث أروقة متصلة، فالرواق الأول يمكن الدخول إليه من البوابة الرئيسية التي تقع في الصحن، يقابلها مدخلين كبيرين خطت عليهما كتيبة من الكاشي الكربلائي الأزرق عليه أذن الدخول وزيارة مسلم. أما الضريح فهو صندوق خشبي يعلوه صندوق فضي تبلغ مساحته (٦، ١٩م٢) وقد زينت جوانبه بباقات من الورود إضافة للثرية الجميلة التي تتدلى على الضريح، تعلو الضريح قبة مكسوة بالذهب يبلغ ارتفاعها (٢٨م) فيما يقدر قطرها بـ(٢٥م)، يبلغ عدد الطابوق المذهب (١٠٤١٥ طابوقة) طليت كل طابوقة منها بمقدار (٥، ٢) مثقال من الذهب الخالص، تزدان الجدران الداخلية للمرقد بالمرايا المزججة المنقوشة بأجمل الزخارف العربية الإسلامية وقد عملت بأيدي السيد هاشم السيد جواد سنة ١٣٩٠هـ، إضافة للمرايا فقد وضعت كتيبة تحيط بالمرقد خطت بالخط الكوفي بالآيات القرآنية كما غلفت الجدران بالمرمر، يبلغ عدد الأبواب التي يمكن الدخول من خلالها إلى المرقد أربعة أبواب كما نلاحظ ضمن الزخرفة أبيات شعرية موزعة بصورة هندسية جميلة تتغنى بمجد مسلم

بن عقيل وشجاعته وبسالة المختار بن أبي عبيدة وقد أشترك ثلاث شعراء فيها هم (الشيخ أحمد الدجيلي والأستاذ عبد الغني الجابري والأستاذ حمودي الجابري)، كما كتب على لوحة من الجدار (جدد بناء حرم مسلم بن عقيل بن أبي طالب بتاريخ ١٣٧٩هـ الموافق ١٩٦٨م وتم تزيين الحرم بالمرايا والآيات القرآنية سنة ١٣٩٠هـ الموافق لسنة ١٩٧٠م، تقرب إلى الله ومرضاة لرسوله الحاج رشاد ناصر آل مرزة من أهالي النجف الأشرف في عهد سادن الروضة الحاج طعمة آل يس الكليدار)، أما مرقد المختار فيقع في الزاوية الشرقية من المرقد وهو عبارة عن مساحة مستطيلة (١٤م٢) تقريباً تطل على الرواق بثلاث شبابيك من الخشب، ويلاحظ الضريح الذي يتوسط هذه المساحة، كما تعلوه الزيارة الخاصة بالمختار.

أما قبر هانئ بن عروة قبال مرقد مسلم بن عقيل، يمكن الدخول إليه عن طريق الباب الرئيسية التي يمتد منها دهليز يفضي إلى الباحة المرقد وهو الذي وصفناه عند كلامنا عن مراحل الأعمار فيما يتعلق بالشباك الدائري الذي صنعه الهنود، تبلغ مساحة مرقد هانئ (١٥٠م٢) فيما يعلو الضريح قبة مزدانة بالداخل بالكاشاني المزخرف ومن الخارج بالكاشي الأخضر حيث يبلغ قطرها (٥م٢) تقريباً وارتفاعها (٨م٢).

حملة الإعمار الواسعة المرتقبة

خلال زيارتنا للمرقد الطاهر التقينا بالسيد موسى السيد تقي الخلخالي الأمين لمسجد الكوفة والعتبات الملحقة به وقد أعطانا مشكوراً صورة واضحة عن حملة الأعمار التي بوشر بتنفيذها فقال (استلمت الأمانة الخاصة في شهر آب عام ٢٠٠٦م، فبدأت مباشرة بتقييم الوضع القائم في مسجد الكوفة عموماً ومزار مسلم بن عقيل خصوصاً لذا فقد تظافرت جهودنا على دعم مشاريع التطوير والتوسيع، علماً أن وضع المزار عموماً لا يلبي حاجات الزائرين كما انه لا يتناسب مع شخصية كمسلم بن عقيل أول الشهداء، وعندما وجدنا أهل الخير قد ابدوا الرغبة الحقيقية للتبرع شرعنا بالعمل فقمنا بتبديل الزخارف المزججة التي يلاحظ تلفها، كما وضعنا خطة تتضمن تبديل شباك قبر المختار بن أبي عبيدة الذي سيكون من الفضة والذهب وجعل القبر يطل على جهتين بدلاً عن الجهة الواحدة وقد أكتمل من صنعه ما يقارب ٧٠٪ كما باشرنا بصنع أبواب ذهبية لمرقد مسلم من جهة الرأس الشريف وأخرى من جهة النساء وكان المتبرعون عراقيين أما من جهة الرجلين فسوف يتم نصب باب فضية وقد تبرع بذلك رجل إيراني من أهل الإحسان كما تبرع آخرين بعمل قواطع خشبية بغية وضعها في المزار، وذلك لفصل الزائرين الرجال عن النساء، كما وصلت نصف كمية من المرمر الأخضر وننتظر الباقي والغاية منها رصف المرقد المطهر بالمرمر الجديد، وحين سألناه عن أمكانية تبديل الشباك الموضوع على المرقد، أجابنا: نعم هناك من تبنى مسألة الشباك وقد وعدنا خيراً، أما عن المنارة الخاصة بمسلم عليه السلام فقد بوشر بإعادة ترميمها بالكامل على نفقة المحسن الحاج توفيق علاوي (الذي شيدها سنة ١٩٦٨) وتتضمن مراحل الترميم،

إكمال النواقص الموجودة فيها، تصليح الساعة، تبديل الزجاج، تغيير التأسيسات الكهربائية والإنارة وجلي قمتها الذهبية، كما تبرع أحد الأخوة العراقيين في إعادة تسليك ونصب الكهربائيات للمزار.

أما طائفة البهرة فقد تبرعت بإصلاح شبابيك المزار وفتحات التبريد (Ducts).

بالنسبة للأبواب الداخلية للمرقد التي تواجه الداخل للمرقد من جهة الصحن سيتم تغليفها بالذهب، أما الكتيبة القرآنية التي تحيط بالحرم فسيتم إكمالها بمجرد إكمال المرمر.

في النية أيضاً إضافة مساحات أخرى لصحن مسلم بن عقيل، أي بمعنى التوسع نحو الجهة الشرقية لأن الجهة الغربية للمرقد يحدها مسجد الكوفة المعظم، بحيث ستبلغ المساحة الإجمالية للصحن (١٢٠٠٠م٢) حيث سيتم إنشاء مكتبة ومؤسسة لأحياء التراث مع مؤسسة تعليمية تدرس العلوم باعتبارها إعادة الدور التاريخي العلمي الخالد لمسجد الكوفة.

بالنسبة لمرقد هانئ بن عقيل سيتم تغييره بالكامل حيث أعددنا الخرائط والتصاميم وسوف نباشر العمل عن قريب أنشاء الله تعالى، وعليه ستبلغ مساحة مرقد هانئ (٨٢٥م٢) بعدما كانت (١٥٠م٢).

جهود حثيثة تسعى لإعمار هذه البقاع المباركة المطهرة، التي تضمن ثراها نفوس أبيّة كتب لها الخلود فكانت هي والفناء على طرفي نقيض ■

---

(١) مقدمة كتاب نهج البلاغة، شرح محمد عبده.
(٢) المظفر، سفير الحسين مسلم بن عقيل ص١٣.
(٣) المصدر السابق ص١٢.
(٤) الصدوق، الأمالي ص٧٨.
(٥) المعارف ص٨٨.
(٦) المقرم، مسلم بن عقيل ص٤٢.
(٧) الاصفهاني، مقاتل الطالبيين.
(٨) التاريخ الكبير ٢٦٦/٧.
(٩) المقرم، مسلم بن عقيل ص١٥٤.
(١٠) الخوارزمي، مقتل الحسين ١٩٥/١.
(١١) المصدر السابق ١٩٦/١.
(١٢) ما قبل عاشوراء ص١٦٥.
(١٣) الطبري، تاريخ ٢٦٤/٤.
(١٤) الإمام الحسين، عملاق الفكر الثوري ص٣٣.
(١٥) الأسدي، ما قبل عاشوراء ص١٨٩.
(١٦) الطبري، تاريخ ٢٢٤/٦.
(١٧) البلاذري، انساب الأشراف ق١/ج١.
(١٨) الأسدي، ما قبل عاشوراء ص٢١٤.
(١٩) المجلسي، بحار الأنوار ٣٥٦/٤٤.
(٢٠) الجبوري، مزارات الكوفة ص٤٤.
(٢١) المصدر السابق ص٤٥.
(٢٢) المصدر السابق، ص٤٤.
(٢٣) الجبوري،تاريخ الكوفة الحديث،٩٩/١.
(٢٤) المصدر السابق ٩٩/١.
(٢٥) العمري، رحلة نيبور وما بعدها ص٨٤.
(٢٦) الجبوري، مزارات الكوفة ص٤٦.
(٢٧) مراقد المعارف ٣٠٧/٢
(٢٨) تاريخ الكوفة ص٩٨.
(٢٩) مراقد المعارف، ٢/ ٣١٠.
(٣٠) جواهر الكلام ١/ ٢١.
(٣١) الجبوري، تاريخ الكوفة الحديث،١٠٠/١_١٠٦، بتصرف.
(٣٢) حرز الدين، معارف الرجال ٣١١/٢.
(٣٣) الجبوري، تاريخ الكوفة الحديث، ١٠٠/١-١٠٦، بتصرف.
(٣٤) المشهدي، فضل الكوفة ومساجدها ص٨٧.
(٣٥) العتبات المقدسة في الكوفة ص٣٣.
(٣٦) تاريخ من دفن في العراق من الصحابة ص٥٤٢.
(٣٧) البلاذري، أنساب الأشراف ٤/ ق٢ ص٢٨.
(٣٨) الجبوري، تاريخ الكوفة ١٠٦/١٢.
(٣٩) حرز الدين، معارف الرجال ٣١٤/٢.

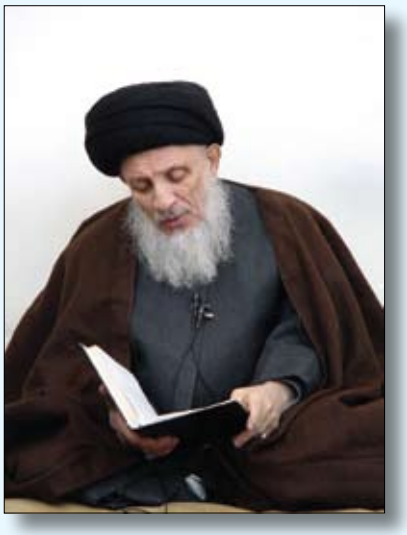

يعلن باب (في رحاب الفقه) عن استعداده للقراء الكرام في استقبال أسئلتهم الفقهية، والإجابة عنها في ضوء فتاوى سماحة المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم (مدّ ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

س: ما هو المنهج الذي وضعه النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) لضمان وصول أحاديثهم وأفعالهم إلينا صحيحة؟

ج: المنهج الذي أمضاه الشرع الشريف للتعرف على ما صدر من المعصومين هو التواتر ونحوه مما يحقق اليقين بذلك، كما أقرَّ الناس على الاعتماد على أخبار الثقات أو الأخبار التي يوثق بصدورها منهم (عليهم السلام). وتفصيل ذلك في كتب الأصول والحديث المختصة.

س: هل التربة التي تأتينا من كربلاء لها نفس القدسية وميزة الشفاء أم هي تربة القبر الشريف للحسين (عليه السلام) فقط؟

ج: ورد في الروايات الشفاء في تربة قبر الحسين (عليه السلام) فانه يجوز أكله بنية الاستشفاء قال أبو عبد الله (عليه السلام): (الطين كله حرام إلا طين قبر الحسين (عليه السلام) فان فيه شفاء من كل داء).

ويجوز الاستشفاء بالطين المأخوذ من مسافة ميل من قبره (عليه السلام) من جميع الجوانب وأفضله ما يؤخذ من مربع سعته سبعون باعاً في سبعين

باعاً يتوسط القبر الشريف يقارب مربعاً سعته مائة وعشرون متراً في مائة وعشرين متراً وأفضل ذلك ما يؤخذ من عند الرأس الشريف.

س: المال المأخوذ من محل يباع فيه الحلال والحرام هل يجب فيه الخمس؟

ج: المال المأخوذ حلال ما لم يعلم بحرمته بعينه ولا يجب فيه الخمس إلا إذا زاد عن المؤنة عند حلول رأس السنة الخمسية.

س: ما حكم من يحتاج للخروج من مكة بعد عمرة التمتع وقبل الإحرام لحج التمتع لتفقد خيام عرفة أو استقبال وإرشاد الحجاج القادمين من الطائف أو جده ونحو ذلك مما يتفق لأصحاب القوافل أو مرشديها مع اطمئنانه ووثوقه برجوعه إلى مكة في وقت يكفي للإحرام منها وإدراك الوقوف الاختياري بعرفة؟

ج: لا يجوز له الخروج من مكة إلاّ محرماً للحج.

س: ما حكم من زاد شوطاً في طوافه بعنوان الاحتياط؟ وهل يختلف الحال بين أن يكون قد نوى ذلك قبل الشروع في الطواف أو أثنائه؟

ج: لا مانع منه عند احتمال فساد شوط واحد ولو نوى الإتيان بالاحتياط عند احتمال الفساد قبل الشروع في الطواف.

س: هل يعتبر استعمال الهاتف الثابت أو الجوال بالنحو المتعارف تغطية للأذن بنحو يعد معه ستراً للرأس؟ وما حكم السماعة الصغيرة التي تستخدم للهاتف الجوال؟

ج: لا يجوز استعمال الهاتف الثابت أو الجوال إذا كان بالاتصال بالأذن على نحو يستر الأذن أو مقداراً منها ومع الابتعاد عنها فلا بأس به وأما السماعة الصغيرة للهاتف الجوال فلا بأس بها.

س: ما حكم المشاركة أو المساهمة في تأسيس بنوك سواء كانت حكومية أو أهلية في البلاد الإسلامية؟

ج: لا بأس بالمشاركة أو المساهمة في تأسيس بنوك لا تتعامل بالمحرمات.

س: هل يجوز للمرأة كشف قدميها حين أداء الصلاة؟ وما حكم ذلك بعد الصلاة؟

ج: لا يجب سترهما من جهة الصلاة ولكن الأحوط وجوباً سترهما عن الناظر الأجنبي.

س: هل تعتبر التوقعات الفلكية المتعلقة بالأبراج والتي كثر التداول بها في أيامنا هذه على محطات التلفزة وفي الصحف والمجلات، من التنجيم

المنهي عنه؟

ج: أصل الإخبار بالأمور الفلكية إذا لم يكن بنحو الجزم فلا يكون حراماً ولكنه لا ينبغي وإنما يحرم ذلك إذا كان بنحو الجزم ويحرم التصديق الجازم به كذلك والتكسب بذلك.

س: ما هي طريقة النذر الصحيحة؟

ج: الطريقة الصحيحة للنذر أن يجعل الأمر المنذور لله تعالى ولا يكفي جعل المكلف الشيء على نفسه من دون أن ينسبه إلى الله فلا يكفي أن يقول (عليّ كذا أو جعلت عليّ كذا أو نذرت كذا) بل لابد أن يقول (لله عليّ كذا أو عليّ لله كذا أو عليّ لله نذر) ونحو ذلك مما ينسب المنذور فيه إلى الله تعالى.

س: إذا أصاب رأس المحرم بلل من عرق أو غيره فجفف مقدم رأسه للوضوء بواسطة جزء من إحرامه أو غيره. هل يصدق عليه انه غطى رأسه فتلزمه الكفارة؟

ج: يجوز المسح والتجفيف لكن لابدّ أن لا يبقى على رأسه مدة معتداً بها بحيث لو بقي كذلك لصدق عليه عنوان التغطية المحرّم.

س: هل يجوز لبس النظارة أثناء رمي الجمرات لأحمي نفسي من الضرر؟

ج: نعم يجوز ذلك.

س: لو ترك المكلف الرمي ليلاً لظنه بقدرته على الرمي نهاراً، وفي النهار لم يستطع الوصول للجمرة؟ فهل يجب عليه الانتظار والفحص؟ أو الرمي ليلاً عند العلم بتيسر ذلك وسهولته؟ أم يستنيب فوراً؟ ولو انكشف بعد فترة ارتفاع العذر هل تجب عليه الإعادة؟

ج: المأذون في تقديم الرمي ليلاً يجوز له ذلك، وإذا لم يرم ليلاً وجب عليه الرمي في النهار بنفسه إذا قدر عليه، ويستنيب إذا عجز ويئس عن القدرة إلى آخر النهار. ولا يجوز الرمي في الليل المتأخر.

وإذا عجز ويئس عن القدرة واستناب ثم انكشف زوال العذر فالأحوط وجوباً الإعادة بنفسه. والله العالم.

س: يذكر الفقهاء ان المال الذي يحج به يجب أن يكون مخمساً، فهل المقصود كل المال الذي يصرفه من أجل الحج، كأجرة الذهاب والإياب والسكن والمأكل والمشرب، أم المقصود قيمة ثوب الإحرام والهدي فقط؟

ج: الحج واجب والخمس واجب، ولا علاقة لأحدهما بالآخر، نعم إذا اشترى ثوب الإحرام ونحوه بمعاملة شخصية على المال غير المخمس مع الالتفات إلى عدم تحقق قصد القربة منه بطل حجه والمعيار في صحة الحج تحقق قصد القربة منه.

س: ما حكم ذهاب الزوجة

لأداء العمرة دون محرم وكذلك للابنة مع موافقة الزوج؟

ج: لا مانع من ذهابهن في مفروض السؤال من دون خوف الخطر ولا الضرر عليهن.

س: هل يجوز للمسافر أن يتم صلاته في جميع مكة المكرمة والمدينة المنورة؟ وهل هناك فرق بين الجديد منهما والقديم؟

ج: يجوز له الإتمام في مكة المكرمة القديمة دون الجديدة، كما يجوز الإتمام في المدينة المنورة القديمة والمراد بها التي كانت في عهد الإمام الجواد (عليهم السلام).

س: هل يجوز لي الإتيان بالعمرة المفردة أكثر من مرة، سواء عن نفسي أو نيابة عن آخرين؟

ج: إذا كانت العمرة المفردة عن نفسك فلابدّ أن يفصل بين العمرتين عشرة أيام، وإذا كانت نيابة عن الآخرين فيجوز تكرارها ولو مع عدم الفاصل المذكور.

س: شخص يعمل سائقاً لدى شركة للنقل الجماعي ويكلف أحياناً بالذهاب إلى مكة للعمل، ولا يسمح له بالإحرام لدخولها من قبل إدارة الشركة، ويتعرض للفصل من العمل إن وجد محرماً، فما هو تكليفه، وقد لا يتمكن من الإحرام وأداء العمرة أصلاً لظروف العمل الذي يوجب عليه الدخول والخروج المستمرين، فما هو تكليف هؤلاء؟

ج: يجب عليه الإحرام في كل شهر مرة ويحرم بملابسه ويؤدي العمرة ثم يدفع الكفارة للبس المخيط وأخرى للتظليل هذا إذا لم يتكثر دخوله وخروجه بمقتضى عمله، أو كان الفاصل طويلاً، وإما إذا تكثر الدخول والخروج وكان الفاصل قليلاً فلا يجب عليه الإحرام وأداء العمرة إلاّ في المرة الأولى.

س: أيهما أفضل أن أحج أو أن أسدد ديوني المتراكمة عليّ مع العلم أني لم أحج ولا مرة؟

ج: لا يجوز تأخير وفاء الديون التي حلّ أجلها عن وقتها المقرر وحينئذٍ فلا يجوز الحج.

س: ماذا يفعل الحاج عندما يصاب بالنجاسة حال الطواف؟

ج: إذا استطاع التخلّص من النجاسة في مكانه، ولو بنزع الثوب فعل ذلك وإلاّ كان الخروج لتطهير الثوب أو البدن ثمّ يرجع فيتم طوافه ولا حاجة لاستئناف الطواف وإن كان الأحوط استحباباً لو التفت للنجاسة قبل إكمال الشوط الرابع أن يأتي بطواف تام مردداً في نيته بين كمال الطواف الأول واستئناف طواف آخر ■

قصيدة:

أبـــا السبطين

محمود محمد حسين الموصلي •

إلا يـا أَيُّـهـا الـقـلـبُ الكسيرُ ... تـولّـى أمـسُـك الـغـضُّ النَّضيرُ
وصـــوَّح أمـسُـكَ الـزّاهـي يباباً ... وفـي جَـنَـبـاتـهِ حَـلَّ الـنـذّيـرُ
وهَـــذا الـعـمـرُ ركـبٌ قـد تهادى ... إلـى حـيـث الـزمـانُ بـه يسيرُ
لـئـن ســاءت أمـانـيـك الـرّزايـا ... كـطـيـر هـاضـه جُـنـحٌ كـسـيـرُ
فـرفـقـاً أيـهـا الـقـلـبُ المعُنى ... فـأنّ الـجـرحَ لـو تـدري كبيرُ
مَضى الصّحب الكرامُ فليس إلاّ ... الأسـى والليلُ والـذكـرى سميرُ
ألـــوذ بـــزورقِ الأحـــلام عَـلّـي ... إلـى بـرّ الـمـنـى يـومـاً أصـيـرُ
لِـتُـزهِـرَ نـجـمـةٌ فـي لـيـلِ عمرٍ ... أظـــلَّ ربـيـعـهُ لـيـلٌ مـطـيـرُ
فـلا تـأسـى عـلـى مـاضٍ تولى ... ودنـيـا عـيـشـهـا عـيـشٌ حقيرُ
وَمَـــن يـتـأَلـفِ الـدنـيـا غـروراً ... فـبـالـرَّمـضـاءِ مـنـهـا يستجيرُ
نهيمُ بها على جَـهْـلٍ وننسى ... بـــأن مـقـامـنـا فـيـهـا قـصـيـرُ
ستبلى هـــذه الأجـســـادُ يـومـاً ... وتـفـنـى، فـالـفـنـاء لـهـا مصيرُ
لـتـجـزى كـلُّ نـفـسٍ مـا تـولَّـتْ ... عَـلـيـهـا شـاهِـدٌ مـنـهـا خبيرُ
فـأن هُـدِيَـتْ إلـى رَشَـدٍ ستنجو ... وإن بـاءت فـمـثـواهـا السّعيرُ
وهـــذا الـكـوثـر الـرقـراق عـذبٌ ... يـــذود حـيـاضَـه لـيـثٌ أمـيـرُ
قسيم الـنـار يـومَ الـحـشـرِ حقاً ... وفـي (الأعـــرافِ) آيـات تشيرُ
جَـلاهـا مُـحـكـم الـتـنـزيـل نصاً ... ويـنـكـرهـا عـلـى عَـمْـدٍ بَصيرُ

فَـيـومُ الـفـصـلِ مـوعـدهُ قـريـبٌ ... وعُـقـبـى الـكـفـر شَـرٌّ مستطيرُ
أبـا السبطين إن عَصَفت خطوبٌ ... فـأنـتَ لكشفها.. أنـت الجديرُ
وأنـتَ المرتجى فـي يـوم حَشْرٍ ... تجيرُ الـخـلـقَ إنْ عـزَّ المجيرُ
لـئـن حـادت بـأقـوامٍ سبيل ... فـضـلَّ الـرأي منها والـمـشـيـرُ
فـنـهـجُ خـطـاك لـلآتـيـن دَرْبٌ ... وفـكـرٌ لا حِـبٌ ثَـرٌّ وفـيـرُ
وفـيـض نـداك لـلـصـاديـنَ وِرْدٌ ... ونـورُ ولاك مطلعُه (الـغـديـرُ)
ومـنْ طـلـبَ النجاة بغير هـدْيٍ ... أصـلَّ سـبـيـلـه فـهـو الـكـفـورُ
ومـن ركـبَ السفينة فـي عُـبـابٍ ... فـلا دَرَكـاً يـخـافُ ولا يحيرُ

قصة قصيرة:

أخـــي

بنت العراق •

ينابيع

منذ وعيت على الدنيا وأنا أحمل على كاهلي عار أخي.. نعم أخي الذي ليس لملامحه صورة واضحة في ذاكرتي.. وما أتذكره عنه أقرب إلى الخيال منه إلى الواقع.. لازلت أحمل عبء أخوته لي دون أن يكون لي نصيباً خيراً منها..

عندما يذكر.. تبكي والدتي بأسى.. ويثور أبي حانقاً.. سعيت لأعرف لماذا يذكرونه بحزن ويلومونه بشدة.. قصته تنقل بهمس من فم لآخر وعندما كبرت استطعت أن اسمعها بنفس الهمس من فم عمتي التي تسكن معنا.

أبي رجل عصامي بنى نفسه بنفسه وأراد لنا أن نكون مثله.. كنت صغيراً عندما تخرج أخي من الإعدادية وقرر العمل.. وبالرغم من حالنا الميسور فقد فرض عليه والدي أن يعمل لديه.. ولكن؛ مثله كأي عامل.. وبنفس الأجر..

ثار أخي وتمرد.. ثم عاد.. وتوسل.. دون جدوى.

أراد مبلغاً من المال يبدأ فيه مشروعاً خاصاً به.. لم يكن مقتنعاً أن عليه أن يبدأ من الصفر.

لكن سيادة أبي على البيت لا تطاق.. ومن يتمرد لا يجد ملجأ..

كأي شاب في تلك الظروف العصيبة كان أخي يحلم بالسفر خارج الوطن مع مبلغ من المال.. يبني نفسه هناك في أجواء الحرية..

سمع أبوه بالفكرة وزادت الأمور تعقيداً.. وظل يعمل بتلك الأجرة الزهيدة عند والده..

ومرت الأيام.. ساءت ظروف البلاد.. ونحن ننتقل من حرب إلى أخرى.. وقبل قيام الحرب حوّل أبي معظم ثروته إلى مال وخبأها عندنا في البيت.. واتخذت الأمور مساراً جديداً.. ولدت الانتفاضة وتنفسنا الصعداء.. وقبل أن نستنشق عطر الحرية.. خنقت في مهدها.. وها هي جيوش الطاغي تقتحم بيوت الآمنين.. وتسلبهم متاعهم وتنهب أموالهم.. لهذا خاف أبي كثيراً على ثروته.. وخاف أكثر أن يتهم بالسرقة..

فأرسل أخي مع المال بعد أن وضعه في حقيبة جلدية مع الكثير من الملابس للتمويه.. ذهب إلى بيت عمي في الريف هناك المكان آمن.. ويمكن أن يخبأ هناك ريثما تهدأ الأمور..

رحل أخي.. ولكنه لم يصل إلى بيت عمي.. ولا عاد إلينا.. اغتنم فرصة طالما سعى إليها.. أخذ معظم ثروة أبيه.. وحلق ليحقق حلمه خارج الوطن..

قيل إنه شوهد في بلد مجاور.. وقيل غير ذلك الكثير..

.. ما بقي من ثروة أبي من بضاعة

لحقها الخراب وبقينا لعدة سنوات نتوارى عن الدائنين.. وانتقلنا من حال إلى حال.. ولكن أي حال..

من بيت مترف كبير.. إلى بيت صغير في حي شعبي.. وأبي من تاجر كبير إلى صاحب دكان صغير.. بالكاد يجني ما يسد الرمق.. وأنا من صغير العائلة المدلل إلى أخ لخائن أبيه الذي ذاع صيته في العائلة والسوق.

ظل أبي يذكره حانقاً.. أما أمي فلم تفارق عينيها الدموع.. دوماً تأمل لو يعود.. آه.. لو يخبرها على الأقل أين هو..

منذ عرفت القصة صرت أعذر أبي لمعاملته الخشنة لي.. وأعرف لماذا يتهامس الآخرون عند مروري بهم.. وأطأطئ رأسي رغماً عني.. وأحث خطاي مسرعاً في ذهابي وعودتي من السوق.

لماذا لا يخبرنا أين هو؟! ما الذي يخشاه؟!.. هذا السؤال يحير والدتي أبداً.. أما أنا فأعتقد أنه فشل في غربته.. ويخجل أن يعود خائباً وفاشلاً..

أصبحت شاباً.. ولكن لا أحد يأتمنني على قشر بصلة.. ونظرات أبي الحانقة تحز في نفسي.. كنت أتمنى لو أصرخ بالجميع.. بأنني لست أخي.. ولن أكون نسخة منه كما يظنون..

ودارت الأيام.. فإذا بصنم الطاغوت يهوي.. هناك لاح الأمل في حياتنا.. وانتظر أبي.. وانتظرت أمي.. سيعود حتماً يعود.. ويرفع عنهم الفقر والعوز.. سيعود ويعوضهم عما حل بهم..

ولكن.. ولا أمل..

انتدبتني أمي للبحث عن خالي.. وسط المئات من بقايا عظام الشهداء وكل يوم نحن في مقبرة جديدة.. ننقب ونبحث.. وكلٌ فقد عزيزاً طالما حلم بعودته.. هناك رأيت منظراً قلب حياتي.. ويا لهول ما رأيت..

عثرت على أخي مع دليل براءته.. عرفته أمي وعرفه كل فرد في العائلة وأكثر ما دلّ عليه الحقيبة الجلدية المهترئة التي تضم نقود أبي.. كم ظلمناك أيها الشهيد فعذراً..

قلت هذا وحضنت كومة العظام تلك وبكيت..

وتمنيت بفخر لو أكون نسخة منه ■

أعلام من كربلاء

السيد محمد حسين المرعشي الشهرستاني

سلمان هادي آل طعمة •
كاتب ومحقق/ كربلاء المقدسة

ينابيع

هو السيد محمد حسين بن السيد محمد علي بن السيد محمد حسين الحسيني المرعشي الشهرستاني الحائري المولود في ١٥ شوال سنة ١٢٥٥هـ في كرمنشاه والمتوفى بكربلاء سنة ١٣١٥ هـ، بدر العلماء المتبحرين، ومنهل سير الفضلاء العاملين، الفاضل النحرير، والعالم البصير، أحد المنارات المعرفية الناطق بالحق، والباحث الغيور المعزز بين أصحابه، الموقر بين أخلائه وأحبابه، الإمام الزاهد العابد، درس على جمع من العلماء الأعلام جميع العلوم من منطوق ومفهوم، وعلى رأس هؤلاء والده، والفاضل الشيخ محمد

حسين الأردكاني، وشارك في معظم الفنون[1]، وحصلت له في كافة هذه العلوم خبرة واسعة. قال عنه محمد علي سلطاني: (ويكفى بأحد مفاخر الفقهاء وأفاضل علماء الشيعة حتى كان عظيم الشأن في علوم الفقه والأدب)[2]، كما حصل على إجازة الاجتهاد من أستاذه الأردكاني وذلك في سنة ١٢٨٧ هـ، وانتهت إليه الرئاسة في التدريس والمرجعية في التقليد والزعامة، وزار مدينة مشهد المقدسة في سنة ١٣٠٦ هـ. ذكره الشيخ الطهراني فقال ما هذا نصه: (حصلت له الإجازة من والده مصرحاً باجتهاده وتاريخها في (١٢٨٧) وصورة الإجازتين عندي مدرجة في كتابي (إجازات الرواية والوراثة) في القرون الأخيرة الثلاثة. اشتهر أمره بين العلماء والطلاب فانتهت إليه الرئاسة في التدريس والمرجعية في التقليد والزعامة في سائر المشاكل والقضايا فكان له بعد وفاة أستاذه الأردكاني مكانة مرموقة ووجهة وتقدير، وزار مشهد الإمام الرضا عليه السلام بخراسان على عهد السلطان ناصر الدين شاه القاجاري وفي حياة العلامة الزعيم المولى علي الكني المتوفى سنة (١٣٠٦ هـ) وكنت شاباً يومذاك أتخطر إلى الآن أنَّ الكنّي بالغَ في تقديره وترويجه وقدمه للصلاة بمكانه في مسجد (مدرسة المروي) وكان ذلك في شهر رمضان وكانت الصفوف تجتاز إلى داخل المدرسة ولاقى إقبالاً واحتراماً ومكث هناك مدة، واتصل به رجال الدولة وأمراؤها ووزراؤها، ومن أجل ذلك أطنب الفاضل المراغي وزير الطباعة والنشر في ترجمته في المآثر والآثار ص ١٧٩، نهض المترجم له بأعباء الهداية والإرشاد إلى أن توفي ليلة الخميس ٣ شعبان ١٣١٥ ودفن في الروضة الحسينية بالرواق القبلي خلف شباك الشهداء، وخلف آثاراً جليلة تنيف على الثمانين بين كتاب ورسالة فارسية وعربية رأيت أغلبها في مكتبته ورأيت قسماً منها في بعض المكتبات)[3].

وورد ذكره أيضاً في (معجم الأعلام) وهذا نصه: (محمد حسين بن محمد علي المرعشي الشهرستاني الحائري (١٢٥٦ - ١٣١٥ هـ)، (١٨٤٠ - ١٨٨٨ م) فاضل إمامي له اشتغال بالتاريخ أصله من شهرستان ومنشؤه بمرعش[4]. أما أبرز تلامذته فهو الشيخ علي بن الشيخ علي نقي البحراني الحائري المتوفى سنة ١٣٢١هـ[5]. وجاء ذكره في أرجوزة السماوي كقوله:

والعلوي المرعشي بن علي
محمد الحسين ذو الفضل الجلي
مضى وفي جنب الحسين رمسا
أرخ (يفوق مضجعاً مقدسا)[6]

وترجم له سيدنا المحسن الأمين فقال: ولد سنة ١٢٥٦ وتوفي في ٣ شوال سنة ١٣١٥ ودفن في مقبرتهم المعروفة في المشهد الحسيني. العالم الأديب له مشاركة في عدة فنون وأخذ الفقه والأصول عن الأردكاني وهو أكبر تلاميذه وأجلهم يروي بالأجازة عنه وأخذ الهيئة والنجوم عن الميرزا باقر اليزدي والحساب والهندسة والعروض عن الميرزا علام الهروي الحائري، صنف غاية المسؤول في الأصول طبع في إيران، وشوارع الأعلام في شرح

شـرايع الإسلام، والترياق الفاروقي في الفرق بين المتشـرعة والشيخية، وتنبيه الأنام عل كتاب إرشـاد العـوام لبعض الشـيخية رداً عليـه أو بلوغ الإشـارة في تلخيص شـرح الزيـارة، ومواقع النجوم فـي الهيئـة، واللباب في الاسـطرلاب، وسـبل الرشـاد في شـرح نجـاة العباد، والـدر النضيد في نكاح الإماء والعبيد، والموائد شـبه كشكول،ورسـالة في نسـب المرعشـيين وتراجـم أسـلافه، والكوكـب الدري فـي معرفة التقويم (فارسـي)، وفي سـنة ١٣٠٥ زار مشـهد خراسـان وعاد فـي طريقه إلـى طهران فأقبـل عليه الناس وردت إليه الإمامة في مسـجد الحاج علـي الكنـي والتدريس في مدرسـة الميرزا حسـن خان الصدر القزويني ثم عـاد بعد ذلك إلى كربلاء إلى أن توفي)[٧].

يجـدر بنا ونحن نواصل دراسـة حياة هـذا العالم الحافظ للغـة العربية وحامي ذمارها أن نلمَّ بشيء يسير بنواح مختلفة مـن عصره، فقـد كان مبـرزاً متفنناً، أحـاط بالمعقـول والمنقـول حتى كان محط أنظار الطلاب في الحوزة العلمية، لا تفتر له همة ولا يرجى لنفسـه الخمول والقناعة بما حازه من علم غزير ولا بخل على الناس براحته ورأيه وعلمه، مترسماً خطـى الماضين مـن أسـلافه وآبائه في كل صغيرة وكبيرة. كان يعقد مجلساً في داره، وأضحى ذلـك المجلس محجة العلماء ومنية القاصديـن، وكان نفوذه يتعاظـم يوماً بعـد يوم في داخـل البلاد وخارجهـا، فـكان كالقائـد الحكيم الباسل. اندفع بإرشاداته وصلابته بالحق اندفـاع المستبسـلين، فما عـرف اللهو والبطالـة والتحلي بغيـر الفضائل طريقاً إلـى قلبه، لذا كان أجـل علماء عصره، وغرّة جبهة دهره.

آثـــاره

تميّـز الشهرسـتاني بغـزارة التأليـف وتنوعـه، وكان مرزوقـاً فـي الجمـع والتصنيـف، إذ تنـاول مختلـف جوانـب المعرفـة السـائدة فـي عصره، فدرسـها بتعمـق وإمعـان ثم انصرف إلى شـرح ما غمض منها وانتقـد وعلق على ما رأى من أخطـاء شـائعة لـدى المؤلفيـن. ولعل من المفيـد أن نشـير إلـى أن بعض آثـاره لم يكتب لها النشر بعد.

أما أهم هذه الآثار فهي:

١ ـ البرزخية ـ في التفسير.
٢ ـ شرح كلمة نوراء.
٣ ـ تحقيق الآدلة في الأصول.
٤ ـ صغرى ـ رسالة فارسية في المنطق.
٥ ـ جر الثقيل.
٦ ـ صنعة المتحرك.
٧ ـ جنـة النعيم ـ حققـه وطبعه حفيده السيد عبد الرضا الشهرستاني.
٨ ـ طريق النجاة (فارسي).
٩ ـ الخط.
١٠ ـ رسالة في القرعة.
١١ ـ الخيارات.
١٢ ـ مطالع البروج.
١٣ ـ الجدول.
١٤ ـ نكاح المخالف وطلاقه.
١٥ ـ غاية المسؤول.
١٦ ـ النـور المبين فـي أحكام الدين (فارسي).
١٧ ـ دراية الحديث.
١٨ ـ النـور المبيـن في أصـول الدين

(فارسي).
١٩ ـ ديوان محمد حسين الشهرستاني.
٢٠ ـ رسالة في هنٍّ مصدقات.
٢١ ـ رسالة في ارتداد الزوجة.
٢٢ ـ الآيات المحكمات.
٢٣ ـ رسالة في تدبير الحجر الأعظم.
٢٤ ـ رسالة في تعارض الاستصحابيين.
٢٥ ـ رسالة في حفظ الكتاب الشريف.
٢٦ ـ رسالة في الخسوف والكسوف.
٢٧ ـ زوائد الفوائد.
٢٨ ـ سبل الرشاد في شرح نجاة العباد (فارسي).
٢٩ ـ الشبهة المحصورة في المسائل الأصولية.
٣٠ ـ غاية التقريب في نظم منطق التهذيب.
٣١ ـ شرح حديث من حفظ على أمتي أربعين حديثاً.
٣٢ ـ شرح الفوائد الحكمية.
٣٣ ـ شرح الباب الحادي عشر.
٣٤ ـ الصحيفة الحسينية ومستدركاتها.
٣٥ ـ غاية المأمول في علم الأصول.
طبع طبعة حجرية بخط المؤلف سنة ١٣٠٨ هـ، ثم طبع بالاوفسيت من قبل مؤسسة أهل البيت في قم (دون تاريخ).
٣٦ ـ نان ودوغ، طبع في بغداد بدون تاريخ (فارسي).
٣٧ ـ تلخيص وتلويح.
٣٨ ـ تذكرة النفس.
٣٩ ـ تسهيل المشاكل في النحو.
٤٠ ـ الحجة البالغة والنعمة السابغة. (فارسي).
٤١ ـ الشوارع في شرح الشرايع.
٤٢ ـ خوان ونعمت (شعر فارسي).
٤٣ ـ العنصر المتين في شرح معضلات القوانين.
٤٤ ـ الكوكب الدري ـ في التقويم.
٤٥ ـ اللباب في الإسطرلاب.
٤٦ ـ لباب الاجتهاد.

آثاره التي ورد ذكرها في (الأعلام)

١ ـ تاريخ الشهرستاني.
٢ ـ كتاب الحساب.
٣ ـ تحقيق الأدلة ـ في أصول الفقه.
٤ ـ غاية المسؤول ونهاية المأمول.
٥ ـ شوارع الأعلام في شرح شرايع الإسلام.
٦ ـ اللباب في الإسطرلاب.
٧ ـ تحقيق الأدلة ـ وهو بخطه في أصول الفقه.
٨ ـ الاستصحاب ـ رسالة.
٩ ـ لباب الاجتهاد[٨].

من خلال ما تقدم، يبدو لنا أن السيد محمد حسين سجل في تاريخ النهضة العلمية أعمالاً مقرونة بالعظمة والمجد. وقد أشاد أرباب السير والتراجم بذكره، فكتبوا فصولاً ضافية عن مكانته العلمية وقيمة مؤلفاته، وتناولوا شخصيته بإسهاب.

والصورة رقم (١) نموذج من خط السيد محمد حسين المذكور لمخطوطة (تلويح الإشارة في شرح الزيارة).

أشعاره

للسيد محمد حسين الشهرستاني نظم رائق وشعر فائق على طريقة الفقهاء والحكماء، ومن يتصفح المجاميع الخطية يجد أشعاره المتناثرة التي تتسم بأسلوب واضح وبيان سلس وجزالة في اللفظ والمعنى. ومن أمثلة ذلك تخميسه لقصيدة الشريف الرضي التي قال فيها:

أمسيتُ والهمُّ في إيران يطرقني
والكرب طول الليالي ما يفارقني
وذكر من حل في كوفان يقلقني
من لي بعاصف شملال يبلغني
إلى الغري فيلقيني وينساني
❖ ❖ ❖
إلى الذي ظهر الجبار طينته
إلى الذي بشر المختار شيعته
إلى الذي أوجب القربى مودته
إلى الذي فرض الرحمان طاعته
على البرية من جن وإنسان
❖ ❖ ❖
إن لم يكن عاصف أسعى على قدمي
أسعى برأسي وقلبي مهجتي ودمي
أسعى بأجفان عيني نحو ذي الحرم
ما استعين بشملال ولا قدم
من ترب ساحته طوبى لأجفان[٩]

ومما قاله في يوم ورود الشعرات الشريفة النبوية لتوديعها في الروضة الحسينية وكان حاملها والي بغداد الحاج حسن رفيق باشا سنة ١٣١٠ هـ:

كربلا طلت الثريا شرفاً
ولعلياك السماك اعترفا
منه غابت فيك اقمار الهدى
أورثت في كل قلب أسفا
أظلم الدنيا على أرجائها
حيث فيها بدر تم خسفا
لقي الظلمة حتى انكشفت
بقدوم الحبر كهف الضعفا
حضرت الوالي بأمر من به
قام حصن الدين والأمر صفا
فخر هذا العصر سلطان السما
وهو ذا عبد الحميد ذو الوفا
رفع الله لواء نصره
إذ به أيَّدَ شرع المصطفى
أشرق الدنيا به مذ قدما
مع شمس أورثته الشرفا
كشفت كل دجى كان بها
وبمرآها الظلام انكشفا
قيل ماذا النور قلت أرخوا
(هاكموا شعرة وجه المصطفى)[١٠]

وله أرجوزة شعرية في المنطق أولها:

الحمد لله الذي هدانا
إلى طريق الحق واجتبانا
وفقنا بلُطفه توفيقا
أكرم به مصاحباً رفيقا
مصلياً على الذي قد أرسلا
هدى ونوراً كاملاً مكملا
وآله وصحبه السعود
العاكفين الركع السجود
هم سعداء منهج التصديق
إذ صعدوا معارج التحقيق
وبعد هذا غاية التقريب
مهذب لمنطق التهذيب
مقرر القواعد الميزان
مقرب لها إلى الأذهان
جعلته تذكرة وتبصرة
لطالب القواعد المقررة
لا سيما للولد المكرّم
ومن يسمى باسم خير الأمم
دام له التوفيق والتأييدُ
وحسبي المهيمنُ المجيدُ[١١]

وقال مؤرخاً وفاة أستاذه العالم الشيخ محمد حسين الأردكاني:

ولما ذاب قلب الوجد هماً
لموت ولي أمر المؤمنينا
فقم فزعاً وأرّخ (بالبكاءِ
حسيناً بالثرى أمسى رهينا)

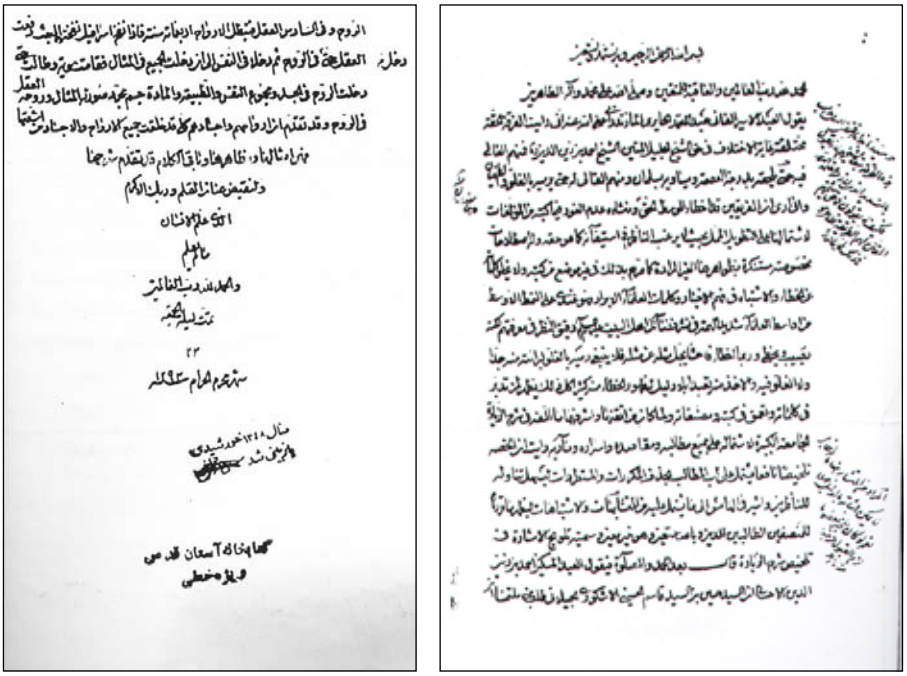

صورة رقم (١).. الصفحتان الأولى والأخيرة من كتاب (تلويح الإشارة في شرح الزيارة)

وقال:

وقال مفجع التاريخ آهٍ
سيلقى الشامتون كما لقينا

وقال:

وقد تلقته حورٌ ونضرةٌ وســرورُ
أرخْنَ حباً وأهلاً بالفاضل الأردكاني[١٢]

وأرخ وفاة العالم الكبير الشيخ مرتضى الأنصاري بقوله:

بالواحد الفرد استعنت مؤرخاً
(علم الهدى في الخلد حي يرزق)
١٢٨١ هـ

وفـــاته

ورد خبر وفاته عليه الرحمة في مجلة (المرشد) البغدادية ما هذا نصه: وافته المنية فاختطفت روحه الطاهرة وقضت على حياته المباركة في اليوم الثالث من شوال سنة ١٣١٥هـ وهو آنئذ بكربلاء بعد داء عضال لازمه مدة طويلة عن عمر ناهز التسعة والخمسين سنة قضاها بين المحابر والطوس والأقلام ودفن في كربلاء مع أبيه وأجداده في مقبرتهم المختصة بهم في الرواق الشريف[١٣]، واعقب كلاً من السيد ميرزا علي والسيد زين العابدين والسيد مرتضى والسيد جعفر والسيد محمد والسيد أبو طالب.

رثاه جملة من الشعراء منهم خطيب كربلاء الشاعر السيد جواد الهندي فقال:

محمد الحسين يوم موته
حلَّ من الفردوس أعلى مرتقى
ان صار من دار الفناء راحلاً
فإنَّ في الأخرى له دار البقا

ومذ قضى أبو علي أرخوا
(انطمست والله أعلام التقى)
١٣١٥ هـ

ورثاه الشاعر الوطني الكبير الحاج محمد حسن أبو المحاسن فقال:

حامي الشريعة قد ضاقت بنا السُبلُ
فلا رجاء ولا قصدٌ ولا أملُ
قد كنت ظلاً على الأسلام منسدلاً
واليوم أنت برغم منه منتقلُ
ومرهفاً من سيوف الله جرّده
لمقتل الشرك ما في متنه خللُ
يقطع الليل والأجفان هاجعة
ذكراً وطرفك من فيض البكا خضلُ
حتى رمتك صروف الدهر هاجعة
بأسهم راشها المقدور لا (ثعلُ)
ما كنت أحسب والأقدار جارية
بأن مثلك يخطو نحوه الأجلُ
فقوض الصبر لا يلوي على أحد
ومثل رزئك عنه الصبر يرتحلُ
وقطعت بك أسباب الرجا فبمن
من بعد ما غبت عنا اليوم نتصلُ
لم ينقطع منك حبل العمر منبتلاً
لكن حبل وريد الدين منبتلُ
فاي واقعة للدين فاجعة
تزول منها الجبال الشم والقللُ
أقوت بها عرصات العلم واندرست
منها المدارس إلا الرسم والطللُ
قد قلت إذ حملوا أعواده ومشوا
بنعشه والحيا من فوقه هَطِلُ
الله أكبر ليس الغيث منسكباً
لكنها أدمع الأملاك تنهمل
لو شيعوه بمقدار الذي حملوا
من المكارم ضاق السهل والجبل
عزمٌ وحزمٌ وفكرٌ ثاقب وحجىً
حكم وحلم وعلمٌ زانه عملُ
بفضله ومساعيه ونائله
وزهده وتقاه يضرب المثل
نور النبوّة لمّاع بغرته
كأنه قبس أو بارقٍ عجل
أين النبي غضضت الطرف منصرفاً
عنا فلا طرف بالتهويم يكتحل
من للأرامل والأيتام يكفلها
إذا أطل عليها الحادث الجلل
من للخطوب وللدهياء يكشفها
إذا نبت في لقاها البيض والأسل
من للوفود إذا ما قطعت بهم
وعر الفلاة اليك الأينق البزل
يا طالب العرف قد غضت زواخره
وليس تعطى وان ألحقت ما تسل
كانت بطلعته الأيام آنسة
فأصبحت ولها عن أنسها شغلُ
كانت به روضة التوحيد مونقة
فصوّحت مذ جفاها العارض الهطل
يا حلية زان جيد الدهر جوهرها
أما ترى كيف قد أزرى به العطل
وراحلاً بالعلوم الغر يحملها
ضاقت بطلابها من بعدك السبلُ
فاذهب عليك سلام الله ما سجعت
ورق الغصون وطابت بالصبا الأصل[١٤]

ولعلَّ هناك مراث أخرى لم نوفق للحصول عليها بعدُ.

أولاده: أعقب السيد محمد حسين ثمانية بنين وخمس بنات.

أما الأبناء فهم:

١ ـ السيد محمد علي توفي ١٣٤٤ هـ.

٢ ـ السيد زين العابدين ولد في صفر ١٢٩٤ وتوفي ١٣٥٦ هـ.

٣ ـ السيد محمد جعفر ولد في صفر ١٢٩٣ هـ وتوفي ١٣٤٢ هـ.

٤ ـ السيد محمد ولد في ٢٤ رمضان

١٣٠٠ وتوفي ١٣٧٤ هـ.

٥ ـ السيد ميرزا أحمد ولد في رجب ١٢٧٣ هـ وتوفي ١٣١٨ ولم يعقب.

٦ ـ السيد أمير إسماعيل توفي ١٣٣٩ هـ ولم يعقب.

٧ ـ السيد مرتضى ولد ١٣٠٨ هـ وتوفي ١٣٤٢.

٨ ـ السيد أبو طالب ولد في شوال ١٣١٢ هـ ■

---

(١) تاريخ بانصد ساله خاندنان شهرستاني / محمد قاسم هاشمي ص ٢٧٦.

(٢) تاريخ تشيع در كرمانشاه / محمد علي سلطاني (فارسي) ص ١٣٠.

(٣) نقباء البشر في القران الرابع عشر / الشيخ اغا بزرك الطهراني ج ١ ص ٦٢٧.

(٤) معجم الأعلام / بسام عبد الوهاب الجابي ص ٧٠١.

(٥) أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين / سالم النويدري ج ٣ ص ٢٨٢.

(٦) مجالي اللطف بأرض الطف /الشيخ محمد السماوي ص ٧٠.

(٧) أعيان الشيعة / السيد محسن الأمين ج ٤٤ ص ٢١٢ ١.

(٨) الأعلام ـ خير الدين الزركلي ج ٦ ص ١٠٥.

(٩) تراث كربلاء : السيد سلمان هادي آل طعمة ص ٢٨٧ و ٢٨٨.

(١٠) بغية النبلاء في تاريخ كربلاء / السيد عبد الحسين الكليدار آل طعمة ص ٤٩.

(١١) ثم طبعها بمطبعة الغري الحديثة في النجف سنة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م.

(١٢) أحسن الوديعة في مشاهير مجتهدي الشيعة / للسيد محمد مهدي الموسوي الكاظمي ج١ ص ٨١ (طبع النجف ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م).

(١٣) مجلة المرشد) البغدادية ـ الجزء ١٠ السنة الثانية جمادي الأول ١٣٤٦ هـ ، ص ٣٧٩.

(١٤) ديوان أبي المحاسن الكربلائي ص ١٨٥ (النجف ١٣٨٣ هـ) تحقيق : الشيخ محمد علي اليعقوبي.

السيد محمد حسين الشهرستاني يتوسط أبناءه وأصهاره

الشيخ علي بن الشيخ حسن البلادي البحراني

قراءة في كتابه (أنوار البدرين)

د. عبد الإله العرداوي •
كلية التربية/ جامعة بابل

سيرته ومؤلفاته[1]

ينابيع

هو الشيخ علي بن الشيخ حسن بن علي بن سليمان البلادي البحراني، ولد سنة (١٢٧٤هـ) وتوفي والده في سنة (١٢٨١هـ) وعمره (٨) سنوات، أصبح مع والدته حتى وقعت الواقعة العظيمة في بلاد البحرين سنة (١٢٨٤هـ) التي قتل فيها حاكمها (علي بن خليفة) وغيره، فتفرق أهلها في الأقطار، وتشتتوا في الأمصار، فكان ممن غادر الديار، وحل في بلاد القطيف مع والدته. وفي تلك البلاد التقى بالأمجد الأرشد العلامة أعلى اللّه مقامه في دار المقامة، وقد سكنها مع الأهل والأولاد فصار في حجره وتربيته، فقربه وآواه وعلمه، وكان شيخه وأستاذه وجد أولاده، وبعد سنتين توفيت والدته فأصبح يتيم الأبوين، فكان له رحمه اللّه تعالى بمنزلتهما وأعظم، وقرأ عنده النحو والصرف والمعاني والبيان والتوحيد والفقه.

سافر إلى النجف الأشرف مهاجراً لتحصيل العلوم، فحضر عند جملة من علمائها الأفاضل كالشيخ محمد حسين الكاظمي، والشيخ محمد طه نجف، والسيد مرتضى مهدي الكشميري

النجفي، والشيخ محمود ذهب النجفي، والشيخ حسن بن الشيخ مطر الجزائري وغيرهم من العلماء، وقد أجازه برواية الكتب الأربعة، وكتب جميع الأصحاب من الخاص والعام السيد مرتضى مهدي الكشميري.

وفاته[٢]

توفي ليلة الحادي عشر من شهر جمادى الأولى سنة (١٣٤٠هـ) لمرض لازمه مدة من الزمن، وكان صباح وفاته يوماً مشهوداً في بلاد القطيف عموماً، وقريته (القديح) خصوصاً، وفيه خرج الناس رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً في مواكب العزاء تعلوهم الآهات والحسرات.

رثاه جملة من العلماء، وأرخوا وفاته كشاعر الإحساء الشيخ عبد الكريم الممتن، والشيخ فرج الله آل عمران الخطي بمقطوعة يقول فيها:

لم أدر أي الراسخين به سرى
نعشٌ أرضوي أم عليّ به سرى
عجباً له كيف استطاع لحمل من
في صدره علم الوصي تصدرا
لو كان عرش الله هذا النعش أم
لأب الحسين علي أضحى منبرا
قد أوحش الدنيا عليّ إذ مضى
منها وللعلماء أشجى كدرا
وبه تباشرت الجنان وأهلها
لما بها ألقي عليّ عصى السرى
ولنا أبان مؤرخوه بأنه
مازال فيها باسمها مستبشرا

مؤلفاته[٣]

١- له منظومة في الأصول الخمسة كبيرة تقرب من أربعمائة بيت سماها

(جواهر النظوم في معرفة المهيمن القيوم).

٢- منظومة ثانية سماها (زواهر الزواجر في معرفة الكبائر) ذكر فيها سبعين كبيرة، وتقرب من أربعمائة بيت.

٣- منظومة في مواليد النبي(ص) والأئمة والزهراء ووفياتهم عليهم السلام سماها (جامعة الأبواب لمن هم لله خير باب).

٤- منظومة سماها (جامعة البيان في رجعة صاحب الزمان) تقرب من أربعمائة بيت.

٥- له حواش كثيرة على شرح النهج لابن أبي الحديد ورداً عليه.

٦- كتاب (رياض الأتقياء الورعين في شرح الأربعين وخاتمة الأربعين) اشتمل عنواناً على اثنين وخمسين حديثاً مشروحة مبسوطة في الأصول والفروع والمواعظ والمناقب.

٧- له (الجواهر العزيزة في جواب المسألة الوجيزة) في التوحيد.

٨- رسالة سماها (الحق الواضح في أحوال العبد الصالح) وهو الشيخ العلامة الأسعد.

٩- حواش متفرقة على بعض الكتب

الفقهية.

١٠ـ كتاب سماه (جنات تجري من تحتها الأنهار) في المناظيم والمدائح والمراثي وسائر الأشعار.

١١ـ كتاب (أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والإحساء والبحرين) الذي سنفصل القول فيه لاحقاً.

كتاب أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين

كثيراً ما تذكر النسبة إلى كتاب من دون الإشارة إلى مؤلفه، وذلك للأهمية الكبرى التي يحتلها الكتاب بين الدارسين، فعندما يذكر (صاحب الذريعة) ينصرف الذهن إلى الشيخ (آغابزرك الطهراني)، و(صاحب أعيان الشيعة) السيد محسن الأمين، وكذلك (صاحب الغدير) الشيخ عبد الحسين الأميني وغيرهم كثير، ويصح هذا القول على (صاحب أنوار البدرين) الشيخ علي البلادي.

يقع الكتاب في مجلد واحد اختص بتراجم علماء الشيعة في المدن الثلاث (القطيف، والأحساء والبحرين) ولا يخفى أهمية الكتاب، إذ عد مصدراً من مصادر التاريخ الحديثة، ورجع إليه جهابذة العصر كالشيخ علي كاشف الغطاء في الحصون المنيعة، والشيخ آغابزرك الطهراني في الذريعة والشيخ عبد الحسين الأميني في شهداء الفضيلة، والسيد محسن الأمين في أعيان الشيعة وغيرهم كثير.

والكتاب حفظ لنا تراجم علماء المدن الثلاث مما سجله المؤلف على مر السنين، إذ اشتمل على مئات الألوف من الناس ما كانت المجموعة الإنسانية أن تعرف شيئاً عن علماء هذه المدن الثلاث إلا عن طريق (أنوار البدرين).

الكتاب عموماً مرتب على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة، المقدمة في ترجمة البحرين، والمدن الثلاث (جزيرة أوال، والقطيف، والإحساء) وفيها مباحث غزيرة المادة، وفوائد كثيرة، أما الأبواب فهي كالآتي:

الباب الأول: في ترجمة علماء البحرين وهي جزيرة أوال.

الباب الثاني: في ترجمة علماء القطيف التي هي الخط.

الباب الثالث: في ترجمة علماء الإحساء وهي هجر.

والخاتمة، ذكر فيها أربعين حديثاً نبوياً من طرق الإمامية، وذكر اتصاله بالإجازة لأخبار الأئمة عليهم السلام، وهذه الأحاديث مشروحة بطريقة مختصرة.

أما في التراجم فقد سلك فيها مسلكاً واضحاً، وذلك بأن يذكر أولاً تسلسل المترجم له ـ يأخذ هذا التسلسل ترتيبياً تصاعدياً في كل باب ـ ثم نسبه ووصفه وسيرته، كما يذكر المصادر التي ذكرته، ثم مؤلفاته، ويذكر رأيه فيها، ويغني الترجمة بأشعار المترجم له إن كان له شعراً، وأخيراً يذكر سنة وفاته ـ إن علمت عنده ـ وقد لا يذكرها، ويشير إلى مكان دفنه في بعض الأحيان ■

---

(١) الترجمة منقولة بتصرف من كتاب أنوار البدرين، ص٢٧٠-٢٧٣. وينظر: الذريعة، ٩١/٢٠. أعيان الشيعة، ٤٢٠/٢.

(٢) ينظر: مقدمة كتاب أنوار البدرين.

(٣) ينظر: أنوار البدرين، ص٢٧٢-٢٧٣. وينظر: الذريعة، ٩١/٢٠. أعيان الشيعة، ٤٢٠/٢.

من شهداء المنبر الحسيني..

الخطيب
السيد عبد الرزاق الحسيني
الشهير بالقاموسي

أحمد الكعبي الطويرجاوي •

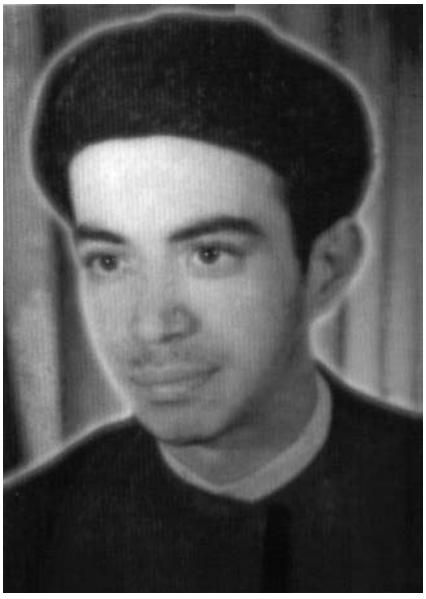

ينابيع نابغة من نوابغ الخطباء المعاصرين ومفخرة من مفاخر شباب المنبر الحسيني الشريف وشهدائه، هو الخطيب السيد عبد الرزاق ابن السيد محمد علي ابن السيد كاظم آل جواد، وآل جواد الحسيني أسره معروفة في مدينة النجف الأشرف والعاصمة بغداد تنتمي وترجع إلى زيد الشهيد ابن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام.

ولد شهيدنا وخطيبنا في النجف الأشرف عام (١٣٦٧هـ) ونشأ بها وتربى عند أخواله أسرة (آل القاموسي)، الأسرة الخيرة المعروفة في مدينة العلم والبلاغة والبيان النجف الأشرف، ومنهم اكتسب

لقبه وعرف به[1].

نشأ وترعرع في ظل خاله ـ خال والدته ـ سماحة العلامة المفضال الشيخ محمد صادق نجل الحجة الشيخ باقر القاموسي[2].

التحق بمدارس منتدى النشر الابتدائية والثانوية وواصل دراسته حتى تخرج من كلية الفقه للعام الدراسي (١٩٧١ـ ١٩٧٢م).

وأما دراسته في الحوزة العلمية فقد التزمه الشيخ القاموسي فكان مهتماً به منذ نعومة أظفاره، وأحد أساتذته وموجهيه، وقد درس على العالم الفاضل السيد محمد الغروي[3].

كما استفاد الكثير من أساتذته في كلية الفقه كالراحل الشيخ عبد المهدي مطر، والشيخ أحمد البهادلي، والسيد مصطفى جمال الدين، والشيخ عبد الهادي حموزي وغيرهم.

اتجه نحو الخطابة وفنونها في بواكير عمره وحداثة سنه ونعومة أظفاره بتوجيه من الشيخ محمد صادق القاموسي، وبرغبة كبرى من نفسه في سلوك هذا السبيل المقدس مستفيداً من توجيهات الشيخ، تميز السيد الشهيد القاموسي بصوته الجيد وأسلوبه الأخاذ وجرأته الأدبية حيث أنه تتبع في بطون الكتب والمصادر، وكان كثير السؤال للاستفادة وكسب المعلومات نظراً لاتصاله بأفاضل العلماء والأدباء والمثقفين، الذين كانوا يرتادون مجلس القاموسي أمثال العلامة الكبير الشيخ حسين الحلي والسيد البجنوردي والسيد يوسف الحكيم والشيخ محمد جواد آل الشيخ راضي قدس سرهم.

حيث أن السيد المترجم بعد قراءة المجلس يناقش ويستفيد من الملاحظات والروايات والاستدلالات في الآيات القرآنية وأحاديث النبي الهادي والعترة الطاهرة عليهم السلام.

بدأ السيد عبد الرزاق القاموسي بخدمة المنبر الحسيني في مطلع شبابه متتلمذاً على أكابر الخطباء أمثال السيد الشهيد جواد شبر والشيخ عبد الوهاب الكاشي والدكتور أحمد الوائلي والسيد كاظم القاضي الطباطبائي وغيرهم، حيث أنه استفاد من خبراتهم المنبرية والأدبية ومجالسهم الصاخبة في مختلف محافظات العراق منها بغداد وكربلاء والحلة والبصرة والنجف الأشرف منذ مطلع السبعينات وحتى عام (١٩٧٨م) حتى صقل مواهبه المنبرية والخطابية حتى أخذ يشار له بالبنان أما الجماهير العلمية والشعبية.

ما قيل فيه وما اختص به

ذكره الشيخ عبد الوهاب الكاشي في شهداء المنبر الحسيني قائلاً: (كان المرحوم السيد عبد الرزاق شاباً نابغة في ذكائه مهذباً في أخلاقه اتصل بي في بواكير شبابه وهو في حدود الخامسة عشرة من عمره قبل أن يلبس العمامة، وكان شديد الشوق لتعلم الخطابة. بدأ الدراسة منذ نعومة أظفاره فأكمل علم النحو والصرف واتصل بكبار الأساتذة والعلماء فكان محبوباً لديهم لأخلاقه، وصلاحه، وتواضعه وكان مهذباً في كلامه، وكان يتبعني في المجالس مقتبساً بعض الأشعار والألحان وما يتعلق بالمنبر الحسيني فضلاً عن أنه تتلمذ

في الخطابة على عدد من الخطباء منهم الشيخ أحمد الوائلي، وكان يأتي إلى حجرتي في مدرسة السيد البروجردي في دورة الصحن الحيدري الشريف ليأخذ عني بعض الأبيات الشعرية ويعرض عليّ الأسئلة، وكان يخرج معي أحياناً إلى الكوفة إلى مسجدها الكبير عصر يوم الخميس ولمجالس تعقد لعشرة أيام أو أقل أو أكثر في منطقة الجسر وكان ـ أحياناً ـ يقرأ المقدمة أمامي وكان صوته في بداية أمره لا يساعد على قراءة الشعر إلا أنه كان يقرأ دون تلكؤ وتردد، وأهم ما كنت ألاحظه فيه أنه كان ملتزم ويغتنم الفرصة في طرح الأسئلة للاستفادة مني ومن غيري دون تردد واستنكاف وهذا الشوق المتواضع والنشاط لخدمة المنبر صير منه خطيباً بارزاً على صغر سنه حتى أنه كان يرتقي المنبر في المجالس المعروفة والكبرى في النجف الأشرف وغيرها فكان يقرأ في بيت السيد الشهيد الصدر قدس سره والذي كان يضم الإعلام والمثقفين. وأتذكر منه أنه كان أديباً ينظم الشعر متقناً لعلوم اللغة العربية حتى أنه يتحاور معي كأستاذ كبير متظلع مع أخلاقه العالية في المحاورة.

ويضيف المرحوم الشيخ عبد الوهاب الكاشي: (أنه كان كثير الاتصال والقرب من الأستاذ الشيخ أحمد الوائلي وقد ذكره مرة في داري ببيروت وبكى.

وكان لالتحاقه بكلية الفقه وتخرجه منها الأثر الكبير في نجاحه وتطور خطابته ولو أنه عاش واستمر في الخطابة لبلغ الدرجات العالية من الفضل والعلم فكان مجموعة فضائل على صغر سنه)[٤].

وأما أستاذه الدكتور الشيخ أحمد الوائلي فقد قال عنه: (كان السيد عبد الرزاق القاموسي قد أكمل دراسته المقدمات والسطوح ثم أكمل دراسته المنهجية (الماجستير). وكان من

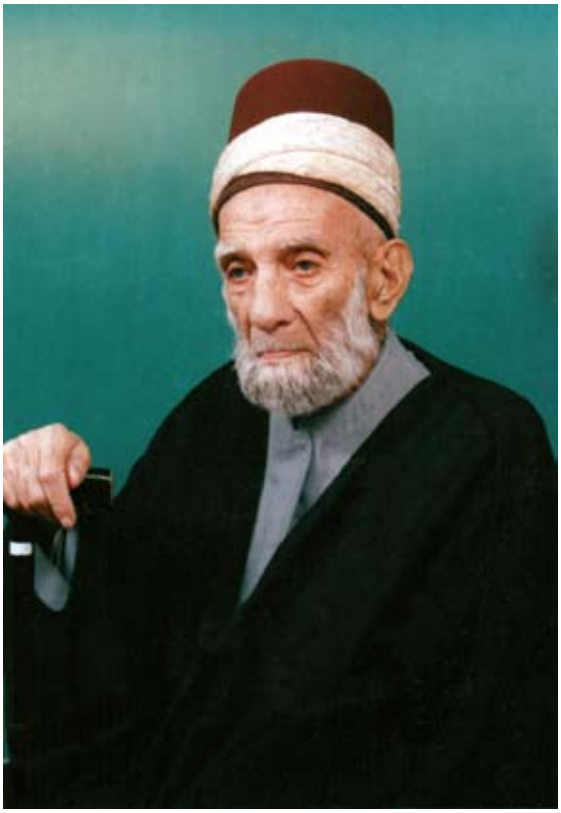

التقي الزاهد سماحة الشيخ صادق القاموسي الذي لقّب المترجم له بلقبه

الخطباء اللامعين فكراً وأداءً بالإضافة إلى خلقه وتدينه، وسلوكه المهذب، وقد جمع مجموعة من الأبعاد ندر أن تجتمع في غيره وكان تتلمذ في البداية عليّ. وقد مارس الخطابة في محافل مهمة في بغداد والكاظمية والنجف، وقد لمع فيها واشتهر)[٥].

وذكر الشيخ حيدر المرجاني خطابته بقوله: (أخذ الخطابة لنفسه، وكان يسير على توجيهات خاله العلامة الشيخ محمد صادق نجل الحجة الشيخ باقر القاموسي، ثم لازم مقدماته عند الخطباء البارزين فاستفاد منهم وكان آخرهم الخطيب الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، ثم انفرد بنفسه فخطب في النجف، وبغداد، والكاظمية وبعض المناطق الأخرى... كالبحرين فهو خطيب مجد وناضج، فهو على صغر سنه من البارزين من الخطباء الشباب في النجف اليوم)[٦].

وتحدث عنه الخطيب الشيخ عبد الحميد المهاجر بقوله: (في عام ١٩٧٦م التقيت بالسيد في مطار البحرين حيث كان يقرأ في المنامة أيام المحرم فقال لي: إنني اشتريت مجموعة من الكتب في النجف الأشرف ورأيت بينها كتابين مكتوب عليهما اسمك فلم أتصرف بهما - وكنت (الشيخ المهاجر) قد اعتقلت عند رجوعي من الحج عام ١٩٧٢م حتى عام ١٩٧٥م فاحتجزت مكتبتي وبيعت - فطلب مني إما أن يوصل الكتابين لي أو أسمح له بالتصرف بهما وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على ورعه وتحرجه من التصرف في الحرام)[٧].

وكذلك من مواقفه البطولية التي تنم عن تدينه ووعيه حيث أنه من الأشخاص القلائل الذين ظلوا ملازمين للسيد محمد باقر الصدر قدس سره بعد فرض الإقامة الجبرية عليه، وقد اغتنم فرصة مجاورته لبيت السيد الصدر قدس سره في محلة العمارة في النجف، حيث أنه قام بعدة أمور مهمة كإيصال الرسائل من وإلى السيد الصدر وكذا في إدخال الأطباء لمعالجة السيد وأفراد عائلته، بالرغم من علمه بالعواقب الوخيمة والمخاطرة التي تترتب على ذلك حال علم السلطة البائدة آنذاك.

وهذا العمل هو منتهى الوفاء والإخلاص والإقدام في تلك الظروف الرهيبة التي انقطع أقرب الناس إلى السيد الصدر قدس سره رغم وجود عناصر الغدر والظلم والمكر من جلاوزة الشرطة والأمن والمخابرات المنتشرة في الأزقة والشوارع المؤدية للسيد الصدر قدس سره.

وقد ذكرته زوجة السيد الصدر قدس سرها أم جعفر عن المترجم بقولها: (علمتنا الأقدار أنه للمرء إذا توكل على ربه ألا يقنط من بقية خير، وإن أجدبت الأيام وقل النصير، فالله اللطيف بعباده لن يترك من توكل عليه دون أن يهيء له من يتنزل لطف الله من خلاله، ومن لطفه بنا في تلك الأيام المكفهرة أنه كان يسكن في الجوار بالقرب منا آنذاك شاب في ربيع العمر، كان من طلاب العلوم الدينية وهو الشهيد المرحوم السيد عبد الرزاق القاموسي، ذلك الشاب المجاهد الذي كان لنا شعاعاً من نور يضيء لنا في بحر الظلمات المحيط بنا، وسبباً للطف الله وتنزل بعض رحمته، فإن ذلك الشاب

الطاهر والشجاع أعدمه المجرمون، لمجرد أنهم اكتشفوه وهو متلبس بخرق حصارهم المفروض علينا من كل الجهات، حيث إنه كان يغامر ويوصل إلينا بعض الخبز وما قد نتقوت به عندما كنا نعاني أحلك أيام الجوع والحرمان وذلك من خلال القفز من فوق أسطح المنازل حتى يصل إلينا من فوق، ولعله كان يسرب إلينا بعض المعلومات عما يجري في خارج الدار أو ينقل عن الشهيد الصدر بعض ما يريد إيصاله إلى أحد ما ولقد كان وحيد أمه التي كانت تعيش معه، وزوجه الشابة الطيبة في المنزل، لم يكن لهما معيل غيره، فهاجمته تلك الوحوش الضواري في منزله، واقتادوه معهم في عنف، ثم ما لبثوا أن أرجعوا جثمانه مقطعاً شهيداً... وأسفاه عليه... والله إن المهجة لتذوب له حزناً وكمداً كلما مرت ذكراه على القلب المكلوم)[٨].

اعتقل وهو حديث الزواج يوم الثاني والعشرين من شهر ربيع الثاني عام (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) قبيل الظهر[٩].

وبعد عامين من السجن والتعذيب استشهد على أيدي جلاوزة النظام المباد عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) ودفن في النجف الأشرف[١٠].

نماذج من شعره

تطاول فخراً على المشتري
وعم الورى بالمنى الأزهر
تجلى إلى الكون مجد الإباء
لتبدو الحقيقة للمبصر
ونور النبي أضاء الدنا
وضاع شذا المسك والعنبر
وفجر الهداية للعالمين
أباد الدجى بالسنا النير
فحلق في الفكر وحي الخيال
وفاض شعوراً على الأسطر
سمات المهابة في المصطفى
وفخر الشجاعة في حيدر
وكف السماحة في المجتبى
تسامت بوابلها الممطر
صفات الفخار نماها الحسين
جرت في دم العرق من جعفر

إلى أن يقول في هذه القصيدة:

ففيكم سموت وفيكم سعدت
فساء الحسود بما يفتري
مددت لكم بأيد السؤال
لنيل الشفاعة في محشري
رأيت ولائي لكم في غد
نجاتي من الفزع الأكبر ■

---

(١) خطباء المنبر الحسيني، المرجاني، ٢/١٦٨.
(٢) هاجر مؤخراً إلى قم المقدسة وتوفي فيها يوم السابع عشر من شهر رمضان عام (١٤٢٣هـ) ودفن مجاوراً السيدة معصومة فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم عليه السلام.
(٣) نقلاً عن سماحة العالم الفاضل الشيخ محمد هادي آل راضي من أساتذة الحوزة العلمية.
(٤) نقلاً عن كتاب شهداء المنبر الحسيني، حمزة الخويلدي، ص٢٠٥.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) خطباء المنبر الحسيني، المرجاني، ٢/١٦٨.
(٧) نقلاً عن الشيخ المهاجر في حرم السيدة رقية في الشام يوم ٢٢ ذي الحجة ١٤١٧هـ.
(٨) كتاب وجع الصدر ومن وراء الصدر أم جعفر، ص١٨٣.
(٩) أحد الأشخاص الذين شاهدوا الاعتقال من أهل المنطقة.
(١٠) مستدرك شعراء الشيعة، الفتلاوي، ج٢ ص٥٨.

الأمل.. في خط المسؤولية

الشيخ عبد الرزاق فرج الله الأسدي •
أستاذ في الحوزة العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾

سورة يوسف الآية: ٨٧

تمهيد

يحدثنا القرآن الكريم عن يعقوب عليه السلام، الذي غاب عنه ولده يوسف عليه السلام مدة لا تقل عن ثمانية عشر عاماً لا يعرف عنه خبرا، وهو مع ما فيه من الحزن والاحتراق العاطفي على ولده، لم تنطفئ جذوة الأمل في نفسه، فقال لبنيه: (يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ).

يؤكد لنا هذا الحدث، أن الأمل ليس مجرد عملية انفعال نفسية، تهدئ من الواقع النفسي المضطرب لإنسان داهمته مشكلة، أو أصابته صدمة في الحياة، وإنما هو حقيقة ترتبط بخط العقيدة الإسلامية.

فكون الإنسان مؤمنا فهو والأمل، وكونه كافرا فهو واليأس، وكونه

آملا متفائلاً فهو والإيمان، وكونه يائساً متشائماً فهو على شفا الكفر.

فما دخل الإيمان بالله عز وجل قلب المؤمن إلا وهو يختزن في حقيقته روح التفاؤل والأمل، والانفتاح على الحياة، والثقة بمصدر العناية والرعاية الذي يمد الحياة بخزين لا ينفد من الخير واليسر والأمان.

فيعتبر الأمل هو الومضة التي نتحرك بها في الحياة الدنيا لا من أجل الدنيا، وإنما من أجل أن نوجه الدنيا، ونخضع هامها للقيم والمفاهيم العالية، التي تتحرك بدورها بحياتنا باتجاه خدمة الدار الآخرة.

فالقرآن عندما يحدثنا عن الأمل، فهو يريد منا أن نكون في لحظة الضعف على مشارف القوة، لإيماننا بمصدر القوة(أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّه جَمِيعاً) البقرة:١٦٥.، وفي لحظة الذل على مشارف العزة، لإيماننا بمصدر العزة (أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّه جَمِيعاً) النساء:١٣٨.

بمعنى أننا إذا ما ضعفنا وقوي علينا الآخرون، فهناك فرصة بأن نقوى (وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) آل عمران:١٣٩.

فالآية تعطي الإنسان المؤمن شعورا بالمدد والعناية الربانية، وتمنحه إرادة قوية، تتحدى الاستسلام للواقع.

بشرط أن يكون في خط الإيمان والتقوى (إِن تَتَّقُواْ اللّه يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُم) الأنفال:٢٩، (وَمَن يَتَّقِ اللّه يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّه فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللّه بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً) الطلاق:٢-٣.

لأن الإيمان يستبطن في حقيقته الأمل بقدرة الله عز وجل على تغيير الأحوال (وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) بينما يستبطن الكفر اليأس من روح الله، وعدم الثقة بقدرة الله عز وجل، (إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّه إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ).

إذن، هذا هو الأمل الذي ينسجم مع المسؤولية الرسالية للإنسان المؤمن، قال رسول الله ﷺ: (الأمل رحمة لأمتي، ولولا الأمل ما أرضعت والدة ولدها، ولا غرس

غارس شجرة)، فكذلك - إذن - لولا الأمل ما أدى مؤمن حقا للرسالة والأمة.

فالأمل هو العنصر الذي من خلاله يستطيع المؤمن أن يحرك الدنيا باتجاه الصنع الإيجابي، والأداء الرسالي الذي يتحرك به نحو الله عز وجل، وباتجاه القيم والتكامل الروحي والأخلاقي.

وكل أمل لا يسعى بالمرء بهذا الاتجاه فليس من القرآن، وليس من الرسالة والمسؤولية في شيء. وهو الأمل الداعي إلى الغفلة، والى التعلق بالمفاهيم الخيالية وغير الواقعية، الأمل الذي يقعد الإنسان

عن التخطيط للغاية التي من أجلها يجب أن يتحمل المسؤولية (ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ).

وقال الإمام علي عليه السلام: (إتقوا باطل الأمل فربّ مستقبل يوم ليس بمستدبره، ومغبوط في أول ليل قامت بواكيه في آخره).

وقال عليه السلام: (إتقوا خداع الآمال، فكم من مؤمل يوم لم يدركه، وباني بناء لم يسكنه، وجامع مال لم يأكله).

فهنا يضعنا الإمام علي عليه السلام أمام مسؤولية الأمل من ناحية، وأمام خداعه من ناحية، وبهذا ينبغي أن نتحرك بالأمل ولا ننسى خداعه.

إذن، فالنتيجة التي نخرج بها، من خلال ما يطرحه القرآن الكريم والقادة المعصومون عليهم السلام هي: أن الإسلام يعطي للأمة خط التوازن بين آمالها وتطلعاتها، بين دنياها وآخرتها، وبين حياتها وموتها، لتعطي الأمة الحياة دورها وحركتها في خط المسؤولية التي أراد الله عز وجل منها، فلا أمل يسقطها في هوة الضياع والمتاهات، لا يأس يأسرها ويقيدها في دائرة القعود والجمود.

ففي كل الأحداث التأريخية التي انتصر بها الحق على الباطل، كان للحق حملته وللباطل حملته، وكان حملة الحق يتحركون نحو أهدافهم وغاياتهم التي رسمها الله عز وجل لهم في خط المسؤولية.

فكان الأمل في حركتهم، يعني ما رسمه الله تعالى لهم من مستقبل يتحدى كل الصعوبات التي تعترض الطريق، وتربك الخطوات، وتجهض الحركة والمسير نحو الله عز وجل.

سواء كانت الحركة على مستوى التطبيق الفردي للعبد المؤمن الذي يسعى إلى الله تعالى بأداء التزاماته وواجباته، فهو يسعى على أساس ما وعده الله من الرحمة التي يرجوها ويتحدى بها عقبة اليأس (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ) الزمر:٩، (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) الزمر:٥٣.

أو كانت الحركة على مستوى مسؤولية الأمة نحو الغاية المشتركة التي يتوقف عليها مصيرها، فإن الأمل يتحرك في صميم مسؤوليتها، متحديا كل العقبات والأهوال، (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ❖ فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ❖ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) آل عمران:١٧٣-١٧٤.

فهنا يحدثنا القرآن الكريم بأن هذه الثلة، قد بلغت بحركتها ما ترمي إليه من غاية، وهي رضوان الله عز وجل في خط مسؤوليتها، وذلك بإيمانها الذي يستبطن الأمل بما عند الله من نعمة وفضل، ثم حدثنا القرآن في هذا السياق، أن الشيطان يترصد لهذا الخط، لينشر الخوف أمامكم، ويزرع اليأس في نفوسكم، ولكنه لا سبيل له إلا على أوليائه، يخوفهم بأسكم (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ) لأنهم بولائهم للشيطان ضعفاء مخذولون يائسون (وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) ■

صفات الشخصية التبليغية

د. علي خضير حجي •
كلية الفقه/ جامعة الكوفة

ينابيع

تتشابه العملية التبليغية في مهمتها الرسالية من حيث العناصر والأبعاد التعليمية، ومن الممكن صياغة أربعة أسئلة من أجل وضع منهجية علمية للمبلغين وهي كالآتي:

س/ لماذا نبلغ؟
س/ ماذا نبلغ؟
س/ من نبلغ؟
س/ كيف نبلغ؟

ويشير السؤال الأول إلى أهداف العملية التبليغية، أما السؤال الثاني فيشير إلى المعلومات والمادة العلمية المراد تبليغها، أما السؤال الثالث فيشير إلى الأشخاص المراد تبليغهم أي (المبلغين)

أما السؤال الرابع فيشير إلى الأساليب والوسائل المستخدمة في عملية التبليغ.

وتتشكل هذه الأسئلة الأربعة عناصر العملية التبليغية التي تتكامل في ثلاثة عناصر هي:

١- المبلِّغ.
٢- المبلَّغ.
٣- المنهج.

المبلِّغ

ويعد المبلِّغ أول عنصر في العملية التبليغية، ولابد من توافر سمات أو صفات أو خصائص في شخصيته ليستطيع من خلالها القيام بواجبه على أتم وجه، ويجب عليه أن يتسم بصفات أهمها أن يكون تربوي الهدف والتفكير والسلوك قاصداً من كل أعماله التبليغية ودروسه ووعظه وإرشاده ودعواته أن يجعل من المراد تبليغهم ربانيين يرون آثار عظمة الله سبحانه وتعالى، ويهتدون بأقوال المعصومين عليهم السلام ويستدلون من الاثار والأقوال في كل جزيئة من جزيئات الحياة قال تعالى: (وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ)[1].

ويمكن أن تعد الشخصية التبليغية من الشخصيات الرسالية وقد وضع المتخصصون في العلوم النفسية عدة سمات للشخصية الرسالية منها: (الذكاء العلم، الاتزان الانفعالي، الثقة بالنفس، التبصر، الإقدام، السيطرة، المحافظة، الواقعية الاطمئنان.....) وهذه السمات توضع ضمن مقاييس الشخصية وباستخدام أدوات لازمة لها.

ولكن من المستطاع تسليط الضوء على بعض صفات الشخصية التبليغية وتوزيعها على أربعة مجالات:

المجال الأول: الصفات الأخلاقية.
المجال الثاني: الصفات المعرفية.
المجال الثالث: الصفات المهنية.

المجال الرابع: الصفات الشخصية.

المجال الأول: الصفات الأخلاقية

الإخلاص في النية

فالنية أساس العمل وهي القصد والإخلاص، ولا يقصد بعمله التبليغي وسعة علمه واطلاعه إلا مرضاة الله تعالى وحده والوصول إلى الحق ونشره في أذهان المبلغين، والإخلاص من شروط قبول العمل، قال تعالى: (فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام في تفسير قول الله تعالى: (ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) قال: ليس يعني أكثركم عملاً ولكن أصوبكم عملاً، وإن الإصابة خشية الله والنية الصادقة، ثم قال: الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلا الله تعالى أفضل من العمل، إلا وإن النية هي العمل ثم تلا قوله تعالى: (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ) يعني على نيته[٣].

الصبر على المبلّغين

ينبغي للمبلّغ أن يكون صبوراً في عمليته التبليغية وفي تقريب المعلومات والأحاديث والروايات والمواعظ والحكم والأحكام إلى أذهان الناس، لأن ذلك يتطلب مراراً وتكراراً ومشقة على النفس، بسبب الفروق الفردية بين المتلقين والصبر نتيجة طبيعية للأمل في ثواب الله والإيمان بجزائه يوم الحساب قال تعالى: (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ)[٤].

الرفق بالمبلّغين

وتعد هذه الصفة أحدى الثمار الطيبة لما تؤدي إليه، وتتركز في حب المبلّغين للمبلّغين، والألتفاف حولهم والاقتداء بهم حالاً ومقالاً، قال تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ)[٥].

بذل النصيحة

إن النصيحة في الدين الإسلامي

طلب الإصلاح

قال الإمام الحسين (عليه السلام) في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية:

«... وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (صلى الله عليه وآله)، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب (عليه السلام). فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين...».

بحار الأنوار ٤٤/ ٣٢٩

ذات أهمية عظمى إذ أنها لا تقتصر على عامة المسلمين فقط ولا على ولاة الأمر بل إنها مطلوبة من كل شخص تجاه الآخرين، ولذلك جاء على لسان الرسول الكريمﷺ: (الدين نصيحة).

التواضع ولين الجانب

إن التواضع يجعل الناس والمتلقي يأنسون بالمادة التعليمية ويكون الدرس التبليغي محبب لهم، فينبغي على المبلغ أن يتواضع، وأن يفتح صدره ويتودد للناس، وأن يكون لين الجانب.

العمل بالعلم

ولكي يكون المبلغ صادقاً مع الله عز وجل، صادقاً مع نفسه، صادقاً مع الناس، يجب عليه أن يكون عاملاً بعلمه، قال رسول اللهﷺ: (من علم وعمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم)[٦].

وبذلك إن التمسك بهذه الصفة فلا يناقض قوله فعل ذلك منع الرشد، قال تعالى: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)[٧].

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)[٨].

المجال الثاني: الصفات المعرفية

المعرفة التخصصية

إن المعرفة هي العدة التي تمكن المبلغ من القيام برسالته التبليغية على الوجه الصحيح، فتعلم العلم يحتاج إلى المعرفة الشمولية، وهذا لا يعني بالضرورة أن يكون المبلغ عالماً جمعاً، ولكن يحتاج من التحصيل المعرفي العلمي ما يؤهله للقيام بمهمته منها إجادة أحكام القرآن تلاوة وقراءة وتفسيراً، حفظه للكثير من أحاديث آل البيتعليهم السلام، اتقانه لقواعد النحو العربي، إطلاعه على العلوم الإسلامية فقهاً وأصولاً وفكراً.

المعرفة التربوية

تعد الوسيلة الفاعلة في تحقيق الأهداف، لأنها تعين المبلغ على معرفة طبائع الناس واستعدادهم وميولهم واتجاهاتهم وفروقهم الفردية، وهذا يتطلب من المبلغ الاطلاع على العلوم التربوية والنفسية وأهمها علم النفس الإسلامي، نظريات التعلم، علم نفس الشخصية، وأساليب التعليم.

المعرفة العامة (الثقافة)

لابد أن يمتلك المبلغ سعة الاطلاع والثقافة وأن يلم من كل علم ومن شيء ينفعه، فالمتخصص هو من يعرف كل شيء عن شيء أما المثقف هو من يعرف من كل شيء شيئاً ولذلك فالمبلغ يجب أن يكون متخصصاً ومثقفاً فعليه أن يطلع ويتابع بصورة مستمرة حياة الناس وواقعهم السياسي والأدبي والفكري، ومعرفة ما يواجه الفكر الإمامي من تحديات على الساحة الفكرية أمثال العولمة، التطرف الديني، الإعلام الغربي، تغيير المناهج.

المجال الثالث: الصفات المهنية

حب العملية التبليغية

فمن أحب عملاً أتقنه وأبدع فيه (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه).

قوة الشخصية

وتظهر من خلال قدر المبلغ على حسن التعامل مع المتلقين واتصافه بالهيبة والوقار والحزم في غير عنف والصبر والحلم والتواضع في غير ضعف ودقة العبارة، وضبط المواعيد، والإلتزام الدقيق لما يدعو إليه فلا يخالف فعله قوله، والحرص على أسباب القوة ومنها قوة البدن فإن (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) وكذلك قوة القلب والشجاعة في قول الحق من غير غيبة ولا تجريح.

المجال الرابع: الصفات الشخصية

لما كانت شخصية المبلغ تنعكس على سلوك المتلقين ونفوسهم إيجابياً وسلبياً، مما يعزز جانبه الشخصي حسن هيأته، في حدود الاعتدال ودون تكلف، ومن أهم مقومات صفاته الخارجية.

حسن الملبس

لأنها أهم ما في مظهر المبلغ، ومنها العطر (الطيب) فإنه محبب إلى النفس ويترك أثراً حسناً.

سلامة النطق وحسن البيان

إن من أهم صفات المبلغ الناجح، جودة نطقه، وحسن بيانه، وابتعاده عن اللحن حين قراءته للقرآن أو روايته للحديث، والحرص على التكلم بالفصحى والبعد عن العامية جهد الإمكان. وخلو الكلام من التكلف والتقصير والتشدق وحسن التعليل، والاسترسال في الحديث والمقدرة على صياغة الأفكار.

الوجه المشرق المبتسم

إن البشاشة تزرع الأمن في نفوس المتلقين وتنمي مشاعر الود بين المتلقين مما ينعكس على إقبالهم على المادة العلمية المراد تبليغها فكيف بكلام الله الذي بذكره تطمئن القلوب!!!

لذا رتب الإسلام على الابتسامة الصادقة أجراً فقال ﷺ: (تبسمك في وجه أخيك صدقة) ■

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٩.
(٢) سورة الكهف، الآية: ١١٠.
(٣) أصول الكافي، ٢/١٦.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٣٩.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.
(٦) بحار الأنوار ٤٠/١٢٨.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٤٤.
(٨) سورة الصف، الآية: ٢-٣.

التلوث البيئي..
يسبب تلوث الهواء

أ. د. يسار محمد حسن الشماع •
كلية الطب/ جامعة الكوفة

بداية

قال تعالى في محكم كتابه العزيز (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) الأعراف:٥٥.

خلق الله البيئة وجعلها جميلة ونظيفة ولكن الإنسان هو الذي يلوث البيئة. فهو الذي يدمر الغابات ويقطع الأشجار ويزيل المساحات الواسعة الخضراء لينشأ بدلاً عنها المصانع والمعامل والعمران التي تلقي بكميات هائلة من الأدخنة في السماء لكي تلوث البيئة وقد تكون سبباً في اختلال التوازن البيئي وبالتالي موت الإنسان.

وكما تعلمون أن المكونات الأساسية للبيئة هي الهواء والماء والتربة. لذا فان تلوث الهواء يعتبر من الأسباب الرئيسية لتلوث البيئة.

إن المصادر الرئيسية لتلوث الهواء أما أن تكون مصادر طبيعية مثل البراكين والزلازل والفيضانات والعواصف والأعاصير والأمطار أو أن تكون مصادر اصطناعية بفعل المنشآت الصناعية للإنسان.

وهي:

١- مخلفات المعامل والمصانع

والصناعات الإنشائية.

٢- دخان (عوادم) السيارات ومحطات توليد الطاقة الكهربائية والمولدات الكهربائية وغيرها.

٣- مخلفات حرق الوقود الصلب لغرض التدفئة وطهي الطعام.

٤- حرق النفايات الضارة أو دفنها أو مخلفات ومعاملة الصرف الصحي للمياه الثقيلة.

٥- الإشعاعات الذرية الطبيعية والصناعية وأتربة مبيدات الحشرات ومخلفات الأنفجارات.

تعريف الهواء الملوث

الهواء الذي يحتوي على مواد ملوثة صلبة أو سائلة أو غازية والتي تسبب تغيير نسب مكونات الهواء الطبيعية والتي تؤدي إلى أضرار فسيولوجية واقتصادية وحيوية للإنسان كذلك أنها تؤثر على الحيوان والنبات والآلات والمعدات.

تقدر خسارة العالم سنوياً في المحاصيل الزراعية بسبب تلوث الهواء بخمسة آلاف مليون دولار سنوياً وتكون الأضرار أكثر في المناطق المزدحمة

بالسكان. كذلك أشارت الإحصائية إلى أن حوالي ثلاث ملايين شخص يموتون سنوياً بسبب تلوث الهواء في العالم.

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية أول من اصدر القوانين للحد من تلوث الهواء بالدخان في المناطق الصناعية وأصبح تطبيق هذه القوانين إجبارياً بعدما تبين تأثيره على صحة الإنسان مع زيادة نسبة الوفيات كما حدث ذلك في انكلترا عام ١٩٥٢م عندما كانت معظم مدنها مغطاة بالضباب والدخان حيث تسبب في موت ٤٠٠٠ شخص وكان سبب ذلك هو تفاعل أكاسيد النتروجين المنبعثة من المعامل مع مركبات الهيدروكربونات مع وجود أشعة الشمس وظروف جوية خاصة أدت إلى تكوين ما يعرف بالضباب الدخاني وهو بني اللون وخانق. كذلك حدثت حالة مماثلة لها في نيويورك عام ١٩٥٣، ١٩٦٣، ١٩٦٦ وكذلك في دول أوربا في أمستردام وأثينا عام ١٩٨٥.

وكما قلنا إن المصدر الرئيسي لتلوث الهواء هو:

١- مخلفات المعامل والمصانع والصناعات الإنشائية مثل معمل الطابوق وكور الطابوق ومعمل الاسمنت ومعمل الإطارات والصناعات المطاطية.

إن الغازات السامة والأبخرة الخانقة المنبعثة من المداخن العالية لهذه المعامل تحتوي على:

- أكاسيد النتروجين - ثاني اوكسيد النتروجين.
- أكاسيد الكبريت - ثاني أوكسيد الكبريت.
- أكاسيد الكربون - أول وثاني أوكسيد الكربون.
- المركبات الهيدروكربونية.
- المركبات شديدة السمية مثل مركبات الزرنيخ، الفوسفور الكبريت والكلور.

وكذلك بعض المعادن الثقيلة مثل الزئبق، الرصاص، الكادميوم وحالياً يطلق مصطلح بهذه المركبات أعلاه باسم المسرطنات لأنه تسبب السرطان أو أنها تحمل معها مواد سرطانية متطايرة.

وتكون هذه الغازات السامة والمواد السرطانية المنبعثة من مداخن المعامل على شكل جسيمات دقيقة معلقة في الهواء على هيئة رذاذ أو ضباب خفيف أو على شكل جزيئات سوداء دقيقة تسبح في الهواء والواقع هي عبارة عن خليط بين حبيبات الغبار وقطرات السائل الموجودة في الهواء ودائماً ما يكون هذا التلوث واضحاً حول المصانع أو المعامل أو في سماء المعامل ولكن الرياح تحمله إلى مناطق بعيدة جداً عن موقع المصنع.

إن نوع الغازات والأبخرة السامة المنبعثة من مداخن المصانع يتوقف على نوع المنشآت الصناعية المسببة لهذا الغبار وكلما زاد ارتفاع المداخن كلما أنخفض تركيز المكونات الملوثات في الهواء لأنها تخفف كثيراً عندما تصل إلى الأرض.

إن الغازات المبعوثة من المداخن ستجفف عند اختلاطها بالهواء لحين وصوله إلى الأرض حيث تكون اقل خطورة على الإنسان تعتمد على:

١- الجو إذا كان جاف أو رطب أو ذو

درجة حرارة عالية.

٢- اتجاه الرياح وسرعتها نحو المدينة أو المنطقة السكنية.

٣- هل أن الأرض مستوية، جبلية، منخفضة؟.

٤- وجود مصادر منقطعة ومصادر مستمرة للتلوث.

٥- تسريب غازات من شقوق المداخن أو الأنابيب.

ويصنف علماء البيئة الجزيئات الموجودة في الهواء إلى نوعين النوع الأول وحجمها يكون أصغر من ٢،٥ مايكرومتر وهي ناتجة من عمليات احتراق الوقود لسيارات الديزل والمولودات الكهربائية وبعض المعامل والنوع الثاني من الجزيئات الملوثة للهواء يكون حجمها اكبر من ٢،٥ مايكرومتر وهي ناتجة من برادة الحديد في معامل قطع الحديد والمعادن وكذلك معامل تكسير الصخور والأحجار وسير السيارات في الطرق غير المبلطة أو ذرات العجاج المتطاير من تنظيف النوافذ والسيارات والأماكن الأخرى باستعمال الهواء الجاف. وتكون الجزيئات الصغيرة أكثر خطورة على الإنسان لأنها دائماً ما تستقر في الرئتين وتقاوم الوسائل الدفاعية في الجسم. وهنالك الكثير من المعامل والمصانع التي تلقي بكميات كبيرة من هذه الغازات والمركبات السامة وتعتمد على نوع المعمل:

١- معامل الازبست.

٢- معامل القطن.

٣- معامل الفحم الحجري.

٤- معامل التبغ وصنع السكائر.

٥- معامل الخشب وصنع الأثاث.

٦- معامل صناعة الورق.

٧- معامل الزجاج.

٨- معامل البطاريات وشحنها.

٩- معامل النسيج.

٢- المصدر الثاني الرئيس لتلوث الهواء هو عوادم السيارات وهي الغازات السامة المنبعثة مع دخان السيارات المزدحمة وبالأخص سيارات الديزل. وكذلك احتراق البنزين المخلوط بالرصاص لسيارات البنزين. ويضاف الرصاص للبنزين لتقليل الفرقعة أثناء احتراق البنزين المخلوط بالرصاص لسيارات البنزين. ويضاف الرصاص للبنزين لتقليل الفرقعة أثناء احتراق الوقود إلا أن دخان السيارات يطرح كميات كبيرة من الرصاص السام. وكذلك احتراق الكازولين وما يبعثه من غازات مخدشة لأغشية الجهاز التنفسي.

كذلك الغازات السامة المنبعثة مع دخان المولدات الكهربائية ومحطات توليد الطاقة الكهربائية عنصراً مهماً في تلوث الهواء. وفي احد بحوث البيئي في مدينة الرياض في السعودية إن زيادة نسبة التلوث البيئي في محطات توليد الطاقة الكهربائية كان بسبب استخدام الغاز الطبيعي بدلاً من استخدام النفط الخام أو الديزل (الشكل ١).

وهناك بعض الدراسات حول تأثير إضافة الرصاص إلى البنزين في السيارات حيث أشارت نتائج هذه البحوث إلى زيادة نسبة الرصاص في الأماكن المزدحمة بالسيارات حيث كانت آثاره على الجهاز القصبي وعلى وظائف الكليتين.

وكانت هذه البحوث في مدينة بابل عام ٢٠٠٠، ومدينة النجف عام ١٩٩٩، ومدينة بغداد عام ١٩٩٠، وفي الولايات المتحدة في مدينة نيويورك عام ١٩٨٠.

وفي بحث آخر في أماكن السيارات المزدحمة وجد أن هنالك زيادة في تراكم حامض البوليك في المفاصل والكلى حيث انه يحل محل الكالسيوم في أنسجة العظام. كذلك انه يؤثر على هيموغلوبين الدم.

٣- مخلفات حرق الوقود لغرض التدفئة وطهي الطعام يعتمد نصف العالم على الروث والحطب أو نفايات المحاصيل أو الفحم لتلبية احتياجاتهم من الطاقة الأساسية لهم ويؤدي حرق ذلك الوقود الصلب في نار مكشوفة أو في مواقد بدون مداخن لإغراض الطهي أو التدفئة إلى إحداث تلوث الهواء داخل البيوت ويحتوي الدخان المنبعث على طائفة من الملوثات المضرة بالصحة مثل السخام والغبار والتي يمكنها التوغل عميقاً في الرئتين وتكون أكثر تأثيراً في الأماكن التي لا توجد فيها تهوية صحية عما لو كان الحرق في الهواء الطلق. ودائماً ما يتأثر بذلك النساء والأطفال لا نهم قريبين من هذا التلوث

مصادر تلوث الهواء

شكل (١)

لذا تشكل نسبة عالية من الوفيات لديهم بسبب الإصابة بالأمراض الصدرية أو بالتسمم بغاز اوكسيد الكربون.

٤- حرق النفايات أو دفنها ومخلفات الصرف الصحي للمياه الثقيلة. هنالك غازات سامة تنبعث من موقع حرق النفايات الضارة أو من موقع دفنها. كذلك هنالك غازات سامة تنبعث بسبب معاملة مياه الصرف الثقيلة ببعض المواد الكيميائية أو تسريب بعض المواد السامة من الأنابيب أو الخزانات. كذلك وجود بعض الجراثيم والبكتريا الناتجة من تحليل النباتات أو تفسخ الحيوانات الميتة أو النفايات الآدمية.

٥- التلوث بواسطة الإشعاعات الذرية الطبيعية والصناعية وأتربة مبيدات الحشرات وكذلك بسبب الانفجارات وما تحويه من مواد سامة وبعض المركبات الكيمياوية كأبخرة الأمينات العضوية المتطايرة في الهواء بسبب الانفجارات.

إن تلوث الهواء بهذه الغازات السامة المنبعثة من مداخن المعامل تؤثر تأثيراً مباشراً على صحة الإنسان.

١- تأثير الهواء الملوث على العاملين في المعامل والمصانع.

٢- تأثير الهواء الملوث على المناطق السكنية المحيطة بالمعامل والبعيدة عنه ولمسافة ٣٥كيلو متر.

١- تأثير الهواء الملوث على العاملين في معامل الطابوق والسمنت والصناعات المطاطية.

تستعمل فحوصات كفاءة الرئتين لمعرفة مدى تأثير هذه المكونات على وظائف الرئتين ويستعمل لهذا الغرض جهازين:

١- السبايروميتر: لقياس كفاءة الرئتين ويشمل السعة الحيوية القسرية FVC الحجم الزفيري القسري في ثانية واحدة FEV.

٢- جهاز الفلوميتر: قياس السرعة القصوى لهواء الزفير القسري أثبتت النتائج وجود انخفاض معنوي في كفاءة الرئتين عند

تأثير الهواء الملوث على العاملين في معامل الطابوق و الاسمنت و الصناعات المطاطية (معمل الإطارات)
١- قياس كفاءة الرئتين في معامل الطابوق
شكل (٢)

شكل (أ)

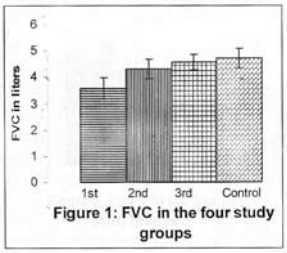

Figure 1: FVC in the four study groups

شكل(ب)

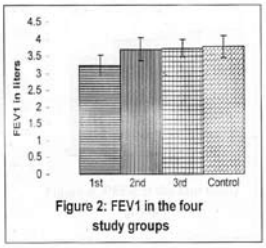

Figure 2: FEV1 in the four study groups

شكل (ج)

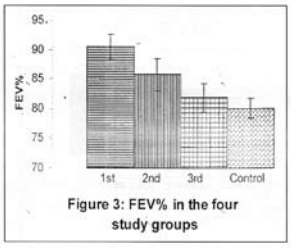

Figure 3: FEV% in the four study groups

شكل (د)

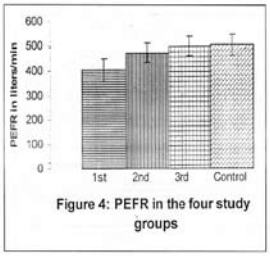

Figure 4: PEFR in the four study groups

العاملين في هذه المعامل عند مقارنتها بكفاءة الرئتين عند الأصحاء. كذلك أن الانخفاض المعنوي يكون أكثر كلما اقتربنا من المصدر الرئيس لتلوث الهواء أي الموقع الرئيسي لحرق وفخار الطابوق أو مقلع الاسمنت أو الصناعات المطاطية. وهنالك بحث في مدينة البصرة حول معمل صناعة الورق حيث كانت النتائج مشابه لهذا البحث.

كما هو في (الشكل ٢) حيث يبين حالة التعرض القليل والوسط والشديد وهو في احد معامل الطابوق.

و(الشكل ٣) هو في معمل السمنت. وقد لوحظ إن تأثير الهواء الملوث بذرات الاسمنت في هذا المعمل يكون أكثر عند العاملين في هذا المعمل ولفترة طويلة من ١٠- ١٥ سنة ويكون تأثيره أكثر عند الكبار في الصحة وكذلك أكثر عند المدخنين عما هو عليه في الصغار في العمر وغير المدخنين.

أيضاً هنالك دراسة أخرى في بغداد في معمل صنع وشحن البطاريات حيث يوجد انخفاض معنوي في كفاءة الرئتين عند العاملين في هذا المعمل.

إضافة إلى زيادة نسبة الرصاص مع الدم وبعض التغيرات في محتويات الدم.

٢- تأثير تلوث الهواء من مداخن المعامل على المناطق المحيطة بالمعمل ولحد مسافة ٣٥كم.

إن المداخن العالية لمعامل الطابوق والسمنت تسهل في عملية انتشار الغازات والمواد المنبعثة منها مع الهواء حيث أنها ستخفف كثيراً عند اختلاطها مع الهواء لحين وصولها إلى الأرض حيث تكون اقل خطورة على الإنسان.

وقد وجد أن الهواء الملوث المنبعث من المداخن العالية ينقل إلى مسافات بعيدة قد تصل إلى ٣٥ كم أو أكثر من موقع المعمل وعندما يكون تعرض المناطق السكنية لعدة سنوات وبصورة مستمرة قد يؤدي إلى حالات حدوث الإصابة بسرطان الرئة بسبب ترسب هذه الجزيئات الملوثة في الرئتين ولفترة

معمل الأسمنت
قياس كفاءة الرئتين في معمل الأسمنت
شكل (٣)

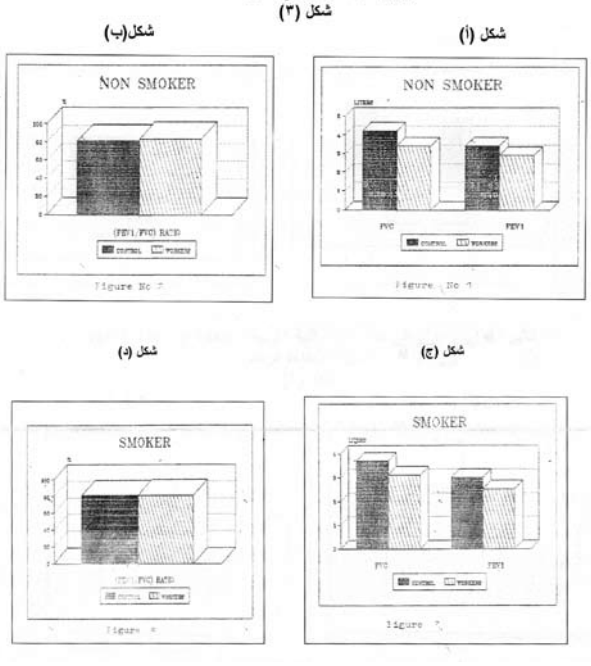

طويلة.

ويبين (الشكل ٤) في احد البحوث انخفاضاً معنوياً في قياس كفاءة الرئتين عند الناس الساكنين بالقرب من المعامل (معامل الكفل) كذلك هناك بحوث أخرى تشير انخفاض معنوي في كفاءة الرئتين في المناطق التي تبعد على مسافة أكثر من ٣٥ كم.

ويبين (الشكل ٥) لأحد البحوث في الولايات المتحدة حدة التلوث البيئي في منطقة المعمل والمناطق التي تكون باتجاه الرياح بينما التأثير يكون اقل في المناطق الموجودة بعكس اتجاه الرياح أي إن المناطق القريبة تكون معرضة عشرة مرات أكثر من الحد الاعتيادي بينما تكون المناطق البعيدة معرضة بنسبة مرتين أكثر من الحد الاعتيادي.

كذلك يبين (الشكل ٥) لأحد البحوث في الولايات المتحدة أيضاً نسبة حدوث حالات السرطان الرئوي حسب قربها من مصدر التلوث وحسب المناطق الجغرافية حول المعمل وحتى المناطق البعيدة عن المعمل أي أن التعرض المستمر وحتى على بعد ٣٠-٤٠ كم يسبب الإصابة بالسرطان أما التعرض القليل المنقطع فتكون الإصابة قليلة

تأثير الهواء الملوث على المناطق السكنية القريبة و البعيدة عن معامل الطابوق
١- قياس كفاءة الرئتين
شكل (٤)

شكل(ب) شكل (أ)

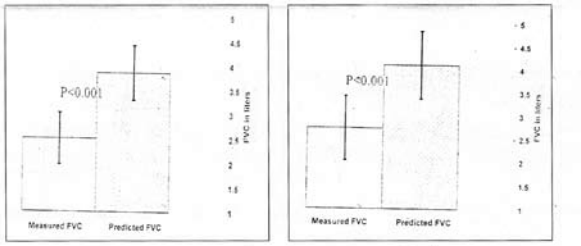

Female Male

شكل (د) شكل (ج)

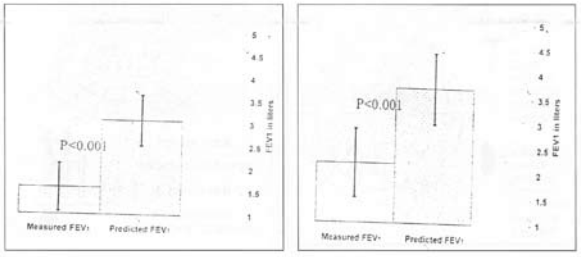

Female Male

تأثير الهواء الملوث على المناطق الجغرافية السكنية القريبة و البعيدة عن المعامل
شكل (٥)

شكل(ب) شكل (أ)

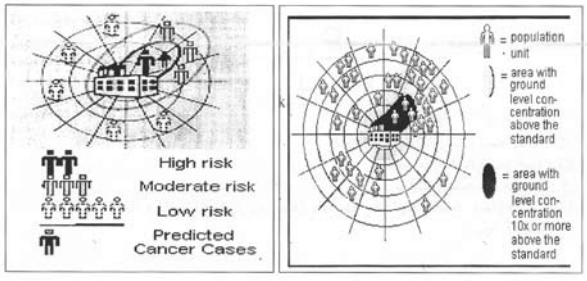

وبالأخص عند الأطفال والمسنين.

وللكشف عن نسبة التعرض لتلوث الهواء في المناطق المحيطة بالمعمل وبالإضافة إلى الفحوصات الطبية والأجهزة الطبية التي تكشف تأثير الهواء الملوث على كفاءة الرئتين وكذلك تأثيرها على مكونات الدم مع الإنسان.

هنالك طرق أخرى تستعمل للكشف عن كمية تلوث الهواء بالمواد السامة:

١- الأجهزة المراقبة للتلوث:

ودائماً ما توضع في مداخن المعامل وفي الأماكن المعينة القريبة من المداخن لغرض تسجيل كمية المواد المنبعثة من مصدر التلوث إلى الهواء مثلاً انبعاث ١٠ ملم من مادة سامة في الساعة الواحدة من مصدر التلوث بذلك فان مجموع هذه المادة السامة خلال يوم واحد تساوي ٢٤٠ ملغم في تلك المنطقة.

٢- استعمال المعادلات الرياضية والكومبيوتر:

تستعمل بعض المعادلات لحساب نسبة تركيز المادة الملوثة التي يتعرض لها الأشخاص في مناطق مختلفة ومسافات بعيدة عن مصدر التلوث. وذلك بحساب معدل التعرض للملوثات عن طريق تحديد المواد الكيمياوية كما في المعادلة:

$$C = \frac{Q}{LDW}$$

C: تركيز المادة التي يتعرض لها الإنسان.

Q: كمية المادة السامة المنبعثة

L: المسافة عن مصدر التلوث

D: سرعة انتشار المادة الملوثة في الهواء - وتعتمد على ارتفاع المدخنة والعوامل الحيوية الأخرى.

W: سرعة الرياح.

وبهذا ممكن معرفة نسبة الناس المتعرضين لتلوث الهواء في المناطق القريبة والمناطق البعيدة عن المعامل.

تأثير الهواء الملوث على صحة الإنسان

إن الطرق الرئيسية لدخول الهواء الملوث إلى جسم الإنسان هي:-

١- عن طريق الجهاز التنفسي - أثناء عملية التنفس وهي الطريقة الرئيسية (الشكل ٦).

٢- عن طريق الجهاز الهضمي - عند طريق تناول بعض الأطعمة الملوثة.

٣- عن طريق الجلد - عن طريق الامتصاص خلال الجلد.

عندما يدخل الهواء الملوث أو الغازات السامة المنبعثة من مداخن المعامل والسيارات إلى جسم الإنسان فانه أما أن يستقر في الرئتين مثل ذرات الازبست أو ذرات الاسمنت حيث أنها بالتالي قد تسبب تليف الرئتين عند التعرض لفترة طويلة.

أو أنها تنتقل عن طريق الدم إلى سائر أنحاء الجسم وذلك عن طريق الامتصاص من الجهاز التنفسي أو الهضمي أو الجلد وتحدث بعض التغيرات الكيمياوية على الغازات السامة في الدم وبالأخص عندما تصل إلى الكبد حيث أنها تصبح أكثر سمية وقد تسبب بعض الالتهابات في الكبد.

إن بعض الغازات السامة تحتوي على مواد سرطانية والتي تسبب تغيير في وظائف جسم الإنسان وتحدث تفاعلات كيمياوية داخل خلايا جسم الإنسان

تـؤدي إلـى قتـل الخلايـا أو شـل عملهـا وفعاليتها وقد تتحول إلى خلايا سـرطانية حيـث تنمو بشـكل غيـر مسـيطر عليه وبالتالي تحدث حالة الإصابة بالسرطان.

وقد أثبتت التجارب على الحيوانات إن التعرض للهواء الملوث يسـبب تشوهات فـي حمض DNA في نواة الخلية بسـبب التعـرض لاحتـراق مخلفـات الوقـود وبذلك فانه يسـبب ضرر جينـي بالوراثة. وعند اسـتعمال فلاتر لتنقية الهواء لبعض الحيوانـات ظهـر إن نسـبة التشـوهات فـي DNA انخفضـت بنسـبة ٥٢٪ عـن الحيوانات التي بدون فلاتر.

تأثير الهواء الملوث على الجهاز التنفسي

يسبب الهواء الملوث ما يلي:

١ـ تهييـج مـع تخدش لأغشـية الجهاز التنفسي مصحوباً بالسعال.

٢ـ التهاب القصبات المزمن أو التهاب الرئة أو أمراض صدرية أخرى.

٣ـ الربـو القصبي أو حساسـية مزمنة للقصبات.

٤ـ سرطان الرئة أو السل الرئوي.

٥ـ سـرطان البلعـوم أو سرطان الحنجرة.

وأخيراً الموت المبكر.

تأثير الهواء الملوث على القلب والأوعية الدموية

١ـ الهواء الملوث يسـبب الجلطة الدماغية بسبب زيادة نسـبة غـاز ثاني أوكسـيد النتروجيـن وتكون سـبب الجلطة الدماغية هو انفجار شـريان المخ أكثر مما هو بسـبب الخثـرة الدموية في الشريان وتزداد نسبة الجلطة الدماغية مع زيادة درجة حرارة الجو مع الهواء الملوث لـذا يفضـل الابتعاد عـن الأجـواء الحارة والمغبرة والملوثة.

٢ـ زيـادة لزوجـة الـدم بسـبب تلوث الهواء حيث يجهـد القلب أكثر في ضخ الدم إلى أنحاء الجسم قد يؤدي إلى الجلطة القلبية أو الدماغية.

٣ـ التسمم بالغازات السامة الموجودة في الهواء الملوث:

أ ـ التسـمم بغـاز أول اوكسـيد الكربون بسـبب ألفته إلى الهيموغلوبين أكثر من الأوكسجين لذا فانه يحل محل الأوكسـجين في كريات الدم الحمراء ويتحـد مـع هيموغلوبين الدم ويشـكل مركـب سـام يسـمى كربوكسـي هيموغلوبيـن وبذلـك يقلـل نسـبة الأوكسـجين في الجسـم وتحـدث حالة الاختنـاق كما يحـدث مـع المحروقات مثـل المدافئ النفطيـة أو الغازية بسـبب الاحتراق غير الكامـل للوقود. ويصيب الجهاز العصبي أيضاً.

ب ـ التسمم بغاز كبريتيد الهيدروجين

تأثير الهواء الملوث على صحة الإنسان

شكل (٦)

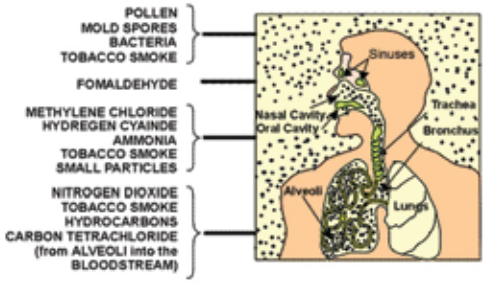

المنبعث من مياه الصرف الصحي وهو غاز سام يتحد مع هيموغلوبين الدم ويحل محل الأوكسجين وبذلك يقلل نسبة الأوكسجين في الدم.

ج - التسمم بغاز ثاني اوكسيد الكبريت بسبب تقلص الحويصلات الهوائية وبالأخص عند الأطفال والعجزة. ويساهم في تكوين الجسيمات العالقة وزيادة نسبة الأمطار الحمضية التي تؤثر على الثروة الزراعية والثروة الحيوانية وهذا يؤثر على الحالة الاقتصادية والاجتماعية.

د - التسمم بغاز ثاني اوكسيد النتروجين - وهو يتكون من عوادم السيارات ومخلفات المعامل يهيج الأغشية التنفسية ويقلل مناعة الجسم للأمراض التنفسية.

هـ - الرصاص - يصيب الجهاز العصبي مصحوباً بالصراع والغثيان والتعب الذهني والدوار والنسيان. كذلك يصيب الكليتين ويسبب انسداد في الشرايين حيث يسبب النوبات القلبية.

كذلك يسبب الهواء الملوث تهيج العين والأنف والحنجرة والأسنان.

كذلك التعرض وبصورة مستمرة للغازات السامة المنبعثة من الصناعات المطاطية أو مداخن السيارات المزدحمة أو استنشاق البنزين المتطاير في محطات الوقود يسبب مرض سرطان الدم (اللوكيميا).

وهنالك بعض البحوث تشير إلى أن التعرض المستمر إلى الغازات السامة المنبعثة من المعامل يؤدي إلى اختلال عمل الجهاز التناسلي. وكذلك عند تعرض الحوامل لهذه الغازات السامة قد يؤدي إلى إنجاب أطفال مشوهين مع تخلف عقلي وقليلي الوزن وتحدث أحياناً حالات الإجهاض مع زيادة في عدد وفيات الأطفال حديثي الولادة. كذلك تلوث حليب الأم يسبب إصابة الأطفال عند الرضاعة مع تلف الاستجابة المناعية عند الأطفال.

كذلك هنالك تأثيرات على الجهاز العصبي حيث يحدث الصداع المستمر مع دوار وغثيان وتقيؤ.

وتصاب العين بالاحتقان والالتهاب وجريان بعض السوائل منها.

ويتم طرح بعض هذه الملوثات من جسم الإنسان أو عن طريق زفير الهواء أثناء التنفس أو أن يتم طرحه عن طريق الإدرار أو الخروج أو عن طريق التعرق. بينما يخزن قسم منه في العظام والشعر والأنسجة الدهنية.

إن سبب الإصابة بهذه الأمراض أو التأثيرات الصحية واضحة لان هذه الغازات السامة تتخطى الوسائل الدفاعية الموجودة في جسم الإنسان وبالأخص في الجهاز التنفسي فمن المعروف عند استنشاق الهواء إن معظم الجزيئات الكبيرة فيه ذرات الغبار يتم تصفيتها في الأنف (يعمل كفلتر بواسطة رطوبته ووجود الشعيرات فيه) أما الجزيئات الأصغر حجماً فإنها تتجاوز الأنف وتصل إلى القصبات الهوائية وفي القصيبات الهوائية توجد الأهداب الشعرية والإفرازات المخاطية التي تفرز من خلايا كوبلت الموجودة في جدران القصبات الهوائية حيث تدفع هذه الجزيئات والأجسام الغريبة إلى منطقة البلعوم أما أن تخرج مع السعال أو أن يتم

بلعها وهضمها مع المعدة.

إلا أن بعض الجزيئات والأجسام الغريبة الصغيرة جداً تتجاوز الوسائل الدفاعية في القصبات وتصل إلى الحويصلات الهوائية (عددها ٣٠٠ مليون في كل رئة) حيث تتصدى لها كريات الدم البيضاء لغرض التهامها والقضاء عليها.

كل هذه الوسائل الدفاعية قد تفشل وبالتالي تدخل هذه المواد السامة من هواء المداخن للمعامل أو السيارات إلى جسم الإنسان وتسبب الحالات المرضية التي مر ذكرها. علماً أن مقاومة المسنين والأطفال اقل بكثير مما هي عليه عند البالغين الأصحاء.

فإنها ضعيفة عند المسنين بسبب قلة مقاومة الجهاز المناعي كما أنها ضعيفة عند الأطفال لأنها في دور النمو والتطور.

لذلك فان نسبة الوفيات تكون أكثر عند المسنين والأطفال في المناطق التي تتعرض لتلوث الهواء بصورة مستمرة بسبب المعامل وغيرها.

التوصيات

١- إدخال التحسينات والتعديلات في تصميم السيارات وتطوير تقنيتها لتقليل عوادم السيارات وتقليل تلوث الهواء وذلك باستخدام بدائل عن البنزين مثل استعمال مصادر جديدة للطاقة التي تعتمد على الهيدروجين أو طاقة الرياح أو الطاقة الشمسية أو طاقة الأرض الحرارية كذلك استبعاد التالف والقديم منها. وفي حالة استعمال البنزين يجب أن يكون خالي من الرصاص.

٢- البحث عن مصادر بديلة للطاقة لا يستخدم فيها الوقود الحاوي على كميات كبيرة من الرصاص والكبريت وربما يعتبر الغاز الطبيعي اقل مصادر الطاقة الحرارية.

٣- الاستمرار في برنامج التشجير الواسع النطاق حول المدن الكبرى.

٤- ترحيل محطات تعبئة البنزين خارج الأحياء السكنية.

٥- ترحيل الأحياء الصناعية خارج مركز المدينة.

٦- إبعاد معارض السيارات خارج الأحياء السكنية.

٧- إبعاد معامل المطابع الأهلية خارج مركز المدينة.

٨- لابد من غسل الأرصفة والشوارع وأرضية المحلات يومياً للتخلص من تراكم عنصر الرصاص.

٩- إيجاد طرق إنتاج محكمة الغلق دون تسريب.

١٠- التقليل من الغازات والجسيمات الصادرة من المدافئ والمصانع ومولدات الطاقة وذلك بمعاملة الغازات السامة المنبعثة من المداخن بالمواد الكيمياوية والفلزات لتقليل نسب تلوث الهواء وكذلك استعمال المرسبات الكيمياوية والمرشحات والفلزات ومعدات الاحتراق الحديثة.

إنشاء أجهزة لتنقية الهواء من الغازات والجسيمات واستعمال الكمامات للعاملين في المعامل والمصانع لخفض نسبة استنشاق الهواء الملوث.

١١- التوعية الصحية وتوجيه الناس بعدم السكن في المناطق القريبة من المعامل■

الانحصار الديني.. موقفنا

السيد أحمد الأشكوري •
أستاذ في الحوزة العلمية

بداية

الأندية الفكرية في بلداننا أثارت أطروحة الانحصار أو التكثر الديني واختلفت الرؤى فيها. فأردنا أن نطل عليها لنرى كنهها ومكنونها فانكشف لثامها وإذا هي ذات مفاهيم مختلفة فأي منها مدار النظر والخلاف.

المعنى الأول

التكثر الديني يعني التعايش السلمي في المجتمع الواحد ذي الأطياف المتعددة واحترام حقوق الأقلية الدينية والاعتراف بالآخر فالدعوة قائمة على أساس نبذ انحصار حق الحياة لثلة وإيجاد الحلول لتأمين تعايش الجميع تحت السقف الواحد وتقنين آليات لسد باب الإرهاب الديني والحروب وتسجيل الحقوق للأقلية أيضاً فلها حق العلم والإعلام والعمل والملكية والحرية والانتخاب وممارسة الطقوس الدينية وصون دمها وعرضها ومالها.

وهذا المعنى مسجل وممضى في السجل الإسلامي على صعيد القانون والتطبيق فقد ورد في الكتاب المبين: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا) بل التعايش شمل الدائرة الأوسع في منطق القرآن (لَا يَنْهَاكُمُ اللّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ

أَن تَبَرُّوهُـمْ وَتُقْسِـطُوا إِلَيْهِمْ) فشـمل البر والقسط وشمل الكافر.

وفي النهج (واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبـة لهم واللطف بهم لا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم فإنهم صنفان إما أخ لـك في الديـن أو نظير لك فـي الخلق) بل قد سجل أمير الساجدينَ عليه السلام في رسالة الحقـوق أروع الصـور نعـم هـذه الحقوق ليسـت منفلتـة بـل متزنـة ضمـن منظومة التـوازن العـام الاجتماعـي والمشـرّع لها على أسـاس فقه التزاحم وليس على صعيد التعايش التطبيقي.

ففي الرسـائل باب أن نفقـة النصراني إذا كبـر وعجـز عن الكسـب مـن بيت المال قال مر شـيخ مكفوف كبير يسأل فقـال أمير المؤمنين عليه السلام: مـا هذا؟ قالوا: يـا أميـر المؤمنيـن نصرانـي. فقـال أمير المؤمنين عليه السلام: اسـتعملتموه حتى إذا كبر وعجـز منعتموه أنفقوا عليه من بيت المال. وهذا المعنى وإن كان شيق الحديث إلا أنه ليس المرمى الذي نهدف إليه، أجل من أهم مقومات التعايش السـلمي فتـح أفق حوار الحضـارات (فَبَشِّـرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْـتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ).

المعنى الثاني

الكثرة هي أن الحق في كل دين موجود ولا تنافي حاد بين الأديان فلا نرتضي أن الدين اللاحق ناسخ تام للسابق فمتحدات القيم والخلق والرؤى حاصلة وهذا المعنى أيضاً كسابقه محفوظ في صفحات التاريخ الإسلامي وليس من المستورد الغربي لمجتمعنا وقد نادى الكتاب العزيز بذلك (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا).

المعنى الثالث

حديث النجاة والعذاب الأخروي بدعوى انحصار النجاة والفوز بالجنة بفرقة واحدة وسائر الفرق مخلدة في العذاب وميزان النجاة عندهم مختلف، إما معيار العقيدة وإما معيار العمل وإما معاً ففريق يرى أن الاعتقاد بمذهب خاص كاف في النجاة البعدية وإن لم يصاحبه العمل الصالح وفريق يعتقد أن العمل والإنجازات العلمية والخدمية للبشر هي رائدة الحركة الأخروية وفريق ثالث يعتقد بقيمة العقيدة والعمل على أساس أن التفاضل بالعقيدة والعمل مثبت له إليه يصعد الكلم الطيب والعقيدة والعمل الصالح يرفعه أو معكوساً أو معاً وكيفما كان فالحديث فيه مهم، لكن أجنبي عن كلامنا الحالي مضافاً إلى أن الإسلام ألقى بظلاله عليه وأفتى بأن القدر المتيقن من المخلد هو الكافر وأما غيره فهو يعذب لكن لا يكون مخلداً أو يعيش في وسطية لا جنة ولا نار إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً والمستضعفون هم:

١ـ الناس الذين لا يمكن لهم تعلم الدين.

٢ـ الذين لم يصل صوت الحق إليهم.

٣ـ الناس ضعيفو الفكر.

والأقوال متكثرة والروايات هي كلمة الفصل وقد أشبع العلماء هذا فنحن في غنى عن ذلك بعدما لم يكن هو المقصود.

المعنى الرابع

جورج جرداق وجبران خليل جبران يميلان إلى هذا المعنى وهو الاكتفاء بالإيمان باللّه والمهم هو التوحيد الأمر المركزي في الدين والأصيل وأما ما سواه فهو اعتباري وثانوي ولذا يمكن في العصر الواحد حقانية أكثر من دين وهذا يعني تعدد الحق والأديان وخلود الجميع ويكون الإنسان مخيراً في الانتخاب فالأمر الملزم الإيمان باللّه والانتساب إليه بأي وسيلة وسبيل.

فلا أهمية للأحكام الشرعية وتفاصيل الشريعة نظير القول بأن الغاية من الكسوة هو الستر وتعدد الأزياء لا يضر بعد تحقق الغرض والهدف فلا معنى لدعوى أرجحية ثوب وزي على آخر.

لكن أقول:

١ـ مسألة انحصار الدين وتعدده ليس بالأمر الفلسفي الذي يصار إليه بمعزل عن النصوص الدينية بل هو أمر تابع للوحي يعرف بالرجوع إلى أصحاب الشرائع وسيأتي موقف الشريعة من هذا.

٢ـ هذه النظرية مفادها تعدد الحق بل ولو كان متضاداً حيث ترى بحقانية جميع الأديان وإن كانت متضادة (كالتوحيد والتثليث) (الحير والاختيار) وسيأتي منا

رفض فكرة تعدد الواقع.

٣ـ هذه النظرية في الوقت الذي اعترفت بتعدد الأديان لم تبين فلسفة هذا التعدد ولماذا الشارع أرسل الأنبياء بعدما كان ما سوى الإيمان بالله أمر اعتباري لا قيمة له بل لنا أن نقول لا حاجة إلى بعث الأنبياء لأن الإيمان والاعتقاد بوجود خالق أمر فطري ودور الأنبياء بناءً على هذه النظرية محض تبليغ هذا الأمر الفطري.

نعم بناءً على المختار من وحدانية الحق والدين أن منشأ تعدد الشرائع هو التكامل البشري فإن الشريعة وإن كانت في ظرفها هي الأكمل (إذ يستحيل صدور الناقص من الله) ولكن بحسب التدرج في التشريع فالأكمل هو المتأخر والعقل حاكم بالعودة إلى الأفضل والإسلام قد حظى بالخاتمية لأنه الأكمل من حيث التشريع فله الصلاحية في الاستجابة لمتطلبات الناس إلى يوم البعث وكمال التشريع لا يستدعي كمال الأمة نعم في عصر الظهور ستصل الأمة إلى كمالها.

٤ـ لو قلنا بهذه النظرية لم يكن معنى من دعوى القرآن أصحاب الكتب السماوية ونعتهم بالكفر إن لم يؤمنوا بالإسلام (فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ).

٥ـ لازم القول بهذه النظرية خالدية جميع الأديان والمذاهب ولازمية خلود شريعة معينة يستدعي لغوية التشريع البعدي وخلود الشريعة القبلية يمنع نسخ أحكامها من الشريعة اللاحقة ولو بصورة إجمالية وقد نطق القرآن بالنسخ الإجمالي (وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ).

المعنى الخامس

الظاهر أن هذا المعنى هو مثار الحديث والمستورد من الثقافة الغربية وهو أن الدين حقيقة واحدة وهي إشراقات الأنبياء وارتباطاتهم مع الله بلا واسطة وتسمى هذه الخطوة بالتجربة الدينية وهي فاردة وثابتة عند جميع الأنبياء لكن هذه الواقعية الواحدة حينما تتنزل على لسان النبي ﷺ بعد اختمارها في ذهنه تتكثر فتكثر الديانات وليد اجتهاد النبي ﷺ وخطابه إذ إن كل من البيان والوجود الذهني يتأثر بعوامل كثقافة المجتمع وحضاراته وتاريخه والخلفية الفكرية والعادات الاجتماعية والحالة الجسمانية والنفسية للنبي ﷺ وهكذا خصوصية لغة الحوار عنده فبسبب هذه العناصر تنشأ ظاهرة تكثر الأديان هذا هو منشأ الكثرة أما حقيقة الدين فله لب وله قشور والأول هو الذي يهتم بتحويل شخصية الإنسان إلى إنسان موحد للحفاظ على اللب ولا عناية لصدقها وكذبها وتضادها.

وممن اختار هذه النظرية (جان هيك) المسيحي في كتابه (فلسفة الدين) وقد ردّ على هذه الدكتور عبد الكريم سروش في كتابه (الصراطات المستقيمة) وقد استعان الأخير بمجموعة من الأشعار والقصص والتشبيهات السطحية لإثبات مطلوبه فشبه المقام بلمس مجموعة من العميان في غرفة لفيل لم يتبطوا به إلى حد الآن وقد لمس كل أعمى جانب من الفيل فلمس الأول رجل الفيل وقال في تعريفه لهذا الحيوان إنه أسطوانة كبيرة حية ولمس الثاني خرطومه وقال الفيل ثعبان عظيم الجثة ولمس الثالث زاوية أخرى وعرّفه بحسب تلك الزاوية فحقيقة الفيل واحدة ولكن إدراكهم لها مختلف بسبب اختلاف الزاوية المدركة.

فمقامنا أيضاً كذلك إذ أن الحقيقة واحدة ولكن الأنبياء نظروا إليها من زوايا ثلاثة فنشأت عندنا ثلاث ديانات وتبتني هذه النظرية على مجموعة من الدعائم والركائز:

الركيزة الأولى: النظرية المعرفية النسبية لـ(كانت) وحاصلها أنها تذعن بوجود واقعي خارجي واحد إلا أن الذهن الذي هو السبيل الوحيد لكشف الواقع عاجز عن معرفة الواقع بل الصورة الذهنية المصنوعة تتأثر بعوامل عديدة ولا خصوصية لذهن النبيﷺ فهو أيضاً محكوم بهذه المعادلة الفسيولوجية وهكذا ترجمة الموروث الذهني وبيانه إلى الآخرين أيضاً وهي عوامل أيضاً متعددة.

فتلخص أنهم يرون الشيء في هيئته غير الشيء عندنا والعجز عن الوصول إلى الواقعية وقناة الحس مع عناصر مختلفة تصنع الصور الذهنية.

الركيزة الثانية: اللغة الدينية وخطابها لا يحكي عن الواقع ولا يقع بنحو القضية الخبرية وبالتالي تفقد القضية الدينية قطعيتها وتصبح خالية المحتوى وتكون أشبه ببيان الشعر والخيال ويكون دور الخطاب تحريك الأحاسيس لا بيان الواقع وأما علل مصير لغة الدين بهذا السبك هو حل مشكلة التعارض بين العلم والدين فالكتب المقدسة ليست ناظرة إلى الواقع وبعيدة عن المحتوى الخبري ولذا يكون الخطاب تخييلي.

الركيزة الثالثة: الأديان حتى المتضادة منها يشترك أتباعها في الحفاظ على اللب والجوهر وإن اختلفوا في القشر في طريق السلامة والهداية.

الركيزة الرابعة: تفسير الوحي هو شهود الأنبياء من دون واسطة والخطابات في البعد العقائدي الاخباري أو البعد الشرعي والأخلاقي الإنساني ما هو إلا استنباط الأنبياء وهكذا ألفاظ ليست صادرة من قبل الله بل هي ألفاظ النبيﷺ وهكذا تفسير النبي عندهم ما هو إلا بشر في البعد الذهني واللفظي.

الركيزة الخامسة: لا أرجحية لدين على آخر ولا قداسة في البين وبهذه الركيزة يمكن الدخول في معالم المدرسة

الليبرالية.

الركيزة السادسة: الأخلاق والأحكام أمور اعتبارية محضة وفاقدة لنفس أمريتها وهو مبنى التصويب الاشعري في عالم الأحكام والأخلاق ثم أن من الواضح أن هذه النظرية تحمل أهداف معينة من قبيل إيجاد الصلح الكامل بين الأديان والمذاهب وتضعيف الجانب السماوي وفتح باب الليبرالية الفكرية واستصغار شأن الأحكام والأخلاق ودفع المؤاخذات على الكتب السماوية الحاملة لقضايا منفرة وممانعة مع العقل.

ويرد هذه النظرية إبطال جميع الركائز:

أما الأولى فإن مآل هذه النظرية إلى السفسطة وقد بحثت مفاسدها في نظرية المعرفة بل الأزمة في الفكر الغربي تخبطهم المعرفي ومفتاح حل كثير من الأزمات الفكرية بتنقيح معالم نظرية المعرفة.

أما الثانية فإن الفكر المسيحي يحتاج إلى حمل الخطاب الديني على التخييل للتعارض عنده بين الخطاب والعلم وهذا الإشكال لا يسجل على الخطاب الإسلامي لعدم التنافي فإن العلم يتحرك في الأفق العرضي أي يبحث عن فائدة الظاهرة الكونية وكيفية الأستفادة منها أما الدين فيسير في الأفق الطولي أي يبحث عن العلل لهذه الظاهرة. وسيأتي في أبحاث قادمة الحديث.

أما الثالثة فنحن وإن نسلم أن هناك فرقاً بين الدين والشريعة وكون حقيقة الدين على مسد الطريق هي واحدة والأنبياء بلغوا هذه الحقيقة الواحدة ومن هنا جاء لفظ الدين في الاستعمالات القرآنية بصيغة المفرد لا الجمع وأهم خصوصيات الدين كونه ثابتاً وقيماً وفطرياً (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ) ومضمون الدين هو العبادة.

إلا أن الشرائع متعددة والمراد منها مسؤولية الإنسان في فضاء الأحكام والأخلاق أمام الخالق واختلاف الشرائع إنما يكون بسبب اختلاف استعداد الأمة (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) لكن نقول: الشريعة لا يعني القسر وعدم الأهمية ولا يعني أن الشريعة غير قابلة للصدق والكذب بل هي من الأمور الواقعية النفس الأمرية لا من الجزاف والاعتبار.

أما الرابعة فتفسير الوحي بالمعنى الذي تبناه صاحب القول يصطدم مع صريح القرآن (ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ)، (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ)، (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ).

أما الخامسة فلاشك في أن الإسلام هو الشريعة الخاتمة والإسلام هو التشريع الأكمل والعقل والفطرة والقرآن يدعو إلى الأكمل فعليه كيف لا تكون شريعة أرجح من شريعة.

أما السادسة فقد اتضح من رد الركيزة الثالثة أن الأحكام من الأمور الواقعية ولها مبادئ كونية من المصالح والمفاسد هذا مجمل المناقشة للمباني ومن لوازم هذا القول عدم ثبات وقطعية أي أمر (تعدد الصراط المستقيم) التي ومن العجيب أن يتبنى صاحب هذا القول نظرية تتعارض مع صريح القرآن (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ)، (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) ■

النقد الإلكتروني

م. م. علي الفضل •
كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة الكوفة

تمهيد

حدثت تغييرات كثيرة وكبيرة عبر الزمن في نواحي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وتحديداً في التعاملات الاقتصادية، حيث بدأت عملية المبادلة والمقايضة عبر التاريخ بنوع من أنواع الحبوب كالقمح مع كمية معينة من التمر مثلاً، وهي مبادلة من نوع بسيط واستمرت عملية التعقيد في فلسفة وطبيعة التعامل التجاري لتصل إلى ما وصلت إليه اليوم من تجارة حرة وأنواع مختلفة من التبادل التجاري السلعي والخدمي مقابل نقد عيني أو ملموس، ووصلت إلى أبعد حدودها لتستحدث أسواق خاصة للمتاجرة بوسيلة المبادلة (النقد) وهي أسواق العملات، ووسيلة المبادلة هي القيمة التي يتم دفعها بشكل عيني (مقايضة) أو نقدي (عملة) مقابل خدمة أو سلعة لتحقيق منفعة أو لسد حاجة عالية أو ضرورية بناء على دوافع ورغبات الزبون أو المستهلك، ومع تطور وتعقد مستوى وحجم نشاط الإعمال والتعاملات التجارية تعقدت وسائل الدفع أو التبادل التجارية لتصل أحياناً إلى

أن تكـون وسـيلة الدفـع (عينيـة نقدية) فـي آن واحد، كيف يتم ذلـك؟ الجواب يتم عـن طريق بطاقات الائتمان وبطاقات الدفع المسبَق وغيرها وهو ما يسمى (بالنقد الالكتروني).

وللنقـد الالكترونـي مجموعـة متطلبـات لابد مـن توافرها فـي تتميم عملية التداول وأهم هذه المتطلبات:

١- توفـر تقنية الاتصالات أو وسـيلة الربط، التي مـن المفترض أن تمر من خلالهـا المعلومـات والبيانات والأوامر وتقنيـات الاتصـالات عديدة ومتشـعبة لكن يمكن ذكـر أبرزها وأكثرها شهرةً وشـيوعاً وهي (الهاتف الأرضي - الهاتف اللاسلكي (Wireless) - النقال (Mobile) - شـبكة الانترنت - شبكة الإنترانت).

٢- العنصر الثاني الضروري لانسياب النقد الإلكتروني هو تقنية المعلومات أو نظام المعلومات والمتمثل بـ(الأجهزة المادية - البرامجيات - الكادر البشـري المعلوماتـي) وهذا النظـام واجبه إدارة النقد الإلكترونـي وإدامته والمحافظة عليه وتحقيقه لأمنـه وتوزيعه وإدارته بصورة مُثلـى لا تقبـل الخطـأ، وهنـا لابد من التعقيـب على موضوع مهـم جداً طالما تطرقنـا لـه وهـو (أمـن المعلومـات) (Security of informations)، الذي يعـد الكتـاب والباحثـون نظاماً لـه سـتراتيجيات تعتمد اعتمـاد كلي وأساسـي على توفر الكوادر البشرية الكفوئة والأمنية والقادرة عن كشف وملاحقة الاختراقات.

٣- ثقافـة المجتمـع وهـو العنصـر النفسـي الـذي يدعـو إلـى تقبـل النقد الإلكترونـي، وعـادة مـا تكـون المجتمعـات ذات الثقافـة العاليـة، وخصوصـا الثقافـة الاقتصاديـة أكثر تقبلاً للموضوع وهنا لابد من طرح مثال علـى واقع العديد مـن المجتمعات ذات البعد الثقافـي المحدود حيث لا ترفض فكرة تقبل النقد الإلكتروني فحسب بل ترفـض بعض الإصـدارات الجديدة من النقـد الورقـي أو المعدني وبفئات

لـم تألفها مسـبقاً أو لم تصدر شـبيهتها مؤسساتها النقدية.

٤- جـودة وسـيلة الاتصـال: أضفت - كعنصـر رابـع - لمتطلبـات النقـد الإلكتروني إيماناً بأهمية هذا الموضوع وخطورة تعلقه بحقـوق وأموال الناس، وبمـا أن النقـد الإلكترونـي، هـو ذو قيمة لا تقل عن النقد الاعتيادي، فلابد مـن المحافظـة عليـه، وتوفير وسـيلة آمنه، لنقلـه والمحافظة على جودة هذه الوسـيلة من خلال تحقيق جدولة شاملة في الاتصال لأن التلكؤات في الخدمة قد تـؤدي إلى ضياع الأمـوال، وهذا ما لا تسعى إليه البنوك الاعتيادية والبنوك الإلكترونية.

ويتسـع نطـاق التعامـل بالنقـد الإلكترونـي عـادة ليشـمل تعامـلات تمتد إلى كل أنحاء العالم، ولا يقتصر علـى بلـد دون آخـر أو إقليـم أو قـارة مـا وهو عنصـر أساسـي فـي التجارة الإلكترونيـة التـي تنشـط بصـورة رئيسـية عبر الانترنـت، والانترنت هو ملتقى المسـتثمرين والزبائـن والتجار والسـلع والخدمات، وكل ما هو متاح وقابـل للبيع، أي بمعنى أنه سـوق رائج يتم التداول فيه عبر النقد الإلكتروني وتوجـد إحصائيات وتقديـرات لحجم نشـاط الأعمال التجاريـة المالية حيث توجـد تجربـة مميزة لشـركة (Dell) لصناعة أجهـزة الكومبيوتر وملحقاته حيث قامت الشركة ببيع ما قيمته (٤٠) مليون دولار من منتجاتها عبر الإنترنت خـلال عام (٢٠٠٦) ويـزور موقعها على شـبكة الانترنـت (٣٢) مليـون زائـر سنويا تقريباً.

ومـع توفـر نشـاطات مهولـة مثـل نشـاطات شـركة (Dell) وغيرها من الشـركات، فلابد من توفر مصارف الكترونيـة لتسـهيل تعامـلات تلـك الشـركات وتسـهيل تعاملات الزبائن مـع تلـك الشـركات ويعد بنـك (نت بانـك) (www.netbank.com)، أول بنـك الكترونـي قيم فيه تـداول النقد الإلكترونـي علـى شـبكة الانترنـت حيث نمـت وازدهرت أعماله ابتداء من عام ١٩٩٥م، وما زال يزاول نشاطه حتى الآن وقد بلغت الزيادة في معدل أرباحه خلال عام ٢٠٠٦م، ٧١٧٪.

مزايا الدفع الإلكتروني

١- بالتأكيـد نحـن نتكلم عن نظام حديـث، ووسـيلة متطـورة، للدفـع وللسـداد المالـي، تميـزت بالعديد من المزايا والفوائد عن باقي وسـائل الدفع والسـداد التقليدية وأيضاً هناك عيوب ومسـاوئ منعت أو أخـرت الكثير من الزبائـن مـن البـدء بالتـداول فـي مثل هكذا نقد وعلى أي حال يتصف الدفع الإلكتروني بالمزايا التالية:

١- التداول بالنقد الإلكتروني وسيلة لا يحدها زمان ومكان من خلال حمل بطاقـة ائتمانية تمكن من سـداد قيمة المقتنيـات والسـلع والخدمـات في أي وقـت وفي أي زمان على عكس حرف صرف النقد من البنوك بواسـطة شيك فهـي محـدودة بوقت ومـكان أو عدم كفايـة النقد الممول لسـداد سـلعة أو خدمة ما.

٢ - أمكانية تحويل نقد كبير بوقت قليل لعـدد غير محدود من الأشـخاص

كما هو الحال في دفع رواتب موظفي شركة أو دائرة حكومية فقد يستغرق عملية تحويل رواتب هؤلاء الموظفين ساعة واحدة يستلم خلالها قرابة الألف موظف رواتبهم كما هو الحال في مصرف لبنان الذي يمتلك نظاماً الكترونيا متطوراً لدفع الرواتب.

٣- أمكانية دفع الفواتير مثل الكهرباء والماء والهاتف دون بذل جهد في ذلك والحصول على خصومات أضافية باستخدام طريقة الدفع الإلكتروني.

٤- يوفر النقد الإلكتروني خاصية تحقيق الأمن والسلامة في تبادل ونقل الأموال حيث عند ضياع مبلغ (١٠٠٠) دولار كنقد اعتيادي، فرص العثور عليه قليلة جداً لكن عند ضياع بطاقة اعتماد قيمتها (٥٠٠٠) دولار ممكن المحافظة عليه من الضياع عن طريق الاتصال بالبنك أو الشركة التي أصدرت بطاقة الاعتماد وإلغائها والإبلاغ عن ضياعها من أجل إصدار غيرها.

وهذه هي أهم فوائد ومزايا النقد الإلكتروني أما عيوبه ومساوئه هي:

١- ارتباط تحويل النقد الإلكتروني وتبادله بجودة الخدمة لوسيلة الاتصال (الانترنت - الهاتف الأرضي - الهاتف اللاسلكي - والموبايل أو المحمول) فسوء الخدمة يؤثر على نقل أو تبادل النقد وقد يؤدي إلى ضياعه.

٢- النقد الإلكتروني وسيلة سداد أو تداول لا تجد القبول من كل المجتمع بسبب ثقافة ذلك المجتمع العامة والاقتصادية على وجه الخصوص وتختلف من بلد لآخر.

٣- عند تعرض النقد الإلكتروني للسرقة المنظمة (وهو احتمال ضعيف) فأن صاحب المال قد يخسر أمواله بالكامل إذا لم يكن صاحب المال ذو دراية كافية بتحقيقه الأمن لذلك المال من خلال عدم اتصاله بالبنك عند ضياع بطاقته الائتمانية أو تأخره في الإبلاغ ■

التجارة الإلكترونية

التجارة الإلكترونية أو ما يعرف عامة بـ E-Business في الحقيقة تعريبها الصحيح هو الأعمال الألكترونية لأن الـ E-Business لا يضم التجارة فحسب بل يتعدى ذلك ولكن عامة ما يعتقد الناس أنها مجرد التجارة أو بيع السلع عبر الأنترنت.

الأعمال الإلكترونية هي في الحقيقة عملية إقحام تكنلوجيا المعلومات وخاصة الأنترنت في المعاملات بين الحريف ومقدم الخدمة، وإقحامها أيضاً في عملية تسويق وابتكار المنتوج أي احتواؤها في حلقة الإنتاج و ذلك يكون في أحسن الظروف بداية من المزود بالمواد الخام وانتهاء بالحريف المستعمل.

التراث الفلكي الإسلامي.. التراكم والقيمة العلمية

عبد الأمير المؤمن •
باحث في علم الفلك

بناسبة المُتتبع لمصادر التراث العلمي الإسلامي سَيَلفتُ نَظَرَهُ - بين هذا الركام الهائل من التراث - كمٌ هائل من التُراث الفلكي الإسلامي. وسيعثر على المزيد من الكُتب الفلكية والأزياج (الجداول الفلكية) والآلات الفلكية المتنوعة. وعلى الرغم من أن الكثير منها ضاع أو تلف. إلاّ أن الموجود الباقي - خاصة بعد عمليات الإهتمام والمتابعة - ليس قليلاً. إن نظرة فاحصة إلى الكُتُب التي سجَّلت هذه المصادر الفلكية، ككتاب الفهرست لإبن النديم، وأخبار الحكماء للقفطي، وكشف الظنون لحاجي خليفة، وغيرها، تكشف الكم الهائل لهذا التراث الفلكي العظيم. ونظرة فاحصة أخرى إلى الفهارس والقوائم التي سجلت المتوافر منه في المكتبات والمتاحف والقصور الخاصة، تدُلّ على أن الموجود الباقي من هذا التراث ليس قليلاً. فهُناك مثلًا المزيد من الكُتُب

التي وصلت إلينا في الإسطرلاب، والمزيد من المخطوطات في الأزياج، والمزيد من الكُتُب الفلكية العامة في موضوعاته المختلفة. والخاصة في موضوع معين.

التراث العلمي.. مُهمَل

إنه مُهمَل فعلاً، ومظلوم أيضاً. ليس في الوقت الحاضر فحسب، وإنما مُنذ القدم، مُنذ وضع اليونانيون المادة العلميّة في درجة أدنى من المادة الفلسفية والفكرية. فقد ورد أنه كان في الإسكندرية مجمعٌ للحُكماء وبها كانت معاريجهم مثل الدرج، يجلس عليها الحكماء على طبقاتهم، فكان أوضعهم علماً الذي يعمل الكيمياء، فإن موضعه كان على الدرجة السُفلى[1]. فالكيمياء علمٌ أو صنعة يدوية، وليست فكرية. وبذا وُضع المشتغل بها على الدرجة السفلى في مراتب العلوم، ومثلها كان الطب والهندسة والحيل (الميكانيك)... كانت هذه علوماً غير مرغوب فيها. في حين كان المشتغل بالفلسفة والفكر يحتل مكاناً مرموقاً. وقد انتقل بعض هذا المزاج وهذا التفكير إلى الحضارة الإسلامية. بانتقال أرسطو وأفلاطون وغيرهما، إلى الثقافة الإسلامية. فكان الإنتاج الفكري والأدبي والشعري أهم وأغزر من الإنتاج العلمي، الذي يهتم بالعلوم الطبيعية والرياضية وأشباههما. ففي تأريخنا الحضاري، تجد المفكرين النظريين والأُدباء والشُعراء أكثر بكثير من العُلماء. من الفيزيائيين والكيميائيين والأطباء والمهندسين والرياضيين. وإثبات ذلك ليس صعباً، فنظرة سريعة إلى الكُتُب الكثيرة المؤلفة في الفكر والأدب والشعر،

وما حظيت به من اهتمام، تؤكد هذا المعنى، فأسماء الشُعراء والأدباء أكثر من أن تُحصى، فهُناك المتنبي وأبو تمام والبحتري وأبو فراس وابن الرومي والشريف الرضي وأبو العلاء المعري وابن المعتز، وهُناك من الأدباء والنقاد، الجاحظ وابن العميد ومُحمّد بن سلام وأبو هلال العسكري وأبو الفرج الأصبهاني وابن قُتيبة وغيرهم الكثير الكثير.

وفي مقابل ذلك كان العلم والعُلماء، كانت الفيزياء وعُلماء الفيزياء، والكيمياء وعُلماء الكيمياء، والطب والأطباء، والزراعة وعُلماء الزراعة، والهندسة والمهندسون، وعلوم أخرى وعُلماء آخرون (وإن كان الطابع الموسوعي يغلب عليهم)، كانت هذه العلوم وأمثالها كثيرة وذات مُستوى

مُتقدّم جداً قياساً إلى عصرها. الخالي من الأجهزة العلمية المتطورة. ولكنها قليلة ومحدودة قياساً إلى الفكر والأدب والشعر. إن هذا القليل كثيرٌ جداً... ومُهم جداً أيضاً. إن الإنجازات العلمية التي قدمتها الحضارةُ الإسلامية عظيمة وذات مُستوى إبداعي مشهود، وخاصة إذا أخذنا بنظر الاعتبار المادة العلمية الشاحبة والمريضة التي أفرزتها العصور الأوربية الوُسطى وما قبلها كالعصر اليوناني الذهبي، فعلى أهمية ما قدّمهُ اليونانيون من مادة فكرية وفلسفية، كانت إنجازاتهم في مجال العلم والتكنولوجيا محدودة، كان أرسطو قياسياً تأمّلياً، وكان أفلاطون مثالياً خيالياً، وحتى (بطليموس القلوذي) صاحب النظرية الفلكية الضخمة (مركزية الأرض) لم يكُن راصداً ميدانياً من الدرجة الأولى، وإنّما أقام نظريته في الدرجة الأولى على الفكر والرياضيات والتأمل والاستنتاج مع اعتماده على الأرصاد والملاحظات الموروثة والشخصية.

لقد قدّمت الحضارة الإسلامية مادة علمية دسمة جداً، حتى ليصحّ وصفها (أي الحضارة) بالعلمية أكثر من وصفها بالفكرية والشعرية والأدبية لقد كان المنهج العلمي الذي استخدمه المسلمون في دراسة المادة العلمية أروع اكتشاف حققتهُ الحضارة الإسلامية، فقد استخدم جابر بن حيان، وأبو الريحان البيروني وابن الهيثم وغيرهم هذا المنهج، وقدّموا من خلاله أروع الإنجازات

العلمية، ولسنا في صدد تعداد تلك الإنجازات والإبداعات، ويكفي أن نذكُر ما قالهُ ابن الهيثم المتوفى سنة ٤٣٢ هـ حول مراحل المنهج العلمي وطريقة البحث، قال:(ونبتدئ في البحث باستقراء الموجودات. وتصفّح أحوال المبصرات. ونُميّز خواص الجزئيات. ونلتقط بالاستقراء ما يخُصُّ البصر في حال الإبصار، وما هو مُطرد لا يتغيّر وظاهر لا يشتبه من كيفية الإحساس. ثُم نترقّى في البحث والمقاييس على التدريج والترتيب، مع انتقاد المقدمات والتحفظ في النتائج، ونجعل غرضنا في جميع ما نستقرئه ونتصفحه استعمال العدل لا إتباع الهوى، ونتحرى في سائر ما نُميّزه وننتقده طلب الحق لا الميل مع الآراء، فلعلّنا ننتهي بهذا الطريق إلى الحق الذي به يثلج الصدر ونصل بالتدريج والتلطّف إلى الغاية التي عندها يقع اليقين ونظفر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التي يزول معها الخلاف وتنحسم بها مواد الشُبهات وما نحنُ، مع جميع ذلك، براء ممّا هو في طبيعة الإنسان من كدر البشرية. ولكننا نجتهد بقدر ما هو لنا من القوة الإنسانية. ومن الله نستمد المعونة في جميع الأمور)[٢].

وبهذا المنهج وهذه الطريقة، أنجز المسلمون إنجازات علمية كُبرى في الفلك والبصريات والطب والكيمياء والهندسة وغيرها. ويُمكن مُراجعة هذه الإنجازات من خلال الدراسات والبحوث التي أوجزتها المراجع الحديثة في تواريخ العلوم[٣].

وحول الإنجازات التي قدمها المسلمون من خلال هذا المنهج يذكُر (غوستاف لوبون): (ونشأ عن منهاج العرب التجريبي وصولهم إلى اكتشافات مُهمّة، فسترى من مباحثنا في أعمال العرب العلمية أنهُم بالحقيقة أنجزوا في ثلاثة قرون أو أربعة قرون من الاكتشافات ما يزيد على ما حققهُ الإغريق في زمن أطول من ذلك كثيراً)[٤].

من هُنا نتساءل، كم وفى الحاضرون لتُراثهم العلمي؟ هل استطاعوا أن يُقدّموه مادةً علمية مُثيرة تفتح شهيّة الإنسان المسلم ليُعيد أمجاد البيروني، والبتّاني وابن الهيثم والرازي وأمثالهم؟ هل بعث الحاضرون تُراث أجدادهم العلمي ليُباهوا به الأمم العلمية المتقدمة. ويجعلوه مُحفزاً ودافعاً للتطور والتقدم، في عصر أصبحت السيادة فيه للعلم؟!.

الحقيقة إن الحاضرين، لم يوفّوا التراث العلمي حق قدره، فلا زال المُسلم يجهل الكثير من تُراثه العلمي، ولازالت كنوزهُ ميّتة داخل جُدران المكتبات والمتاحف، والذي حقّق ونُشر منهُ عدد محدود ، على الرغم من الاهتمام الجاد، الذي توافرت عليه معاهد ومؤسسات حديثة. في حين حظي التُراث الأدبي والشعري بكثير من الاهتمام، قياساً إلى التُراث العلمي. فقد طبعت ونشرت دواوين كثيرة وكُتُب أدبية تُراثية جمّة، علماً أن قيمة هذه الأخيرة، ليست بالضرورة أكبر من قيمة التراث العلمي، وخاصّة في عصرنا الحاضر عصر العلم والتكنولوجيا. والحق يُقال، إن

المُستشرقين (على تنوعهُم واختلاف أهدافهُم) سبقونا في هذا المضمار، فقد بدأوا قبلنا بكثير، بنقل هذا التُراث إلى لُغاتهم، ونشر الكثير من مخطوطاته. ووضع فهارس مُتنوعة لهُ، وكتابة دراسات وبحوث عديدة حولهُ، وكشف المزيد من المادة العلمية التي احتضنتها مصادره. ممّا مهدوا الطريق (من حيث يريدون أو لا يريدون) أمام الباحثين والمُسلمين، حيث نشأ جيل من العُلماء والباحثين - والحمد لله - نشروا كثيراً من مخطوطاته. ووضعوا العديد من البحوث والدراسات الجادّة في حقوله المُختلفة. وأنشأت بعض المعاهد والمؤسسات، أخذت على عاتقها نشر مخطوطاته وكتابة دراسات حوله. ويقع في طليعة هذه المراكز، معهد التراث العلمي العربي الذي أنشأتهُ جامعة حلب في السبعينيات من القرن الماضي.

إن التُراث العلمي الإسلامي، بكُل أنواعه وفروعه مظلوم. بسبب عدم وجود الأيدي الخبيرة الكافية التي تقدّمه في إطار جديد، على مُستوى الشكل والمضمون، حتى يستطيع الباحث والقارئ العادي دراسته وفهمه بشكله الصحيح.

الكم الهائل من التُراث الفلكي

التراث الفلكي الإسلامي، جُزءٌ من التُراث العلمي الضخم الذي قدمتهُ الحضارة الإسلامية إلى العالم. وقد صنعت هذا التراث الكبير عوامل عديدة، ليس مجال استعراضها ودراستها في هذا الموضوع المحدد. الذي يهمّنا هُنا، هو التراث الفلكي وحدهُ، يهمّنا لأنهُ كم هائل جداً، وجُزء مُهم جداً، بين التراث العلمي الضخم، وقد وَصَلنا منهُ الكثير، على الرغم من وصول أنواع أخرى من التراث العلمي، حتى أن الناقلين أو المترجمين لمجمل التراث، جعلوا التراث الفلكي والطبي في أولويات نقولهم. فكانت النقولات الأولى من تُراثنا الإسلامي، فلكيّة وطبية. فقد كانت طلائع الترجمات اللاّتينية عن المصادر العربية ترجمات فلكية. فنقل (جربردي أورلياك) (٩٣٨م - ١٠٠٣م) عدداً من الكُتب الفلكية والرياضية ونشر الأعداد العربية في أوربا، وترجم بعض الكُتُب الرياضية والفلكية، كالزيج المنصوري، ولهُ دراسة عن إقليدس باللّغة العربية[٥]. أما (أدلرد أُف باث) (١٠٧٠ - ١١٣٥م) فقد ترجم كُتباً وافرة في الفلك، أشهرها زيج الخوارزمي بتنقيح المجريطي وأربعة كُتُب لأبي معشر البلخي بمُعاونة (يوحنا الأشبيلي) (مُنتصف القرن الثاني عشر الميلادي) ومثله هذا الأخير، فقد ترجم رسالةً في الإسطرلاب للمجريطي، والمدخل إلى علم هيئة الأفلاك للفرغاني، والموجز في الفلك للفرغاني أيضاً[٦]. ومثلهُ (جرار دي كريمونا) (١١١٤ - ١١٨٧م) حيث ترجم المجسطي (العربي). وكتاب الهيئة في إصلاح المجسطي، وتسعة كُتُب لجابر بن أفلح. والزيج الطليطلي[٧]. هذه نماذج من الترجمات الأولى لتُراثنا الفلكي.. وهي قليل من كثير لا مجال لذكرها هُنا. وتدلّ فيما تدلّ على أن تُراث العُلماء المسلمين في

هـذا الحقل كثير. وبين أيدينا - اليوم - أسـماء كثيرة جداً مـن كُتب التراث الفلكي. ومُراجعة سـريعة لفهرسـت إبن النديم. وتأريـخ الحكماء للقفطي وحدهُمـا كافيـة جـداً لإدراك الكم الهائـل مـن التُـراث الفلكـي، الـذي خلّفـه الأجـداد. أمـا الباقـي المتوافر بيـن أيدينـا، وإن كان قليـلاً، قياسـاً إلـى أصل التُـراث الفلكي الموروث، إلاّ أنـهُ ليـس قليلاً في حقـل واحد من حقـول العلـم. ومـن أمهـات الكُتـب الفلكيـة التـي بيـن أيدينـا، ترجمات المجسـطي وشـروحه وتفسـيراته وتلخيصاتـه، ومـا جرى علـى منواله، كالقانون المسـعودي للبيروني، وعلم الهيئة من شـفاء ابن سينا. والمجسطي لأبي الوفـاء البوزجاني. وإصـلاح المجسـطي لجابر بن أفلح، وتحرير المجسطي لنصير الدين الطوسـي. وغيرهـا من كُتُب الفلك ككتاب التذكـرة لنصيـر الديـن الطوسـي وصور الكواكـب الثمانـي والأربعيـن للصوفـي، ونهاية الإدراك في دراية الأفـلاك لقُطب الديـن الشـيرازي. والهيئـة لمؤيـد الدين العرضي. وعـدد مـن الأزيـاج ولاسـيما الزيج الصابي للبتّاني والزيج الإيلخاني لنصير الدين الطوسـي وزيـج أولـغ بـك لالـغ بك، وعـدد مـن كُتُب الإسـطرلاب. وعـدد مـن كُتُـب الآلات الفلكيـة، ككتاب كيفية الإرصاد لمؤيد الدين العرضـي وغيـره. والكثيـر الكثيـر ممـا يطول تعـداده. وهـذه المصـادر بيـن مطبـوع ومخطوط، وفـي فهارس المخطوطـات، وخاصـة تلك التـي تتعلـق بالتـراث العلمـي، مزيـد مـن أسماء الكُتُب الفلكية الموجودة في أماكن مُختلفة من العالم.

ولكـن مـا هي أسـباب وفـرة هذا التراث الفلكي، المفقود، والموجود حالياً؟ السبب العام، هو النقلة الحضارية التي أوجدها الدين الإسلامي الحنيف. فقـد خلق هـذا الدين حضارة إنسـانية وعلميـة لم تكُن من قبـل، فاقت كُل

الحضارات السابقة بما فيها الحضارة اليونانية العريقة التي قدّمت الكثير من التراث العلمي للحضارة الإسلامية. لقد كان القرآن الكريم في طليعة العوامل والأسباب التي ساهمت في نموّ علم الفلك وتطوّره، وبالتالي في الكم الهائل من التأليفات الفلكية. فالقُرآن بما حمل من معان حضارية جديدة، لعب دوراً تغييرياً كبيراً، وعلى مُختلف الصُعُد، لذلك يُمكن اعتباره أصلاً وأباً لعدد من العوامل، ساهمت في الاندفاعة السريعة نحو العلم بشكل عام، وتطوّر علم الفلك بشكل خاص[٨]. فقد استثار العقول ودفعها نحو طراز جديد من التفكير، دفعها إلى طلب العلم وإلتماسه من مظانّه. والشواهد القُرآنية في هذا المجال كثيرة منها قوله تعالى: (وقُل ربّي زُدني علماً)[٩].

وقوله تعالى: (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)[١٠]. وغيرهما من الآيات، وهُناك أحاديث نبويّة كثيرة في هذا المجال أيضاً. بل وتعدى القُرآن ذلك إلى التأكيد على النظر في الكون والسماء وما خلق الله فيهما. قال عز وجل: (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج)[١١] وقال أيضاً: (أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء)[١٢]. ونبّه القرآن إلى أمور فلكية كثيرة كقوله عز من قائل: (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌ في فلك يسبحون)[١٣].

ولم يكُن الحث على النظر إلى السماء والتفكّر فيها وحدهُ حافزاً لتتبع السماء وأجرامها وأخبارها، وإنّما استجدت حاجة علمية مُهمّة، وهي: ضرورة ضبط بعض المفردات الدينية التي أمر بها القرآن، ولا يتم ضبطها وأحكامها إلاّ بمُتابعة فلكية جادة. فقد وردت في القرآن الكريم مُفردات دينيّة أو عدد من الأحكام الشرعية الإسلامية، ترتبط بشكل مُباشر بالشمس أو القمر أو بظواهر كونية أخرى، وبدون التحرّي الكافي والتدقيق اللاّزم عن سلوك هذين الجرمين وبعض الظواهر الكونية الأخرى لا يُمكن أداء تلك الأحكام بشكلها الشرعي الصحيح، لذلك كان لزاماً على المسلم - لتلافي الوقوع في الحرام - مُتابعة السماء ومعرفة عدد من الأمور الفلكية الضرورية. فالصلاة، ترتبط بشكل مُباشر بطلوع الشمس وغروبها، وتختلف أوقاتها من بلد إلى آخر، ومن يوم إلى يوم. وعلى هذا الأساس يجب على المُسلم أن يعرف عرض البلد الجغرافي وحركة الشمس في فلك البروج وأحوال الشفق الأساسية، إضافة إلى اتجاه القبلة.

وهُناك صلوات الخسوف والكسوف وصلاة الآيات، ومن وجوب الصلاة يحصل حسن التأهب لها قبيل انكساف الشمس أو انخساف القمر. فلا يُمكن ذلك إلاّ بمعرفة حساب حركة الشمس والقمر واستخدام الجداول الفلكية اللاّزمة. وهُناك مُشكلة ابتداء الصوم

وانتهائه ومُشكلة ثبوت عيد الفطر وعيد الأضحى.

إن هذه الأمور تستدعي - في أحيان كثيرة - بعض الناس لتتبّع تلك الظواهر ودراستها ومعرفة أسبابها وكُل ما يتعلق بها. من هُنا انبرى عدد من الناس إلى دراسة الفلك. ووفق الكثير منهُم، وصاروا عُلماء فلك لهُم وزنهُم، ولهُم إنجازاتهم. وفي هذا السياق يقول المستشرق الإيطالي (كارلو نالينو) (إن ارتباط بعض أحكام الشريعة بالمسائل الفلكية زاد المسلمين اهتماماً بمعرفة أمور السماء والكواكب وحمل أصحاب العلوم الدينية على مدح ما سماه الغزالي في كتاب إحياء علوم الدين، القسم الحسابي من علم النجوم)[١٤].

وحين فعل القرآن الكريم فعله في العقول، مدّدها ودفعها إلى روح العلم والبحث، وانفتحت آفاقٌ عريضةٌ أمام المسلمين، فراحوا يبحثون عن الأسلوب الأفضل في دراسة العلم بشكل عام، والفلك بشكل خاص، فاستخدموا المنهج العلمي الصحيح في دراسة الأشياء، استخدموا الاستقراء والاستنتاج، وقدّموا نتائج رائعة.

فكثُرت المراصد والملاحظات الفلكية، بالعين المجردة واستخدام الآلات الفلكية المتنوعة الموروثة والتي أبدعها المسلمون، وراحوا أيضاً يبحثون عن كُل جديد يصُبّ في تطوّر علم الفلك، فترجموا المزيد من الكُتُب الفلكية، من اليونان والهند وفارس، ولاسيّما كتاب (المجسطي الشهير الذي ألّفه العالم اليوناني بطليموس القلوذي)، الذي عاش في القرن الميلادي الثاني، وكتاب (السند هند) من الهند وغيرهما من الكُتب ممّا زاد في وعي الفلك وتطوره. فكثُرت المؤلفات فيه، كالأزياج وكُتُب الآلات الفلكية، وصور الكواكب، والموضوعات الفلكية العامة، ممّا توافر للأجيال اللاّحقة تُراث فلكي كثيرٌ ومهمٌ، يُمكننا وضعهُ في طليعة التُراث الفلكي العالمي، كماً وكيفاً.

من مصادر التُراث الفلكي

لم تصل إلينا - ضمن ما وصل من كُتُب التُراث - مصادر تجمع المؤلفات الفلكية وحدها، على طريقة القوائم أو الفهارس الببليوغرافية الراهنة، وإنّما عرفنا كُتُباً عامة أو موسوعات أو فهارس أو كُتُب تراجم، تضُم ضمن ما تضُمّ، المؤلفات الفلكية والمؤلفين الفلكيين والأزياج، والمعلومات الفلكية المتنوعة، وهي عديدة. لكن، لا شك أن هُناك كُتباً كثيرة تتحدث عن الفلكيين ومؤلفاتهم، ضاعت أو تلفت أو نساها الزمن، عثرنا على أسماء بعض منها، ككتاب (أخبار المنجمين) لأحمد بن يوسف بن إبراهيم الداية المصري المتوفى بعد سنة ٣٣٠هـ بقليل[١٥]. وكتاب (إصابات المنجمين) لابن أبي أصيبعة صاحب عيون الأنباء في طبقات الأطباء الشهير[١٦]. وأُخرى يُمكن مُتابعة أخبارها والعثور عليها.

أما الكُتُب الباقية التي تضُم أسماء الفلكيين والمؤلفات الفلكية فهي عديدة، ويقع أغلبها ضمن كُتُب: التراجم الخاصة، ككتاب

عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة. وكُتُب التراجم العامة ككتاب وفيّات الأعيان لابن خلكان، وفوات الوفيات للكتبي، والوافي بالوفيات للصفدي وغيرها. أو ضمن كُتُب تراجم الحكماء، ككتاب أخبار الحكماء للقفطي، وتأريخ الحكماء للشهرزوري، وتأريخ حُكماء الإسلام للبيهقي، وتتمة صوان الحكمة للسجستاني. وأمثالها، أو ضمن كُتُب الفهارس العامة ككتاب الفهرست لابن النديم، أو كشف الظنون لحاج خليفة. أو ضمن كُتب التأريخ الأخرى وغيرها، ككتاب طبقات الأُمم لصاعد الأندُلسي، وتأريخ مُختصر الدول لابن العبري أو كتاب فرج المهموم لإبن طاووس، وغيرها من الكُتُب.

ويُمكننا أن نُميّز بين هذه الكُتب خمسة مراجع مُهمة للتُراث الفلكي:

١ ـ الفهرست: ومؤلفه إبن النديم، مُحمّد بن إسحق بن أبي يعقوب البغدادي الورّاق، ألّفه في حدود سنة ٣٧٧هـ، والكُتّاب ـ حسب ما يذكُر المؤلف ـ يضُمُّ: (فهرست كُتُب جميع الأمم من العرب والعجم منها بلغة العرب وقلمها في أصناف العلوم وأخبار مُصنّفيها وطبقات مؤلفيها...)[١٧] والكتاب مطبوع ومُتداول.

٢ ـ كتاب طبقات الأمم أو (التعريف بطبقات الأمم): ومؤلفه القاضي صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي المتوفى سنة ٤٦٢هـ بطليطلة في الأندلس، لهُ اهتمام بعلم الفلك، والكتاب يتحدّث في تأريخ العلم عند عدد من الأمم، ويعدّه بعضهم أول كتاب في تأريخ العلم في العالم[١٨]. والكتاب مطبوع ومُتداول أيضاً.

٣ ـ تأريخ الحكماء: لجمال الدين علي بن يوسف القفطي المتوفى سنة ٦٤٦هـ، وهو كتاب معروف بهذا الاسم، لكن حقيقتهُ، اختصار للتأليف الأصلي للقفطي (أخبار العُلماء بأخبار الحكماء)، وهذا الكتاب المختصر يضُمّ بين دفتيه أربعمائة وأربع عشرة ترجمة لعُلماء من اليونان والمسلمين من العرب وغيرهم من الذين اشتهروا بالفلسفة والرياضيات والطب والفلك من القديم وحتى زمن المؤلف. والكتاب مطبوع ومُتداول أيضاً.

٤ ـ كتاب (فرج المهموم في تأريخ عُلماء

النجوم): لرضي الدين علي بن طاووس المُتوفى سنة ٦٦٤هـ، وهو عالم دين لهُ اشتغال في التنجيم وتأريخه، والكتاب يتحدث عن المنجمين وإصاباتهم أكثر مما يحدُث عن الفلكيين وعلم الفلك، لكنهُ يحتوي على معلومات في تأريخ الفلك والمشتغلين به، جمّة ومُفيدة، والكتاب مطبوع ومُتداول أيضاً.

٥ ـ (كشف الظنون عن أسامي الكُتُب والفُنون): ومؤلفهُ مُصطفى بن عبد الله المعروف بحاج خليفة المتوفى سنة ١٠٦٨هـ، والكتاب مُعجم لعدد كبير من الكُتُب العربية والتُركيّة والفارسية، والكتاب ـ وإن أُلّف في القرن الحادي عشر الهجري، إلاّ أنهُ جمع أسماء عدد كبير ومُهم من مؤلفات الفلكيين وأورد نُبذاً عن حياتهم وعلومهُم. والكتاب مطبوع ومُتداول أيضاً.

ونستطيع أن نُميّز كُتُباً أخرى تتحدث عن مصادر الفلك والفلكيين، ولكن نكتفي بهذه النماذج الخمسة، ويُؤسفنا أن تكون هذه النماذج غير مُحققة تحقيقاً علمياً ذا مُستوى عال. على الرغم من أن الواحد منها منشور أكثر من مرّة...

نحنُ نأمل من العُلماء والباحثين أن يقوموا ـ على الأقل ـ بتحقيق ونشر هذه الكُتُب الأساسية وأمثالها، وهي كثيرة، فالانتقائية (انتقاء الأفضل) ضرورية، ونحنُ نتطلع إلى مُستقبل حضاري زاهر■

---

(١) القزويني، زكريا، آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٤٥، بيروت ١٩٨٤.

(٢) ابن الهيثم، المناظر، تحقيق د. عبد الحميد صبره، ص٦٢، الكويت سنة ١٩٨٣

(٣) راجع في هذا الصدد، حضارة العرب: غوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر ـ مصر والعلم عند العرب وأثرهُ في تطور العلم العالمي، الدوميلي، ترجمة عبد الحليم النجار وآخر، القاهرة. وتأريخ العلوم عند العرب، د. عُمر فرّوخ، لُبنان. والجامع في تأريخ العلوم عند العرب، د. عبد الرحمن مرحبا، بيروت. وغيرها.

(٤) لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص٥٢٩، مصر.

(٥) العقيقي، نجيب، المستشرقون، ج١، ص١١٠، دار المعارف بمصر، ط ٤.

(٦) المرجع نفسه، ج١، ص١١٣.

(٧) المرجع نفسه، ج١، ص١١٥.

(٨) المؤمن، عبد الأمير، التراث الفلكي عند العرب والمسلمين وأثرهُ في علم الفلك الحديث، مُراجعة د. سامي شلهوب، ص٧، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب ١٩٩٢م.

(٩) سورة طه، الآية ١١٤.

(١٠) سورة الزُمر، الآية ٩.

(١١) سورة ق، الآية ٦.

(١٢) سورة الأعراف، الآية ١٨٥.

(١٣) سورة يس، الآيات ٣٨، ٣٩، ٤٠.

(١٤) نالينو، كارلو، الفلك تأريخهُ عند العرب في القرون الوسطى، ص٢٣١، روما ١٩١١م.

(١٥) الحموي، ياقوت، مُعجم الأدباء، ج٥، ص١٦٠، مصر.

(١٦) أبحاث المؤتمر السنوي الثامن لتأريخ العلوم عن العرب، إعداد مُحمّد عزّت عُمر، ص٧٥، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب ١٩٧٨م.

(١٧) ابن النديم، الفهرست، الصفحة الأولى غير مُرقمة، بيروت ١٩٧٨م.

(١٨) شاخت وآخرون، تُراث الإسلام القسم الثالث، ص١٤٣، عالم المعرفة ١٩٧٨م.

العتبة العلوية المقدسة..

نهضة في الإعمار وإعادة الاعتبار المعماري

لقاء مع مدير الشؤون الهندسية

المهندس مظفر محبوبه

أجرى اللقاء
• أحمد رضا المؤمن

بناية العتبات الدينية المقدّسة في العراق كثيرة إلى حد استحق فيه العراق أن يُلقّب بعراق المقدسات.. ولكن هذه العتبات تعرضت - ولا تزال - إلى عوامل الإهمال والقدم الزماني واللاّمُبالاة من قبل النظام السابق، وإلى محاولات التخريب والهدم والاعتداء كما حدث في سامراء مطلع عام ٢٠٠٠م ومُحافظة ديالى وغيرها..

وبعد الاحتلال بدأ عهد جديد من التعامُل مع واقع هذه العتبات فأنشأت مجالس إدارات وأمانات عامة تكفلت بإدارة شؤون هذه العتبات وبإشراف المراجع بما من شأنه إصلاح وضعها وتطوير عُمرانها وتوسيعها إلى أفضل شكل مُمكن.

(شرق برس) اختارت أقدس العتبات الدينية في العراق وهي العتبة العلوية المقدسة التي تضُم جسد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لتستكشف طبيعة الجهود المبذولة في السنوات الثلاث الأخيرة لإعمار وتوسعة وتأهيل هذا الصرح العظيم الذي تستذكر وتستوحي معاني المروءة والإيمان والبطولة والعدالة والحرية كُلما

وقفت في ساحته المقدسة في مدينة النجف الأشرف ولتشعُر بوضوح جلي مدى حجم التطوّر والإعمار الكبير الذي طرأ على العتبة مُنذ العام ٢٠٠٤م، فكان لنا هذا اللقاء المليء بالمعلومات الجديدة التي يُكشف عنها ـ إعلامياً ـ لأول مرة مع مدير الشؤون الهندسية في العتبة العلوية المقدسة المهندس مُظفر محبوبة والذي بدأناه بالسؤال حول أبرز أعمال ومشاريع الإعمار والتأهيل والترميم للعتبة مُنذ تولي الإدارة الحالية للأمانة مهمة الإشراف عليها فأجاب:

بعد العام ٢٠٠٣م بدأت خطوة جديدة تتمثل في ترميم الخراب الموجود في العتبة والتي كانت كبيرة جداً والعمل على إصلاح ما يُمكن إصلاحه وقد استمر العمل هذه الخطوة سنتين تقريباً بعدها في نهاية العام ٢٠٠٤م وبداية العام ٢٠٠٥م بدأت عمليات تأهيل وإعمار العتبة والتي تشمل جميع أنحاء العتبة ولكن يُمكن الإشارة إلى أبرز هذه الأماكن بالفقرات التالية..

❖ ابتداءً كان العمل بتأهيل الطابق العلوي للعتبة وعلى ثلاثة مراحل الأولى كانت من جهة باب الطوسي

(الشمالية) ثُم مُضيف الإمام علي عليه السلام والمنطقة المحصورة بين باب الفرج وباب القبلة، أما المرحلة الثالثة فكانت في الركن الجنوبي الشرقي المحصورة من جهة باب القبلة إلى باب الإمام الرضا عليه السلام تحت الساعة.

والآن نحنُ بصدد العمل في المرحلة الرابعة والتي تقع بالرُكن الشمالي الشرقي المحصورة بين باب الإمام الرضا عليه السلام وباب الشيخ الطوسي.

❖ المشروع الآخر كان يتمثل بإعادة إصلاح وترميم سطح العتبة بعد أن كان يُعاني من الكثير بسبب إهمال الأساليب الهندسية والعلمية الصحيحة فتم رفع كُل السطوح القديمة لإعادة تأهيلها من جديد وبطريقة علمية حديثة.

❖ ومن مشاريع التأهيل هو عملية تأهيل مضيف الإمام علي عليه السلام حيث كانت المجاميع الصحية التابعة لهُ غير جيدة وتُعاني من النضوح التي أدت إلى إلحاق أضرار بالهيكل الأساسي للمضيف فتم إعادة تأهيله وترميمهُ من جديد.

❖ وهُناك تأهيل لغرف الطابق الأرضي التي تضُم كبار عُلماؤنا ومراجعنا كالشيخ الأنصاري والسيّد أبو الحسن الأصفهاني والسيّد شرف الدين.. فكان الترميم بإعادة ترميم وتغليف الجدران بالمرمر على ارتفاع مترين وتغليف السقوف بالمرايا. والآن فإن المشروع مُتكامل لكُل غرف الطابق الأرضي.

❖ كذلك قمنا بتأهيل مكتبة الروضة الحيدريّة والتي كانت عبارة عن بناية مهجورة والتي تم تأهيلها وفق المتطلبات الحديثة للمكتبة بكُل تفاصيلها.

❖ وتأهيل مخازن العتبة الموجودة داخل سرداب المكتبة والعمل على إنشاء مخازن جديدة خارج العتبة.

❖ وتأهيل الغُرف المحيطة بالرواق حيث كانت عبارة عن غرف للنفايات تم تأهيلها بالمرمر والمرايا لتفتح للزائرين بالإضافة إلى نصب تبريد لكُل غرفة.

❖ مشروع ترميم وتأهيل الساعة، وهي من هيكل خشبي مبنية بنفس مواصفات ساعة (BIG BIN) البريطانيّة في لندن، لذلك فإن الحفاظ عليها كان هدفاً كبيراً بالنسبة إلينا فحافظنا على الهيكل كما هو كي نتجنب حدوث أي خلل في الساعة فقمنا بتدعيم وترميم الهيكل ثم إعادة تغليفه بالكاشي المُعرّق الكاشاني بعد أن كان مُغلفاً بكاشي مرسوم عليها نقوش هنديّة على قطعة ألمنيوم (شينكو) لا تليق بمقام العتبة.

❖ تأهيل محطات وشبكات العتبة بتفاصيلها الدقيقة مع محطاتها حيث أُنشأت محطة خارج العتبة لم تكُن جاهزة فكانت هذه هي المرحلة الأولى وفي المرحلة الثانية سوف يُصار إلى إنشاء محطة للحرم القديم وإنشاء محطتين أُخرتين في صحن فاطمة الزهراء عليها السلام.

❖ إعادة تأهيل وصيانة شبكة الإسالة في العتبة مع إنشاء خزان بسعة مليوني لتر خارج العتبة من الجهة الشمالية وفي النية الآن إنشاء نقطة تعقيم عند خزان الماء بسبب بعض القصور في عملية تعقيم المياه الواصلة من شبكة مياه المدينة إلى العتبة بسبب طول المسافة بين مصدر التجهيز والعتبة.

❖ كذلك وضعنا برنامج مُتكامل خلال ستة أشهر لمُكافحة حشرة الأرضة والتي كانت مُتفشية في كُل مكان من

العتبة من أعلى قبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لذا فقد تم إنجاز هذا البرنامج، ثم بدأنا بإعادة المعالجة حسب الكشف الموقعي للحالات المشاهدة.

❖ إعادة تنظيم وتطوير منظومة العتبة، حيث كانت تعمل بنسبة صلاحية ١٠ ٪ فتم رفعها وتطويرها.

❖ ترميم وتأهيل الجدار الخارجي للعتبة، وتنظيم مداخل العتبة والمنطقة المحيطة بها حيث كانت بمظهر لا يليق بمنظر المرقد الطاهر ومكانة الإمام عليه السلام والذي تم إكمال مُعظمه ولم يبق سوى جدران المداخل.

❖ تجميل وترميم الواجهات الخشبية داخل إيوانات العتبة حيث أن مُعظمها مصنوعة من الخشب الساج من النوع الجيّد ولكن بسبب إهمال ولا مُبالاة النظام السابق فقد تم طلاءها بالطلاء الدهني لأكثر من خمس مرّات وهو ما يُفقد جمالية هذا النوع من الخشب فقمنا بإعادتها وتأهيلها إلى شكلها الطبيعي.

❖ تأهيل شبكة الصّرف الصحي داخل الحرم حيث كانت تُعاني من التكسّرات والنضح نظراً لقدمها ولأنها مصنوعة من معدن الآهين فكان أكثرها متآكل وتالف فتم إبدالها بالكامل ونصب شبكة جديدة.

❖ تأهيل وتشغيل خزان ماء للشرب بحجم ٢٥ طن مع إنشاء خزانين آخرين جديدين يتبعهُما اثنين آخرين في القريب العاجل سيدخُلان الخدمة.

❖ إزالة وإلغاء مجموعة الصرف الصحيّة التي لا تليق بقدسيّة المكان نظراً لقربها من المرقد الطاهر وبالمقابل تم توفير مجامع صحية في الرُكن الشمالي الغربي بطاقة ٢٠٠ مرفق صحي مُناصفة للرجال والنساء مع الحمامات. بالإضافة إلى ترميم وتأهيل المرافق المعروفة بالباكستانية في الرُكن الجنوبي الغربي وكذلك بناء مجاميع صحيّة تبرّع بها أحد المحسنين جنوب العتبة في شارع الرسول والذي توقف عن إكمالها بسبب عدم تمكنه مالياً من ذلك فتبرع أخوة مُحسنين آخرين لإكمالها، وفي النيّة إنشاء مجامع صرف صحية في الرُكن الشمالي الشرقي للعتبة في منطقة المصرف الإسلامي سابقاً ذي أربعة طوابق مُستفيدين من بُعد المياه الجوفيّة عن مُحيط العتبة حيث يصل إلى عمق ١٤ متراً والذي من المؤمل أن تكون مواصفاته مُطابقة للمرافق الصحية الموجودة قرب الحرم النبوي الشريف في المدينة المنورة من حيث تطورها واشتمالها على الأجهزة الحديث والمتطورة والمصاعد ورغم ضخامة المشروع وارتفاع كُلفته إلاّ أن هُناك الكثير من المتبرعين قد أبدوا استعدادهم للمساهمة في تمويل هذا المشروع وسيكون بمساحة ألف متر مربع بواقع أربعة طوابق وبإمكانية توسعة لاحقاً بألف متر مُربّع أخرى وبنفس الطريقة.

كان ذلك فيما يخُص مشاريع التأهيل والترميم.. ماذا عن المشاريع الجديدة للعتبة؟

- في البداية قمنا بإنشاء مطعم مؤقت لمُنتسبي العتبة مع طموحنا الكبير بأن يتطور المطعم ويتحوّل إلى مطعم للزائرين كمضيف للزائرين وقد تحقق مثل هذا الطموح بإنشاء قاعة مُتعددة

الأغـراض مُقابـل بـاب الفرج بمسـاحة ٦٠٠ متـر مربع تقريبـاً بطابقين ويُمكن استغلال هذه القاعة في استقبال الزائرين فـي المناسـبات مـع إضافـة طابـق آخر للضيـوف المهمّيـن (VIP) وقد أنشـأت هـذه القاعة على شـكل هيـكل مؤقت يُمكن رفعه ونقله إلى أي مكان آخر مع إمكان التوسع في الجهة الغربية الممتدة لغاية مسجد التابعي صافي الصفا وحسب إحتياج العتبة.

ماذا عـن صحـن فاطمة الزهراء عليها السلام ؟

يقـع هـذا الصحـن فـي المنطقـة المحصورة بين العتبة شـرقاً وبين مسجد ومرقـد التابعـي صافـي الصفـا رضي الله عنه غربـاً وهـي الأرض التـي كانـت توجد فيهـا مسـاكن محلـة العمـارة القديمـة والتـي أقدم النظام السـابق علـى هدمها لأغراض سياسـيّة فبقيـت المنطقة فارغة إلـى أن بنيت عليها عمـارات تجارية على الجانبين بطريقة مُسـاطحة لمُدة عشـرين سـنة وهذا ما جعل الأبنية التي بُنيت فيها غيـر متينة حسـب عُمر المسـاطحة التي اتفـق عليها ولحد أكثر مـن عام كانت هـذه العمارات، ثم قامـت العتبة بمُفاتحة المحافظـة لاسـتملاك هـذه العمـارات بحُكـم تصوّراتنـا المسـتقبلية للعـدد الضخـم من الزائرين الـذي لا يُمكن أن تسـتوعبه مسـاحة العتبة الحالية فكانت جهـود المحافظـة ومجلـس المحافظـة والبلدية ودائرة التخطيط العمراني جهود مشـكورة فـي خدمـة إمامهـم ووليّهُـم للموافقة على ضمها للعتبة المقدسـة وهي بمسـاحة ٣٧٠٠٠ متر مُربع ثـم رفع طلب العتبـة هذا إلـى الجهات العُليـا في وزارة البلديات لاستحصال الموافقات الرسمية عليها وأثناء رفعها بفترة وجيزة إلى الإدارة كان توفيق دولة رئيس الوزراء الأسـتاذ نوري المالكي بزيـارة العتبة وأثناء لقاءه بالأمانـة العامـة للعتبـة قـدّم إليـه الطلب للموافقة عليه فكان ترحيبه كبيراً بهذا الشأن ولديه رغبة كبيرة لأن يُقدم خدمة لإمـام المتقيـن عليه السلام فثبّت موافقتـهُ على الطلب بدون أي بدل فتم استكمال كافة الإجراءات لذلك فأصبحت المنطقة جزءاً من العتبة.

وماذا كانت ردّة فعل أصحاب العمارات التجارية هذه؟

ـ أخـذت هذه العمارات مُسـاطحة مع البلديـة، وبنيـت فنادق، لكـن الزائرين الأجانب لا يرغبـون بالنزول فيها بحُكم الإشكالات الشرعية المثارة حول جواز إشغالها تجارياً وسياحياً على حساب حاجة المرقد للتوسعة وكذلك البيوت المهدّمة التـي بنيت هـذه العمارات علـى أنقاضها بالإضافـة إلـى أن المنطقـة تعرّضت إلى أضرار كبيرة بعد معارك أحداث النجف عـام ٢٠٠٤م، فشـكّلت علـى إثـر هـذه التداعيـات لجنة مـن إدارة العتبة وضريبة المحافظـة ودار التسـجيل العقـاري فـي المحافظـة فتـم تقييـم أسـعار العمارات ووضع حدود للكلـف التعويضيّة للأبنية الموجـودة وتـم التفـاوض مـع الأخـوة أصحاب المسـاطحات ولحـد الآن لم يتم تحديد الرقم وقد تم مُفاتحة الدوائر ذات العلاقة في الدولة لرصد مبالغ التعويضات لهذا الموضوع ونأمل الموافقة عليه خلال الفترة القليلة القادمة.

هذه العمارات والأبنية كيف سيكون وضعها ضمن التوسعة

والتطوير الجديد للعتبة؟

- مبدئياً أن يكون على الجانبين عمارات تضم إدارات ومؤسسات العتبة من مُتحف، مُضيف، مع كافة خدماتها من تبريد ومياه وكهرباء واتصالات.. الخ على أن تكون ثلاث طوابق فوق الأرض، وطابقين تحت، طابق خدمي فوق الأرض بارتفاع ٦ أمتار وتحت الأرض بارتفاع ٣ أمتار وهي معلومة أتحدث بها لأول مرة لأننا بالأمس فقط انتهينا من وضع اللمسات الأخيرة على التصميم المقترح.

أما الصحن في الوسط فسيكون بطابق تحت الأرض بارتفاع ٩ أمتار، مع وجود صحن تحت الأرض بالإضافة إلى إضافة مسجد كبير مُلاصق للعتبة بعمق ٦٠ ستون متراً وطول ٨٠ ثمانون متراً يبدأ من جهة باب الفرج وحتى الرُكن الشمالي للعتبة وبطابقين تحت الأرض بارتفاع ٩ أمتار لكُل طابق وهذا المشروع مُهم جداً تمت المباشرة به مُنذ سنتين تقريباً شمل حتى منطقة المقابر المحيطة بمنطقة السوباط غرب الحرم المقدس ومسجد الرأس والقاعة الصغيرة لمضيف الإمام علي عليه السلام وجميعها تم دراستها دراسة دقيقة من قبل كادر مُتخصّص في جامعة الكوفة بالنجف الأشرف من تاريخيين ومعماريين وإنشائيين، فكان على رأس الكادر التاريخي الأُستاذ الدكتور حسن عيسى الحكيم، أما الكادر المعماري فكان تحت إشراف الدكتور المهندس المعماري ساهر القيسي المعماري الأستاذ في جامعة النهرين والكادر الإنشائي تحت إشراف الدكتور علي ناجي عطيّة رئيس

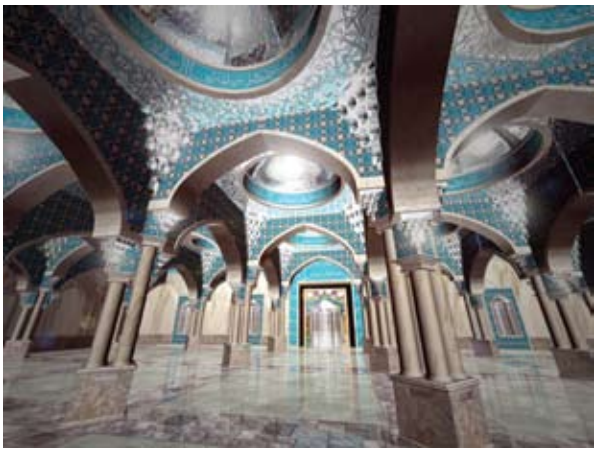

في الأعلى: تصميم ثلاثي الأبعاد لمشروع التوسعة الجديد
في الأسفل: خريطة توضح منطقة مشروع التوسعة الجديد والواقع في الجهة الغربيّة من العتبة العلوية

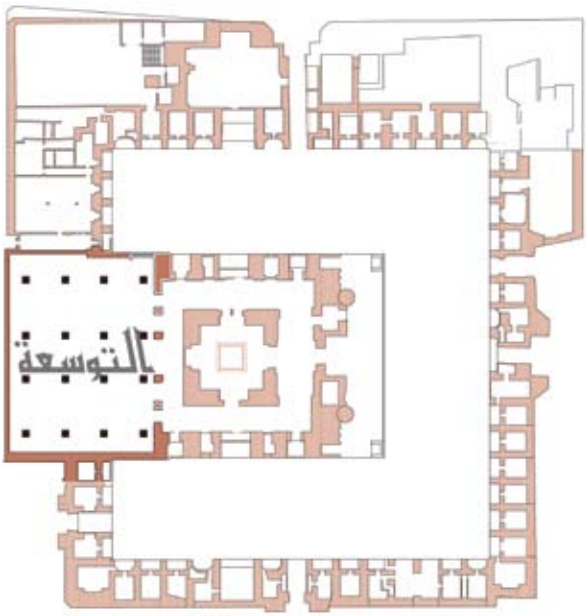

قسم الهندسة المدنيّة في جامعة الكوفة وجميع أعضاء هذه الكوادر عملوا معنا بدون أي مقابل تطوعاً لخدمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وقد سُمي بصحن فاطمة الزهراء لمظلوميّة الزهراء عليها السلام وعدم معرفة قبرها وعلاقتها بأمير المؤمنين عليه السلام وسُمّي بذلك تزامُناً مع فاجعة هدم قبة الإمامين العسكريين عليهما السلام لذلك سُمّي الباب المقابل لمسجد التابعي صافي الصفا بمدخل الإمام علي الهادي عليه السلام.

وبعد دراسات مُستفيضة لواقع العمارات والأبنية المحيطة بالحرم وجد أنها لا تمُت بعمارة وقيمة معمار الحرم بصلة فمسجد الرأس هُدم في ثمانينيات القرن الميلادي الماضي وأعيد بناؤه وكذلك المضيف حيث هدم على أنقاض التكية البكتاشيّة وأما السوباط فبعد الفحص والتحرّي وجدنا أن عمرها لا يتجاوز الخمسين عاماً وأمام الحاجة لتوفير أماكن لائقة للزائرين اخترنا راحة الزائرين على بناء ليس بالقديم أو ذي قيمة تاريخية وبالنسبة للقبور الموجودة أو المعالم الأخرى فسوف تؤشر وتُعلّم لتعريفها وتمييزها والحفاظ عليها وهو بمساحة ١٢٠٠ مُربع تم تصميمهُ بطريقة حديثة مُتصلة مع العمارة الإسلاميّة مع فتح خمسة أبواب في رواق النساء موجودة الآن من الجهة الغربية تفتح على هذا المشروع مع استخدام تفاصيل معمارية دقيقة في المشروع مع الحرص على استخدام التفاصيل الفلكيّة التي أسّسها الشيخ البهائي في بناء الحرم الحالي مع تثبيت أربعة شبابيك بهندسة معمارية تؤشر إلى حالة الزوال والغروب وتفاصيل أخرى، وقد تأخر العمل في هذا المشروع أكثر من عام بسبب الحرص على عدم الإضرار بأسس بناء الحرم.

يُذكر أن بداية الإعمار كانت من الجهة الغربية للحرم حيث السوباط ومسجد الرأس ومضيف الإمام علي عليه السلام بُنيت بمرحلة مُتقدمة بعد عمارة الحرم من خلال الدراسات المستفيضة للمشروع أولاً ومُتابعة إزالة أبنية ذلك المكان ثانياً إن هذا الجزء يشمل جهة الرأس الشريف للضريح المقدس حيث المكان الأنسب للدعاء والزيارة، بينما كانت مجمعاً للمواد التالفة ومُخلفات الطيور دون أن يُستعمل المكان لأي خدمة فتطورت دراسة توسعة الحرم بهذا الاتجاه من مُجرّد فتح الأبواب والشبابيك بين الرواق والسوباط والمقابر ومسجد الرأس ليكون التصميم النهائي هو إزالة الأبنية كافة وذلك لعدم ارتباطها بالحرم إنشائياً وعدم كونها تاريخية وبعد إعلام المراجع العظام من قبل سماحة السيّد مُحمّد رضا الغريفي (دامت توفيقاته) بدأت المباشرة بأعمال إزالة الأبنية بتأريخ ١١/ ربيع الأول/١٤٢٦ هجـ الموافق ٢٠/نيسان/٢٠٠٥م وكانت بركات الإمام عليه السلام جليلة في تسهيل العمل وسُرعة إنجازه. حتى إنني أذكُر أن أحد العاملين في أعمال البناء والتوسعة سقط مع عربته من ارتفاع عشرة أمتار تقريباً وفوق رُكام من الأنقاض والطابوق دون أن يُصاب أحد بأذى أو كسر أو جُرح ومواصلته العمل حتى انتهائه بالهمة نفسها والنشاط.

لقد كان الحرص كبيراً لأن يُحاكي تصميم مشروع التوسعة في هذا الجزء التصاميم المعماريّة للحرم التي تعتبر تحفة معماريّة وفنية مع ما تحتويه

مـن أسـرار فلكيّـة عديدة مـع احتفاظ المصمـم بحقـه بإضفـاء بصمتـه عليها، فكان التصميم يتشـكّل من أربع عشرة قبـة تشـير إلى عـدد المعصومين عليهم السـلام وكُل قبة تتألف من أربعة مقاطع يفصل بين جزء وآخر شباك عمودي، فيما بقيت المحافظة على شكل وروحيّة فتحة السـوباط القديمة مع تعليم مسارهُ أيضاً. وقد أجرى المهنـدس وميض ضياء الدين الغريفي أحد مُهندسـي قسم الصيانة في العتبة دراسة مُستفيضة حول تثبيت زاوية شـبابيك القبـاب الأربـع عشـرة ليكون أحدها مُقابل الشّمس وقت الزوال ليُشير دخول الشمس من خلاله إلى وقت الزوال ثُـم يحتجب ضوؤها عنه بعـد انتهاء وقت الفريضة، كما قام بدراسة تثبيت شُباك آخـر منها ليُقابل الشـمس عند الغروب، ذلـك ليكون المشـروع مُكمـلاً لعمارة الحرم القديمة. يرتفع السـقف على (٢٤) عمـوداً حديديـاً رُباعيـاً أي (يتكوّن من أربعـة أنابيـب حديديّـة بأقطـار مُختلفـة لتحقيـق أكبـر مـدى رؤيـة مُمكنة من خلالها) يتوّجـهُ مُقرنصـات تحمل فوقها مجموعة أقواس إسلاميّة بنقوش وزخارف مُسـتوحاة من الحرم القديم، وسـتكون أرضيّة المشـروع وجدرانه مُغلفة بالمرمر الأونكس الأخضر.

ومـن المشـاريع الأُخرى التـي جرى تنفيذهـا في العتبة هي إنشـاء مُسـقفات إيـواء في الجهة الشـمالية للعتبة بمسـاحة حوالـي ١٨٠٠ متر مربّع وفي النية إنشـاء مسقف آخر مُشـابه في الركن الشمالي الشرقي للعتبة بمساحة ٦٠٠ متر مربع.

ومـن المشـاريع الأخـرى التـي نأمل العمـل فيها هي نفق الخدمات إذ ليس من المنطـق تخريب منطقة مـن مناطق العتبة لمجرد إضافة خدمات الماء أو الكهرباء فقمنا بحفر نفق للخدمة بعمق متر ونصف وعـرض متر واحد فـي مُحيط العتبة على أن يسـتمر إمتداده في المسـتقبل محيط صحن فاطمة الزهراء عليها السلام.

ومـن المشـاريع أيضاً نصـب ١٣ برج إنارة حول العتبة بواقع ٢٤ ضوء في البرج الواحـد لإنـارة المنطقة المحيطـة بالعتبة أمـا ارتفـاع هـذه الأبـراج كان المقترح هـو ٣٢ متر وبعد التحقيق في ارتفاع القبة الشـريفة وجـد أن ارتفاعهـا يصل إلى ٣٠ متراً فتم تقليل ارتفاع البرج لكي لا يعلو على القبة الشريفة.

ماذا عن القُبّة الشـريفة؟ وهـل مـن أسـرار معماريّـة بخصوصها؟

ـ فيما يخص القبة فقد باشرنا بترميمها من الداخل بسـبب تضرّرها لتبقى كما هي لأنها فريدة بطرازها المعماري، حتى أن بعض الباحثين الفلكيين يقولون بأنك عندما تضع خط وهمي بين القبة الشريفة وإحدى المنائر فإن هذا الخط سيُوصلك إلى موقع شروق الشمس في بداية فصل الربيـع فـي آذار، أمـا إذا أوصلت خطاً آخر من القبة الشـريفة بالمنارة الأخرى فإنهُ سـيوصلك إلى مطلع شروق الشمس فـي فصل الخريف في أيلـول، أما حزام الكاشي المحيط بالقبة فقد رفعهُ النظام السـابق لا لشيء سـوى لأنهُ كُتب عليه شعراً باللغة الفارسية من الأعلى والأسفل رغـم أن عُمر هذا الحزام يتجاوز القرن. وعندما طُبق النظام الإداري الجديد للعتبة العلويـة المقدسـة وعُيّـن السـيّد الأمين العـام الجديـد الحالي أتخذ قـرار إعادة

كُل ما رفعهُ النظام السابق لأغراض سياسية وعند مُعاينة هذا الحزام وجدنا أن الذهب والمينا ذهبت عنهُ لذلك فإننا سنعمل على إعادة المينا إليه وعند تجرُبة إعادة النحاس مع المينا وجدنا أنهُ يتضرّر لأنهُ يتعرض إلى درجة حرارة تصل إلى ٩٠ درجة مئويّة، وبعد دراسة مُستفيضة استمرت لثمانية شهور من قبل مُختصين أجانب تم استنساخ هذا الحزام بالكامل وبنفس تفاصيلهُ والنحاس الموجود فيه وطلاء الشكل المستنسخ لهُ بالذهب والمينا ليتحمّل الحرارة والاحتفاظ بالحزام القديم، ومن المصاعب التي واجهتنا في خصوص هذا الحزام هي عدم وجود فنيين مختصين بطلائه من داخل البلد، ونظراً لقيمته التاريخية والدينية فقد تحرّجنا كثيراً عن إخراجه خارج العتبة فضلاً عن إخراجه خارج البلد، لذلك وصلنا إلى هذا القرار بعد تجارُب مُتعدّدة ودراسات مُستفيضة. وقد اعتمدنا تقنيّة تصوير القطع ودراسة أبعاد سُمكها في الكومبيوتر وأتوقع أن يكتمل تنصيب الحزام خلال العام القادم.

من هي أبرز الجهات والشخصيّات المساهمة بالتبرّع لتطوير وتأهيل العتبة؟

ـ بشكل عام لدينا شُعبة في العتبة تُدعى (شُعبة الهدايا والنذور) وهي تستقبل المتبرعين من أي جهة كانت وتصرف أمواله في المكان الذي أراد المتبرع أن تصرف فيها، فمثلاً عندما يتبرّع شخص بمبلغ لإنارة العتبة فلا يُمكن شراء طابوق بهذا المبلغ وهكذا.. وأهل الخير كثيرون، وفي السنوات الماضية كانوا محرومين من إمكانية التعبير عن حُبهم وارتباطهم بإمامهم بينما أصبح المجال مفتوحاً لذلك من خلال المساهمة بالتبرع بما يُمكنهُم علماً أن العتبة أصبحت من خلال النظام الإداري الجديد كياناً مُستقلاً بذاته دون أخذ أي مبالغ مالية أو هدايا مُقابل الخدمات المقدمة للزائرين، أما التبرعات فبإمكان أي جهة أو شخص التبرع والمساهمة دون تقييد.

ماذا عن مُستشفى الإمام علي عليه السلام والتابعة للعتبة العلوية المقدسة؟

ـ مُستشفى الإمام علي عليه السلام مشروع كان مُنذ سقوط النظام مُخصّص لأبناء المدينة من قبل إحدى الجهات التي قادها توفيقها إلى العتبة العلوية المقدسة، فتم تخصيص قطعة أرض على شارع أبي صخير مُقابل الحامية العسكرية القديمة وهو مُستشفى ذو طابقين يسع لستين سرير مُمكن مُضاعفتها إلى ١٢٠ سرير خلال فترة قليلة وقد أُعتُمِد في النظام الداخلي للمُستشفى أن تكون خيريّة أكثر منها أهلية تقوم بمُساعدة المرضى وخصوصاً غير القادرين على العلاج خارج القطر حيث سيتم جلب أجهزة طبية حديثة مع مُلاحظة خصوصيّة مُنتسبي العتبة فيها.

هل هُناك مشاريع توسعة مُستقبلية لإضافة مُلحقات للعتبة من ضمن المناطق المحيطة بها؟

ـ مُنذُ أكثر من عام ونحنُ نعقد الندوات الثقافية والمعمارية التي تهدف إلى دراسة السُبل والآفاق المُستقبلية التي تُساعدنا على التخطيط للتوسعة تماشياً

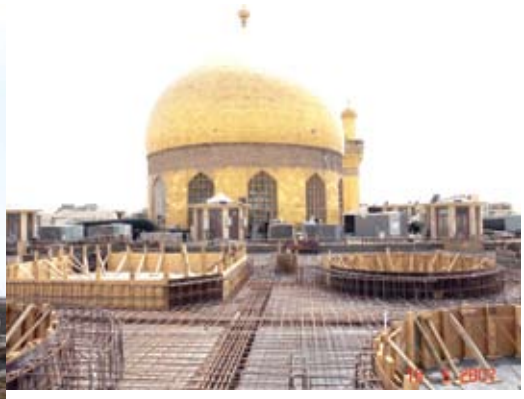

مع زيادة عدد زوار العتبة المقدسة، فيما طرَح المُصمّم المعماري للعتبة الدكتور رؤوف الأنصاري ثلاثة مشاريع مُقترحة لتوسعة العتبة العلوية المقدسة، الخيار الأوّل يتمثل بالتوسعة من جهة صحن فاطمة الزهراء عليها السلام فقط، والخيار الثاني أن تكون التوسعة بالإضافة إلى صحن فاطمة الزهراء عليها السلام يتم ضم السوق الكبير ويُبنى مكانهُ سوقين حديثين كبيرين مكوّن من ثلاث طوابق واحد فوق وآخر أرضي وثالث تحت الأرض يُستخدم كمرآب للسيارات على أن يُعوض أصحاب المحلات بتعويض مُجزي ومُناسب، والاقتراح الثالث هو إزالة جميع المدينة القديمة ومن ثُم إعادة تصميمها.

ومن خلال الدراسات التي أجريت حول هذا الموضوع فإن مُعظم الأفكار والطروحات التي قدّمت كانت مع الحفاظ على المدينة القديمة باعتبارها مدينة عريقة خرجت كبار العُلماء والمفكرين والمراجع وهي مدينة تتمتع بهندسة معماريّة مُتميزة. ونتمنّى من الإدارة المدنيّة والأجهزة المختصّة أن تمنع عمليات التغيير العمراني التي قد تحصل بسبب سعي البعض لبناء الفنادق على أنقاض البيوت القديمة في محلّات النجف الأشرف القديمة ■

أجوبة مسابقة العدد (١٩) وأسماء الفائزين

السؤال الأول: ج. معدن الحكمة

السؤال الثاني: أ. الثمانيني

السؤال الثالث: ج. محمد تقي الشيرازي

السؤال الرابع: ب. سعدي الشيرازي

السؤال الخامس: ب. الصيحة في السماء

السؤال السادس: أ. سنتان

السؤال السابع: ب. الإمام الباقر عليه السلام

السؤال الثامن: أ. دعاء الصباح

السؤال التاسع: ب. حذيفة بن اليمان

الفائزة بالجائزة الأولى: آراء قيس جواد/ كربلاء المقدسة ـ قضاء الهندية.

الفائز بالجائزة الثانية: باسم عبد الرزاق حمود/ النجف ـ كلية الطب.

الفائز بالجائزة الثالثة: حيدر علي عبود/ الحلة ـ الطهمازية.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

مسابقة العدد (٢١)

١ جابر بن يزيد الجعفي، صَحب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام حتى عدّ من الفقهاء المأخوذ عنهم الحلال والحرام. فكم حديث روى عن الإمام الباقر عليه السلام؟

أ ـ ١٠ آلاف حديث

ب ـ ٤٠ ألف حديث

ج ـ ٧٠ ألف حديث

٢ الشيخ محمد كاظم الخراساني الشهير بالمحقق، كان من أعلام النجف الأشرف وصاحب كتاب كفاية الأصول، ففي أي سنة توفي؟

أ ـ ١٣٢٩ هـ

ب ـ ١٣٣٩ هـ

ج ـ ١٣٤٩ هـ

٣ السيد هبة الدين الشهرستاني من النوابغ الذين أثروا المكتبة الإسلامية بمؤلفات قيمة، له كتاب تناول فيه علم الفلك ونظرياته بأسلوب يتماشى مع العلم الحديث، فما اسمه؟

أ ـ الكون والإسلام

ب ـ الفلك والإسلام

ج ـ الهيئة والإسلام

٤ **وفدت على الكريم بغير زاد**
من الحسنات والقلب السليم
وحمل الزاد أقبح كل شيءٍ
إذا كان الوفود على الكريم

أبيات كتبها الإمام علي عليه السلام على كفن صحابي حينما حضرته الوفاة، فمن هو ذلك الصحابي؟

أ ـ سلمان الفارسي

ب ـ عمار بن ياسر

ج ـ سعد بن عبادة

كوبون مسابقة

ينابيع

العدد (٢١) ذو القعدة ـ ذو الحجة ١٤٢٨هـ

	أ	ب	ج
جواب السؤال الأول			
جواب السؤال الثاني			
جواب السؤال الثالث			
جواب السؤال الرابع			

٥ كان يوماً مشهوداً، فقد باهل النبي ﷺ نصارى نجران في ٢٤ ذي الحجة سنة ١٠هـ وقد شهد هذا اليوم حدثاً آخر، فما هو؟

أ ـ التصدق بالخاتم

ب ـ نزول سورة (هل أتى)

ج ـ زواج الإمام علي عليه السلام

٦ خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام تمثل فيها بقول الأعشى:

شتان ما يومي على كورها
ويوم حيان أخي جابر

فما اسم تلك الخطبة؟

أ ـ الخطبة الشقشقية

ب ـ خطبة الملاحم

ج ـ خطبة الأشباح

٧ غزوة وقعت سنة ٤هـ صلى فيها النبي ﷺ صلاة الخوف، فقد لقي وأصحابه جمعاً من غطفان، فما اسم تلك الغزوة؟

أ ـ ذات السلاسل

ب ـ حنين

ج ـ ذات الرقاع

٨ من أمهات المؤمنين عرفت باسم (ماريا) أولدها رسول الله ﷺ إبراهيم، فمن أي الشعوب كانت؟

أ ـ النبط ب ـ القبط

ج ـ الروم

٩ **أبا الفضل يامن أسس الفضل والإبى**
أبى الفضل إلا أن تكون له أبا

بيت من قصيدة للسيد راضي القزويني، فكم كلمة دلت على معنى (الإباء)؟

أ ـ مرة واحدة

ب ـ مرتان

ج ـ ثلاث مرات

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثانية: ٥٠،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثالثة: ٢٥،٠٠٠ دينار.
يتعين الفائز بعد إجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط.
* يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات.
* آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/صفر/١٤٢٩هـ.

	أ	ب	ج
جواب السؤال الخامس			
جواب السؤال السادس			
جواب السؤال السابع			
جواب السؤال الثامن			
جواب السؤال التاسع			